الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية



أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية العربية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية
تخصص: علوم اللّسان العربي

إعداد الطالب:
الطاهر شارف

إشراف الدكتور:
صلاح الدين ملاوي

السنة الجامعية :
1434/1433هـ - 2013/2012م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر-بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية



أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية العربية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية
تخصص: علوم اللّسان العربي

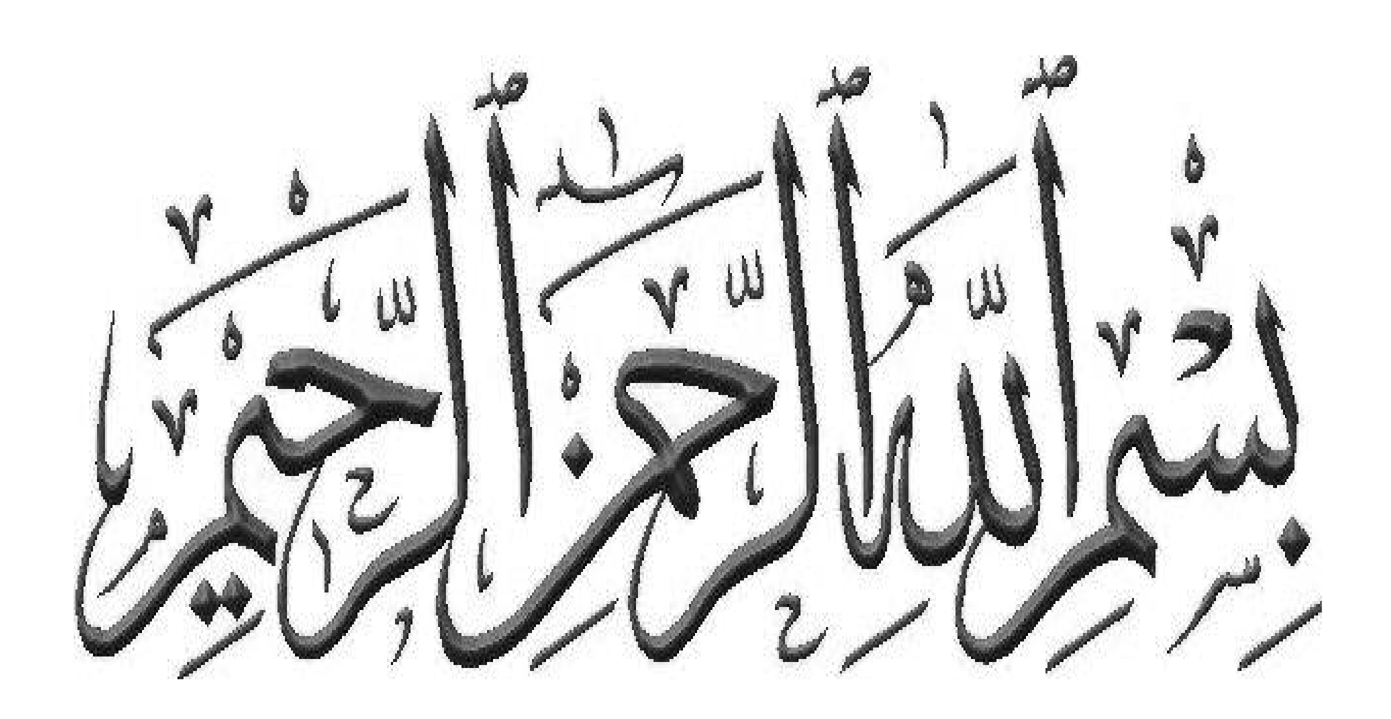
إعداد الطالب:
الطاهر شارف

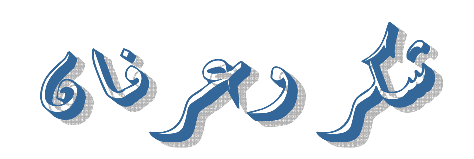
إشراف الدكتور:
صلاح الدين ملاوي

لجنة المنــاقشة:

الأستـــــــاذ	الجامعة الأصلية	الصفة
1- د/ سناني سناني	جامعة بسكرة	رئيسا
2- د/ صلاح الدين ملاوي	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
3- د/ محمد بن صالح	جامعة مسيلة	عضوا
4- د/ صالح لحلوحي	جامعة بسكرة	عضوا

السنة الجامعية : 1434/1433هـ - 2013/2012م


بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

يسرني أن أتوّج هذا الجهد المتواضع بجزيل الشكر لله أولا ثم لأستاذي الفاضل *الدكتور صلاح الدين ملاوي* لما قدَّم وسهّل، فلم يك مشرفا فحسب؛ بل كان إنسانا؛ فقد رأيت فيه رأفة الأب وصرامة القائد، كان مشرفا محافظا على الأوّل مُحبا للإحياء مُتطلعا إلى الجديد، مُخلصا في متابعته أمينا في توجيهه، وكان أستاذا! أسأل الله أن يستر عيبه وأن يغفر ذنبه وأن يدخله جنته.

كما أتقدم بشكري إلى *أساتذة قسم الآداب واللغة العربية* في جامعة بسكرة الذين كانوا لي خير البديل ونعم المُسلِّي.

وأتقدم بخالص شكري إلى الأستاذ *جلول بن سالم* على ما قدم من ملاحظات وتصويبات كلّفته جهدا ووقتا.

وأختم بشكري وامتناني *لوالديّ الكريمين* اللذين لا أستطيع التعبير عن جميلهما وفضلهما عليّ.

الابن الطالب الطاهر

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. وبعد:

إنّ الوظيفة التواصلية موضوع اهتمت به الدراسات اللسانية الحديثة، وتناوله علماء اللغة العربية في مواضع متفرقة من كتبهم منذ القديم ولا يزالون؛ وقد وقع في يدي كثير من هذه الدراسات التي تتناولها من حيث هي الوظيفة الأساسية للغة، وعلى أساس منها تقام البنية اللغوية ويتألف الكلام... ومما لفت انتباهي في كثير منها ما أقرّته من أنَّ الظروف والحاجات "المقام" تملي على متكلم معين إصدار خطاب معين ليوجه لمخاطَب معين بمبنى معين. كل هذا ينبغي أن يتوفَّر لتوصيل مقصده وغرضه من هذا الخطاب؛ سواء أكان تبليغ مفاهيم، أم تقديم حجج بغية الإقناع؛ أم إفصاحا عن شعور. والغالب في هذا الخطاب أن يكون موافقا لما هو متعارف عليه بين الجماعة تركيبا ودلالة، ولا يخرج عن المعتاد المقرّرِ من الكلام عند اللغويين والنحويين المعتبَرِ نمطا مثاليا عاديا موافقا لقوانين اللغة الطبيعية الشائعة، وقد يخرج بناء هذا الخطاب عن هذه النمطية أو المثالية إلى شكل آخر بالاختيار المقصود لذاته مما توفّر من عناصر اللغة وتعدَّد، أو بمخالفة الأصل أو القياس أو المطرد باستعمالٍ لغوي يوصف بالفني غير العادي، يصدر غالبا عن الفرد المبدع ويكثر في اللغة الأدبية. والذي نريد أن ننظر في دراستنا هذه هو أسباب قصديّة مستعمل اللغة العربية الاختيار والبناء المخالِف (العدول) ومبرراتهما، وعلاقتهما بالوظيفة التواصلية، انطلاقا مما حاولنا أن نرصده من أشكال لهذين الإجراءين مقتصرين على البنية الصرفية، وتمثلت هذه الأشكال في **اختيار** صيغة صرفية بعينها رغم سعة حقلها الدلالي وكثرة مرادفاتها، أو **العدول** في استعمال الصيغة الصرفية عن مقررات علماء الصرف، وجمعاً لهاتين الظاهرتين أردنا أن يكون عنوان بحثنا:

أثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية العربية

تناولت في بحثي هذا أحد مظاهر تفاعل البنية الصرفية العربية مع الغرض التواصلي، وقصدت توضيح مدى مرونة العربية وشجاعتها في اختيار اللفظ المعبّر عن غرض المتكلم أو العدول به عن المقرر أصلا كان أو قياسا، وحاولت أن أبيّن ما المتسبب في هذين الاستعمالين اللّذين شاعا بشكل لافت للانتباه، هل هو الوظيفة التواصلية أم غير ذلك؟ ولِمَ هذا الخروج عن ضوابط اللغويين في تحديد دلالات الألفاظ، وعن مقولات النحويين وقواعدهم في ضبط البنى الصرفية ؟ ولِمَ هذه المخالفة–أحيانا– لما تواتر في كلام العرب وعرف بين المتكلمين باللسان العربي بنمطيته ومثاليته في عصور الاحتجاج وفيما تلاها؟ وهل لهذا الاختيار وهذه المخالفة ما يبرّرهما؟ وما الموجِّه لهذه البنى الفنية غير العادية؟ وهل من علاقة بين بنية الكلام والغرض منه (وظيفته)؟ وهل الوظيفة التواصلية هي المتسبب في الاختيار أو العدول أم هل هو شيء آخر؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات سطّرت خطة اتخذت فيها الهيكل التنظيمي الآتي:

مقدمـــة:

الفصل الأول: البنية والوظيفة في المدارس اللسانية المعاصرة وفي التراث العربي:

يتناول هذا الفصل المحاور الآتية:

أولاً: البنية والوظيفة في اللّسانيات المعاصرة: بينت في هذا المحور مفهوم البنية والوظيفة، وعرّفت فيه بالنظريات اللسانية الشكلية، والنظريات اللّسانية الوظيفية، وبخاصة الوظيفية التداولية (نظرية النحو الوظيفي).

ثانياً: البنية والوظيفة في التّراث العربي: حاولت في هذا المحور أن أحدد مفهوم البنية والوظيفة في النحو العربي، وأفرق بين البنية والصيغة كما عرضت ملامح

تحقيق المبادئ الوظيفية في التراث العربي، وشيئا من السّمات الوظيفية التداولية في الصيغ الصرفية العربية.

ثالثاً: مفهوم الصّيغ الصّرفية العربيّة ووظائفها: عرّفت موجِزاً في هذا المحور بالصيغ الصرفية (الأسماء والأفعال والصفات) وحددت بعض وظائفها التواصلية.

الفصل الثاني: اختيار الصيغ الصرفية (اِنتقاء صيغ صرفية بعينها):

تطرقت في هذا الفصل للمحاور الآتية:

أولا: مفهوم الاختيار وأسسه: حاولت في هذا المحور أن أضبط معنى الاختيار وأبيّنَ أسسه وأسبابه وأنواعه.

ثانيا: أثر الوظيفة التواصلية في اختيار صيغ بعينها: تحدثت هنا عن صفتي التداول والدقة في اختيار الصيغ الصرفية، وعن ظاهرة التوسع في المعنى باختيار الصيغة المتعددة الوظيفة أو بنقلها.

ثالثاً: نماذج من اختيار الصّيغ الصّرفية: عرضت في هذا الجزء من البحث نماذج من الصيغ المختارة (أسماء وأفعال وصفات) على أساس وظائفها التواصلية، مبيناً عدم عشوائية المتكلم العربي في كلامه.

الفصل الثالث: العدول إلى الصيغ الصرفية (مخالفة المقرَّر أثناء استعمال الصِّيَغ الصَّرفية):

يعالج هذا الفصل المحاور الآتية:

أولاً: مفهوم العدول وأسسه: حدّدت في هذا المحور المقصود بظاهرة العدول، وبينت علاقة العدول بالأسلوب وبالأصل وبالقياس، كما تطرقت لما بدا لي من ضوابط له ومُسوِّغات.

ثانياً: أثر الوظيفة التواصلية في العدول إلى صيغ بعينها: ذكرت في هذا المحور بعض ما يدفع إلى العدول في استعمال الصيغ الصرفية من وظائف تواصلية، وبيّنت أنّ العدول عن النمط المعتاد مطلب فني.

ثالثاً: نماذج من العدول إلى صيغ صرفيّة معيّنة: عرضت في هذا الجزء من البحث نماذج من الصيغ الصرفية المعدول إليها. موضّحا السّر في هذا العدول.

وختمت عملي بنتائج عامة وأخرى خاصة وصلت إليها بعد جهد المقل.

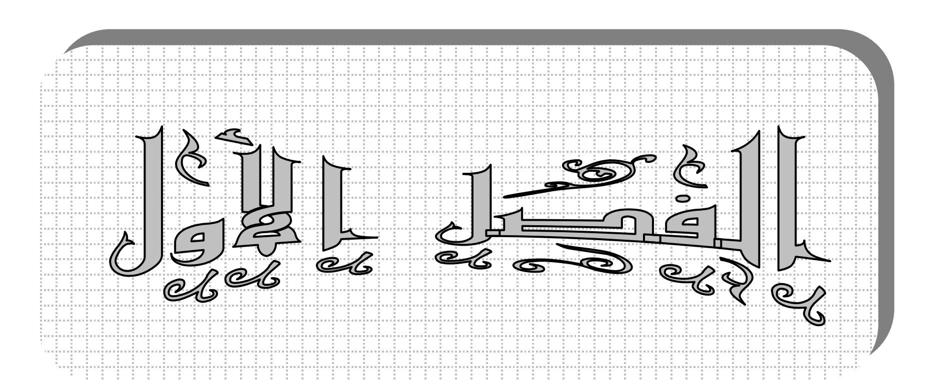
هذا وقد استفدت من أعمال ودراسات كثيرة متفاوتة الجِدّية والأهمّيـــة، منهـــا القديم، ومنها الحديث. ومن الأعمال والدراسات السابقة التي استفدت منها بـــشكل بارز:

- الكثير من كتب الدكتور أحمد المتوكل، وبخاصة مقدماتها.
- الكثير من كُتب الدكتور فاضل صالح السامرائي.
- كتاب الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم للدكتور عبد الحميد هنداوي.
- الكثير من كتب التفسير، وبخاصة تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.

سلكت في إنجاز هذا البحث طريقا جمعت فيه بين منهجين:

المنهج الاستقرائي: بتتبع ورود ظاهرتي الاختيار والعدول فيما تيسر استنباطه من آيات القرآن الكريم، وباستقراء كلام العرب فيما توفّر لديّ من مصادر اللغة نثرِها وشعرِها استخرجت الشواهد التي أثبتّ بها ما أذهب إليه، وأوضـــحت بهـــا ســـرّ الظواهر المدروسة.

المنهج الوصفي: بالوصف تعرضت للمباني التي جمعـــت نـــصوصها، وحـــالات تغيرها وأسباب هذا التغير.



البنية والوظيفة

في اللّسانيات المعاصرة

وفي التّراث العربي

أولاً: البنية والوظيفة في اللّسانيات المعاصرة.

ثانياً: البنية والوظيفة في التّراث العربي.

ثالثاً: الصّيغ الصّرفية العربيّة ووظائفها.

أوّلاً: البنية والوظيفة في اللّسانيات المعاصرة:

أ- اللسانيات البنوية:

1- مفهوم البنية:

يتعدد مفهوم كلمة بنية تعدّدَ اتِّساعِ معنى ولا تناقض فيه، ويجتمع أكثرها حول جوهر الشيء وشكله. و« البنية مفهوم عربي دقيق متقدّم على ما هو موجود الآن في اللسانيات البنوية.»[1] ومن ذلك دلالتها على الهيئة كما ورد في لسان العرب:« يقال بِنية وهي مثل رِشوة ورشاً، كأنّ البِنْية الهيئة التي بُني عليها مثل المِشية والرِّكبة... يقال: بُنية وبُنىً وبِنية وبِنىً.»[2] وتعني بنية الشيء ما هو أصيل وثابت فيه لا يتبدل بتبدل الأوضاع والحالات[3]. والبنية أنوع؛ بنية كلمة وبنية جملة وبنية نص.

وبنية الكلمة عند نحاتنا العرب هي صيغتها أو وزنها أو هيئتها المتمثلة في عدد حروفها المرتبة أصلية وزائدة وحركاتها المعينة وسكونها [4] .

والبنية نظام يقوم على قوانين داخلية تتحكم فيه، وعلاقات تربط المكونات بعضها ببعض، « دون الرجوع إلى عناصر خارجية، وهي تتميز بما يلي: بالشمولية والتحويل، والتنظيم الذاتي.» [5] مما يخرج بها لتقارب مفهوم النظام أو النسق، ويؤكّد هذا المعنى هلمسليف(1899-1965) [*]حيث يعرف البنية بقوله:

---

(1) عبد الرحمن الحاج صالح: **مقارنة بين التحليل البنوي الأوربي، و التحليل البنوي الأمريكي**، مقياس: المدارس اللسانية، محاضرة على طلبة الماجستير، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، 2004/2003.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق: علي الكبير وآخريْن، دار المعارف، القاهرة، (د ت). (بنى) 365/1.

(3) ينظر: عمر مهيبل: **البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1991، ص 16.

(4) ينظر:عبد الرحمن الحاج صالح: **المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر**، ضمن: تقدُّم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية، أفريل، 1987، الرباط، هامش ص373.

(5) محمد الحناش: **البنيوية في اللسانيات**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1980، ص101، 102.

(*)هلمسليف هو أحد أتباع المدرسة الألمانية "مدرسة النحاة الجدد" وكان يطمح في بناء نظرية جديدة تغني عن "دروس سوسير ومنوال تروباتسكوي (1890-1939) وأعمال بلومفيلد" ينظر: عز الدين مجدوب: **المنوال النحوي العربي**، قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998، ص51.

« إنّ البنية كيان مستقل من العلائق بينها تبعية وخضوع داخليان، تماما كهذه البنية التي تعتبر كُلاّ لا يتجزّأ، فهي تشكل وحدة مستقلة بين عناصرها المكونة تساند داخلي ولها قوانينها الخاصة ولا يمكن إطلاقا وجود عنصر من البنية قبل وجود الكل سواء على المستوى السيكولوجي أو الفيزيقي.»(1)

2- مفهوم البنوية (الشكلانية):

كلمة بنوية Structuralisme منسوبة إلى كلمة بنية Structure المشتقة من الفعل اللاتيني Struere.

والبنوية توجُّه فلسفي أساسه الشكل المجرد والصورة الظاهرة، والبنوية هي نظرية المعرفة، أي أنها موجودة في كل المعارف في اللغة وعلوم الطبيعة والفيزياء، وغيرها(2) ومع اللسانيات الحديثة برز هذا التوجه ليغطي العديد من المدارس والنظريات، ابتداء من الأفكار التي جاء بها دي سوسير حول موضوع دراسة الألسن ومنهج الدراسة ومحاولة تحاشي عيوب القديم، « وتشمل النظريات اللغوية التي تعتبر أنّ اللغات الطبيعية أنساق مجرّدة يمكن دراسة بنياتها بمعزل عن وظيفتها في التواصل داخل المجتمعات.» (3)، ومن هذه النظريات النظرية **البنوية الأوربية**، والنظرية **البنوية الأمريكية**.

2-1 البنوية الأوربية:

ظهرت البنوية الأوربية مع فردينان دي سو سير F.de saussure (1857-1913) ويعد أول منشئ لها لتكون مدرسة مستقلة ووضع لها أسسا قائمة بذاتها حيث حدد موضوع علم اللغة ومصطلحاته ومنهج دراسته رافضا مبادئ الدراسة التاريخية والمنهج المقارن.

---

(1) L.Hjelmslev.Sémantique structurale .Essais1951,P100. نقلا عن: (محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات، ص103.)

(2) ينظر: الطاهر شارف: **المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور** "سورة البقرة نموذجا"، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص2.

(3) أحمد المتوكل: **دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ت)، ص26.

يرى دي سو سير أنّ موضوع اللسانيات الوحيد هو اللغة في ذاتها ولذاتها، واللغة عنده هي شكل تنتظم وفقه الأصوات والمتصورات [1] و تدرس بنية في وضع آني لحظة الاستعمال.

والشكلانية هي ما يحدثه الجمع بين الأصوات والمعاني وتشكلهما معا، والفعل اللغوي ينتج عن الجمع بينهما لا بالفصل بينهما، وهذا الجمع يُحدث شكلا أو بنية هي جوهر اللغة وهذا التوجه شاع وصار له أتباع وأنصار وسمي فيما بعد بالمنحى الشكلاني وطبع جلّ الدراسات البنوية التي تحفل بشكل اللغات في واقعها الملموس[2] ، وكان أساسا لكل المدارس الحديثة ومحل تأثير بشكل أو بآخر، في أوربا وفي كثير من بلدان العالم خاصة في النصف الأول من القرن العشرين بعد ظهور كتاب"دروس في اللسانيات العامة" لفردينان دي سوسير[3] ، غير أنّ هذا المنحى ما إنْ أرسى قواعده وانتشر ظهرت عيوبه وكان محل انتقاد من قِبل كثير من الدارسين وعدُّوه خطرا على اللغة، وهذه الرؤى والانتقادات أصبحت حافزا على ظهور مدارس وتيارات مستقلة [4]، ترى في نفسها القدرة على الإغناء عن البنوية وشكلانيتها وتعسّفها في التحليل[*]، وقد زادت حدة هذه الانتقادات إلى أن صار « بعض اللغويين البنيويين لا يقبل أن يطلق عليه بنيوي أو على الأقل يتردّد في ذلك، فهو يقبل أن ينعت بوظيفي بدل بنيوي.»[5]

---

(1) ينظر: فردينان دي سوسير: **علم اللغة العام**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، 1985، ص30.

(2) ينظر: محمد الشاوش: **سو سير والألسنية**، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990، ص14.

(3) ينظر: سعدي الزبير: **العلاقات التركيبية في القرآن الكريم**، دراسة وظيفية(مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1989، ص20.

(4) ينظر: محمد الشاوش: سو سير والألسنية، ص17.

(*) مثلا عند تقطيع أيّ كلمة تدل على جمع التكسير يتعسّف البنوي في إيجاد القطعة التي تدل على الجمع. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر، ص373.

(5) محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات، ص102.

2-2 البنوية الأمريكية:

نشأت البنوية الأمريكية في استقلال تــام عــن البنويــة الأوربيــة والتفكيــر السوسيري وجاءت لتحل مشاكل متعلقة بعلم لغات الأجناس وتواصــلهم ويتمثــل هدفها « في إيجاد منهج لدراسة لغات القبائل الهندية الأمريكية الرائجة في أمريكا الشمالية.» [1] ، ويعتبر إدوارد ســابير "E.Sapir" (1884-1939) أحــد أبــرز روادها وهو ممن يعطون أهمية كبرى لمفهوم الصورة أو الشكل[2] ؛ فهو يرى أنّ اللغة مجموعة وحدات أو بنيات أو رموز. غير أنه لا يهمل الجانب الوظيفي -مثل البنويين الأوربيين الذين سبقوه- في اللغة برغم احتفائه بالبنية أكثر من الوظيفــة، فنجده يصرح دون اهتمام خاص متمثل في التنظير أو النقد بأن الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التواصل، يقول: « إن اللغــة وســيلة لا غريزيــة خاصــة بالإنسان،يستعملها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبــات عبــر رمــوز يؤديهــا بصورة اختيــارية وقصدية.»[3]

ومن النظريات البنوية الأمريكية التي ذاع صيتها النظرية التوليدية التحويليــة، وهي من النظريات التي ترى إمكانية دراسة اللغة باعتبارها بنيــة مجــردة دون النظر إلى وظيفتها بل بمعزل عنها [4] ؛ فقد جعلت النحو عمليــة ميكانيكيــة لهــا قواعدها التي تحقق العناصر اللغوية بشكل آلي، كما أنها لم تهتم بوظائف البنيات اللغوية عند حدوث عملية التحويل في مراحل توليد الجمل. ثم هي لم تراع الواقع النفسي للمتكلم ولا سياق الحديث،« واعتبرت اللغة مجرّد نشاط عقلي.» [5] وهذا

---

(1) عبد القادر المهيري: **اللسانيات الوظيفية**، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربيــة، تــونس، ط2، 1990، ص39.

(2) ينظر: طيب دبة: **مبادئ اللسانيات البنوية**، دار القصبة، الجزائر، 2001، ص 140، 141.

(3) ميشال زكريا: **الألسنية**، قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص67.

(4) ينظر: أحمد المتوكّل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 26 .

(5) يحيى أحمد: **الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة**، مجلة عالم الفكر"الألسنية"، تصدرها وزارة الإعــلام، الكويــت، المجلد20، العدد3، 1989، ص70.

هو الذي جعلنا نعتبرها نظرية بنوية غير وظيفية برغم مناهضتها لكثير من الأفكار البنوية السوسيرية؛ فهي تعيب عليها وقوفها عند وصف الصورة (الشكل) وعدم تجاوزها إلى التفسير، كتوضيح أشكال التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية. وما خالفت فيه البنوية وكان في نظر مريديها إنجازا علميا جديدا هو التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية وهو الذي أحدث ثورة لسانية وفي الوقت ذاته كان منطلقا لانتقاد هذه النظرية، وجعل الكثير يعزف عنها؛ فهي تبين وصفاً حالات التحويل في البنى التركيبية دون التعرض لأسبابه وعلاقته بوظيفة التواصل أو ملابسات الخطاب ومقامه، وهي بهذا تركِّز على الخطاب أكثر مما تركِّز على المخاطِب والمخاطَب والواقع النفسي والاجتماعي لهما، وظروف الخطاب وما دعا إليه، وهذا كله هو الانشغال الذي حمله التيار الوظيفي التداولي الذي تجاوز التجريد والبعد عن الواقع اللغوي، ورفض فكرة التحويل وجعل لكلّ عبارة أو كلام وظيفته الخاصة به وحاله ومقامه مهما تشابهت هذه العبارات، وكلّ تغيير فيها سواء أكان حذفا أم زيادة أم تقديما أم تأخيرا له استقلاليته ووظيفته وما يبرِّره [1].

والاتجاه الوظيفي يخالف هذه البنوية في التركيز على ما يكتنف هذه البنيات من تبعية لوظائفها التواصلية فلا تنتج أو تتولد إلا على هدي منها كما أنه يصف القدرة أو الملكة اللغوية للمتكلم/ المستمع، باعتبار هذه القدرة مجموعة قواعد بنوية وظيفية تمكنه أي هذا المتكلم/المستمع المحدَّد من استعمال عبارات محددة في موقف تواصلي محدد لأداء غرض محدّد [2].

والبنوية الأمريكية بقدر ما اعتبرها كثير من الباحثين لا تمتّ بصلة لأفكار دي سوسير[3] يقرّ آخرون بأنّها ترتبط بسبب أو بآخر بالفكر السوسيري ذلك لأنّ دي سوسير المؤسّس الحقيقي للبنوية الحديثة[4].

(1) ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور "سورة البقرة نموذجا"، ص4.

(2) ينظر: أحمد المتوكل: **الوظيفة والبنية**، منشورات عكاظ، الرباط، 1993، ص10.

(3) ينظر: عبد القادر المهيري : اللسانيات الوظيفية، ص39.

(4) ينظر: عمر مهيبل: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص20.

وإليه « يرجع ما أطلق عليه اسم الألسنية البنيوية عامة.»[1]

ويكاد يتفق الباحثون على أن الرأي الأخير هو الصائب؛ فدي سوسير يعد من المؤسسين الأوائل للسانيات الحديثة عامة وللسانيات البنيوية بشكل خاص.

ب- اللسانيات الوظيفية:

1- مفهوم الوظيفة:

تعني الوظيفة المهمة والفائدة والتحقيق والواجب المطلوب والدور، يقول ابن منظور: « وظف: الوظيفة من كل شيء: ما يقدر له في كل يوم من رزق، أو طعام، أو علف، أو شراب وجمعها الوظائف والوُظُف. ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفا. ألزمها إياه، وقد وظفت له توظيفا على الصبي كلّ يوم حفظ آيات من كتاب الله عزّ وجلّ. »[2]

فالوظيفة عموما هي الدور، وكلمة "وظيفة" في الدراسة اللغوية لها معنيان يهمّنا أولهما، وهذان المعنيان هما[3] :

- الوظيفة بمعنى الدور الذي تؤدّيه اللغة كظاهرة اجتماعية وهو التّواصل.
- الوظيفة بمعنى العلاقة التي تقوم بين عناصر الجملة كعلاقة الإسناد في الدّراسة الوظيفية للجملة، وكالعلاقات المقترحة في إطار الجهاز الوظائفي المعقّد[4] عند سيمون ديك وتعني :

الوظائف الثلاث:

- الوظائف الدلالية (وظيفة المنفذ ووظيفة المتقبل ووظيفة المستقبل ووظيفة المستفيد).
- الوظائف التركيبية (وظيفة الفاعل ووظيفة المفعول).

---

(1) محمد الشاوش: سو سير والألسنية، ص5.

(2) لسان العرب (وظف) 6/ 4869.

(3) ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، "سورة البقرة نموذجا" ص6.

(4) ينظر: أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، ص15-23؛ دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص10-22.

– الوظائف التداولية (وظيفة المبتدأ، وظيفة المحــور، وظيفــة البــؤرة، وظيفــة المنادى، وظيفة الذيل).

2- مفهوم الوظيفية:

الوظيفية مصدر صناعي من وظف، ويقصد بها عند أصحاب الاتجاه الوظيفي التداولي ارتباط بنية اللغة بوظيفة التواصل والتبليغ والبيان ارتباطا يجعــل البنيــة انعكاسا للوظيفة وتابعة لها، وتقوم الوظيفية على أنْ لا اعتبار للوحدات اللسانية إلا من خلال الدور الذي تلعبه في التواصل[1].

ونجد عبد الرحمن الحاج صالح يفسر الوظيفــة بالعمــل أو الــدور المــؤدَّى (التبليغ)، والوظيفية عنده نسبة إلى هذا، حيث يقول عن مدرسة براغ: « أخَــصُّ شيء تمتاز به هذه المدرسة عن غيرها هو اعتمادها الأساسي علــى العمــل (أو الدور) الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليــغ ولهــذا ســميت النزعــات المتفرعة عنها (ومنها مدرسة مارتيني الفرنسية) بالوظيفيــة. »[2] وإلــى هــذا المصطلح تنسب مدارس واتجاهات لغوية بدأت تبرز مع ظهور مدرســة بــراغ وتحاول أن تفسّر ظواهر اللغة من كلّ جوانبها. ومن هــذه الاتجاهــات الاتجــاه الوظيفي الذي أشرنا إليه الذي يعتبره بعضهم نقيضا للاتجــاه التحــويلي[3] ، وذَا موقف نقدي من التيار البنوي الذي انبثق عنه وعُدّ مندرجا فيه [4] .

3- تطور اللسانيات بعد دي سوسير:

لاشك في أنّ البحث اللساني في تطور مستمر ولم يبق حبيس أفكار سو سير بل تجاوزها –مع الاستفادة منها والارتباط بها في شيء، وبسبب أو بآخر– على

---

(1) ينظر: محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات، ص96.

(2) الحاج صالح: **مدخل إلى علم اللسان الحديث(3)**، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد الثاني، العدد1، 1972، ص54.

(3) ينظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص70.

(4) ينظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص39.

أيدي كثير من الباحثين منهم العلماء الـــروس مثـــل: جاكبـــسون وتروبتـــسكوي وكارشنسكي، والعالم الفرنسي إميل بنفنست، والعلماء الأمريكان مثـــل: بلومفيلـــد وتشومسكي وسابير، والدانماركي هلمسلاف وغير هؤلاء كثير وقد كانت أعمالهم متفاوتة القيمة العلمية ويمكن تلخيصها إجمالا فيما يأتي(1):

أ- ظهور مفهوم النسق وعدم عزل الحدود ودراستها مترابطة.

ب- التفريق بين التعاقب والتزامن، وتقديم التزامن على التعاقـــب خاصـــة عنـــد المدارس الألسنية اللاحقة بعد سو سير.

ج- «الانتقال من المستوى القصدي للأفراد الناطقين إلى المستوى القصدي الـــذي تهيمن عليه قوانين النسق، فعقلانية النسق الألسني هي عقلانية غير قصدية ».

د- أسبقية التحليل التّزامني (في اللسانيات البنوية) على تحليل التأثيرات الخارجية التي يمكن أن تمرّ بها الظواهر اللغوية.

ولا ننسى هنا أنّ النّحو التوليدي التحويلي لتشومسكي أدرج فيما بعد المـــستوى التداولي إضافة إلى المستويات (الصوتية والصرفية والتركيبية)؛ فهو يحدّد هـــذه المستويـــات ويكون سببا في وجودهـــا وهي خدم له، وهذا من أهم مبادئ الدراسة الوظيفية. فتشومسكي يقر في أواخر السبعينيات بأنّ للمتكلم قدرتين: قدرة نحوية، وقدرة تداولية (2).

وهذا الاعتراف قد يكون من تداعيات ظهور الاتجاه الوظيفي الذي بدت معـــالم وجوده مع مدرسة براغ 1926، وراح يتطور إلى أن اكتسى صبغة التداولية مع سيمون ديك في 1978.

4- المدارس الوظيفية البنوية:

يَعُدُّ الاتجاه البنيوي اللغات الطبيعية بنيات مجرّدة، يمكن دراستها وصفيا

---

(1) ينظر: عمر مهيبل: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص21، 22.

(2) ينظر: المتوكل: **اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري**، منشورات عكاظ، 1989، ص30.

بمعزل عن منتجها وعن مستقبلها ومن دون النظر إلى مقاماتها التواصلية وظروف إنجازها، ويقابل هذا التيارَ التيارُ الوظيفي (Functionalism) الذي يرى أنّ اللغة وسيلة الإنسان في التواصل والتبليغ، وترتبط بمقوماته الاجتماعية والثقافية والحضارية، يقول المسدي:« محدد اللغة وظيفيا أنها أداة الإنسان إلى إنجاز العملية الإبلاغية في صلب المجتمع مما يطوّع تحويل التعايش الجماعي إلى مؤسسة إنسانية تتحلى بكل المقومات الثقافية والحضارية. »[1]

ومن أهمّ مبادئ الوظيفية « اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية وظيفة التواصل.»[2] ويدخل ضمنه: النظريات التي تأخذ بعين الاعتبار البعد التداولي في وصف اللغة ومنها ما كان يدعى "الدلالة التوليدية" (Generative semantics)، والنظرية الوظيفية المقترحة في إطار مدرسة هارفارد الأمريكية، والمدارس الوظيفية الأوربية التي منها المدرسة النسقية (Systemics) ومدرسة براغ (Functional sentence perspective) وأخيراً النحو الوظيفي (Functional Grammar) لسيمون ديك(Simon Dik 1978)[3].

ونظرية النحو الوظيفي من أهمّ النظريات اللسانية الوظيفية التي كان لها وقع كبير في ميدان الدراسات اللغوية الحديثة، ممّا دفع ببعض أصحاب النظريات اللسانية الأسبق، مثل النظرية التوليدية التحويلية، إلى النظر مجددا في أسس نظريتهم، أو التحول عنها إلى التيارات الوظيفية والوظيفية المعجمية [4] .

---

(1) عبد السلام المسدي: **اللسانيات وأسسها المعرفية**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986، ص31.

(2) أحمد المتوكل: **الوظائف التداولية في اللغة العربية**، دار الثقافة ، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص8.

(3) ينظر: نفسه، ص8 ؛ المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص26.

(4) ينظر: ر.هـ روبنز: **موجز تاريخ علم اللغة**(في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1997، ص328، 329؛ وينظر: مسعود صحراوي: "**المنحى الوظيفي "في التراث اللغوي العربي**، مجلة الدراسات اللغوية، يصدرها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، المجلد الخامس، العدد الأول، أفريل/ يونيه، 2003، ص 13.

ومن الاهتمام بها أن اضطُرّ بعض الباحثين واللغويين إلى إعادة دراسة قواعد لغاتهم « فقد أصدر معهد اللغة الرّوسية التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية عام 1970 كتابا جديدا لقواعد اللغة الروسية المعاصرة انطلاقا من النظرية البنيوية الوظيفية. كما درس الكثير من لغات العالم من مواقع تلك النظرية كالإنكليزية والتشيكية واليابانية... وعُقدت مؤتمرات دولية لبحث المسائل المتعلقة بالتقسيم الوظيفي للجملة.»[1] ، وبهذا نال المنهج الوظيفي شهرة واسعة بين الدراسات اللغوية المعاصرة وأصبح محل استقطاب كثير من نوابغ الباحثين والدارسين وهذا بعد أن أثبتت الدراسة الوظيفية موضوعيتها العلمية وواقعيتها اللغوية في كثير من مبادئها المنهجية، مما أدّى بالتيارات الأخرى إلى فقد الكثير من مصداقيتها وضعف قدرتها على الجذب، ومردّ هذا كله ليس هو طريقة تحليلها التراكيب (الجهاز الوظائفي)، ولا مثالية مفاهيمها الإجرائية، ولاما اعتمدته من رموز رياضية وتشكيل معقّد للصيغ[2]. ولكن السّبب هو أنها لم تهمل أساسيات يفرضها الواقع اللغوي وأهملتها النظريات السابقة، ومنها ظروف إنجاز الخطاب والحال النفسي والاجتماعي لكل من المخاطِب والمخاطَب، وملابسات الخطاب والغرض منه، والأنحاء الوظيفية تنظر إلى اللغات الطبيعية على أنها إضافة إلى كونها بنية أو نسقا شكليا (صوتيا، صرفيا، تركيبيا، معجميا) تعد أداة لوظيفة أساسية هي التواصل؛ فاللسانيات الوظيفية–حسب "كونو"– هي« مقاربة لتحليل البنية اللغوية تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقتها البنيوية.»[3] ، كما يمكن أن تؤدّي اللغة وظائف أخرى قد تكون أشكالا مختلفة لوظيفة التواصل منها الوظيفة الجمالية التي هي تحويل لوظيفة التواصل

---

(1) جعفر دك الباب: **الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني**، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، ط1، 1980، ص116.

(2) ينظر: مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي "في التراث اللغوي العربي، ص 13.

(3) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص104.

عن غرضها [1] ، ومنها الوظائف السّت المشهورة عند جاكبسون(1896- 1982) التي اقترحها في1963، والوظائف الثلاث (الوظيفة التمثيلية والوظيفة العلاقية والوظيفة النصية) الواردة عند هاليداي 1970[2] التي حاول على غرارها أن « يقيم نظاما نحويا على أسس دلالية وظيفية.» [3]

فالاتجاه الوظيفي ينظر إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية تربط البنية اللغوية بوظيفة الاتصال[4]، وتعدها أصواتا ومعنى يربطهما الحافز التواصلي بين أفراد المجتمع اللغوي [5].

وضعت الأسس الأولى للنظرية الوظيفية مع دراسات ماثسيوس ابتداء من 1911 [6]. وهذه الأسس أشتات لا تكاد تذكر أو يتحدّد لها اتجاه، ويؤرّخ أكثر الدارسين للمدرسة الوظيفية بظهور مدرسة براغ (1926).

1-4 مدرسة براغ:

اهتمت مدرسة براغ بالمعنى خلافا للمدارس البنوية التي أهملته متأثرة بالفلسفة السلوكية وأفكار واطسن؛ فمدرسة بلومفيلد وغيره من اللغويين الأمريكان ربطوا المعنى بالمثير والاستجابة؛ حيث انصرف التوزيعيون عن دراسة المعنى لما تثيره من مشاكل لا حلّ لها -حسب ما يراه الوظيفيون - إلا في اعتماد مفهوم الوظيفة[7] التي هي العلاقة التي تنشأ بين عناصر الجملة أو الملفوظ وبها يمكن

---

(1) ينظر: عبد القادر المهيري : اللسانيات الوظيفية، ص42.

(2) ينظر: أحمد المتوكل: **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية**، البنية التمثيلية، أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، 1995، الرّباط، ص14.

(3) يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص93.

(4) ينظر: جعفر دك الباب: **النظرية اللغوية العربية الحديثة**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص 61.

(5) ينظر: أحمد حساني: **مباحث في اللسانيات**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص137.

(6) ينظر:جيفري سامبسون: **المدارس اللغوية، التطور والصراع**، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص106؛ وينظر: سعدي الزبير: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، ص 20.

(7) ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور "سورة البقرة نموذجا"، ص10.

ضبط المعنى، فعلى أساس الوظيفة هذه (وظيفة التواصل) تُختار عناصر الجملة أو الملفوظ ولا يُلتفَت لما لا يؤدي وظيفة أو شحنة إخبارية أو تبليغية[1] ، فلم تُعَر قضية المعنى الاهتمام الكافي في الاتجاهات البنوية مثل ما نالته في المدارس الوظيفية[2] كمدرسة براغ.

4-1-1 المبادئ الوظيفية عند رومان جاكبسون (1896-1982)

أ- العلاقة بين الشكل والوظيفة:

لا ينظر جاكبسون إلى الأشكال في حدّ ذاتها معزولة بل ينظر إلى العلاقات القائمة بينها[3]. ويركّز في دراسته الشعر على أهمية العلاقة بين الدال والمدلول أو بين الإشارة والمعنى، ويرى أننا لا نستطيع أن نحلل اللغة دون الرجوع إلى دلالة الأشكال، كما لا نستطيع الفصل بين مستويات الدراسة اللغوية (الشكل والدلالة). ويهتم النحو عنده بعلاقات البنية الخطية أو العلاقات بين عناصر التركيب؛ أي يهتم بمحور التتابع(التسلسل المنطقي) وتعتمد الدلالة على إبراز الفوارق بين التراكيب؛ أي يهتمّ بمحور الاستبدالات[4].

ب- ثنائية التّفكير الألسني:

يرى جاكبسون أنّ العلاقة الثنائية تسيطر على مختلف المستويات اللغوية، فكما نجدها في الأصوات نجدها في الدلالة وفي غيرها[5].

ومن العلاقات الثنائية التي أقرّها :

- التزامن والتعاقب.
- المحور الاستبدالي والمحور النظمي.

---

(1) ينظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص51.

(2) ينظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص74.

(3) ينظر: Roman jakobson: **Essais de linguistique générale** ,Paris ,minuit ,1973, P 133.

(4) فاطمة الطبال بركة: **النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص62.

(5) ينظر: نفسه، ص33.

– الانتقاء والتنسيق (انتقاء الكلمات والتنسيق بينها في الجملة).

– اللغة الهدف/ وما وراء اللغة؛ فالهدف من اللغة هو التواصل، وما وراء اللغة هو شرح المبهم من الكلمات.

– الخطاب الخارجي والخطاب الداخلي بين مرسل ومستقبل، أو أن يمثل أحدهما الدورين.

– ثنائية السمات التمايزية(1).

وهو بكل هذا يركز على البنيات الظاهرة، مما دفع بنا إلى اعتبار وظيفيته وظيفية ضعيفة؛ ذلك أنّ النحو الوظيفي لا يحصر دراسة النحو في البنية الظاهرة فقط بل يراعي ملابسات الخطاب وحال المخاطبين ومقاصد الكلام وأغراضه.

ج- نظرية التواصل والوظائف اللغوية

هناك فرق واضح بين حلقة الكلام عند سو سير ومخطط التواصل الكلامي عند جاكبسون، فبينما نلاحظ تجاهل سو سير البعد التبليغي نجد جاكبسون قد اهتم به اهتماما كبيرا في نظرية التواصل عنده(2).

فهو يَعتبر التبليغ والتواصل من أهمّ وظائف اللغة التي تتعدد بتعدد الأغراض المستعملة لتحقيقها، فاللغة تُدرس –حسب جاكبسون– في إطار وظائفها وتستلزم تحليل العوامل الستة المؤلفة لكل تواصل كلامي، هذه العوامل هي: الرسالة، والمرسل، والمرسل إليه، والاتصال بينهما، والمرسلة(نص الرسالة)، والمدونة التي تنتج فك الرموز.

4-1-2 المبادئ الوظيفية عند مارتيني" A.Martinet "(1908- 1999):

عرّف أندري مارتيني اللسان في إطاره الوظيفي مؤكّدا وظيفته التواصلية ولا ينكر الوظائف الأخرى التي تؤدّيها اللغة.. فهو يرى أنّ الوظيفة الأساسية للسان

---

(1) ينظر: السابق، ص41.

(2) ينظر: الجيلالي دلاش: **مدخل إلى اللسانيات التداولية**، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 15؛ وينظر: فاطمة الطبال، ص63.

البشري هي ما يسمح لأيّ إنسان أن يبلّغ تجربته الشخصية ويتواصل مع غيره من الناس [1]. ويصنّف مارتيني الوحدات اللغوية انطلاقا من وظائفها إلـــى مونيمـــات هي:

1- **المونيم المكتفي** M.autonome : هو وحدة دالة تتضمّن في بنيتهـــا دليـــل وظيفتها مثل: اليوم/غدا. ويمكن أن ينتقل المونيم من موقع إلى آخر وذلك لاكتفائه بذاته[2]، كما في قولنا:

غدا أسافر، أو أسافر غدا. فكلمة غدا هنا مستقلة بنفسها وتغيير موقعها لا يؤثّر في المعنى.

2- المونيم الوظيفي M.fonctionnel: هو الذي يساعد علـــى تحديـــد وظيفـــة عناصر أخرى مشاركة له في الوظيفة العامة للتركيب ولا يمكن لهـــا أن تـــستقل بنفسها في السياق الذي ترد فيه. كوظيفة حروف الجر ووظيفة حروف العطف في العربية.

3- **المونيم التابع** M.dépedant: هو مونيم تتحدّد وظيفتـــه بتعلّقـــه بغيـــره ولا يستقلّ بنفسه.

4- **التركيب المكتفي** Le Syntagme autonome: هو يتركب مـــن مـــونيمين فأكثر، وتتحدد وظيفته بدلالته الكلية كتركيب، ففي قولنا: في البيت رجل؛ عبـــارة في البيت تعد تركيبا مكتفيا.

5- **التركيب الإسنادي** Le Syntagme prédiatif: التركيب الإسنادي هو النواة التي ينبني عليها الملفوظ، ويتكون من عنصرين أساسيين لا يمكن حذف أحدهما، وهما: المسند إليه، والمسند.

6- **الإلحاق** Expansion: هو كل ما يضاف إلى النواة الإسنادية من عناصر

---

(1) ينظر: Martinet: **La linguistique synchronique**, P.U.F, Paris, 1970 , P9.

(2) ينظر: Martinet: **Eléments de linguistique générale**, Armand Colin, 1970, P111.

تركيبية. والإلحاق عند مارتيني ضربان: إلحاق بالعطف(Coordination)، وإلحاق بالتبعية (Subordination). ويشمل الإلحاق: النعت، والمضاف إليه، والمفعول، والمعطوف الخ [1]

7- **المزج** Amalgame: هو الربط بين دالين ليصبحا دالا واحدا، مثال ذلك في اللغة الفرنسية: مزج ă وle لتصبح au؛ فـ au دال ترابط فيه دالان، وهو غير قابل للتحليل ويكون في تراكيب خاصة[2].

نخلص من هذا التصنيف إلى أنّ النّحو عند مارتيني هو تحديد وظيفة كلّ عنصر وعلاقته بباقي العناصر في الكلام. وقد رأى مارتيني أنه توجد وسائل ثلاث لوسم العلاقات في النحو تقوم على مبدأي العلاقة والرتبة، وهذه الوسائل هي: الاكتفاء، والرتبة، واللجوء إلى وحدات مختصة لا وظيفة لها معينة في ذاتها[3].

ويرى كثير من اللسانيين علماء وباحثين أنّ مارتيني حقق بما كتبه مكانة علمية معتبرة وبخاصة فيما تعلق بعلم الأصوات الوظيفي وبالدراسة التركيبية ووظائف عناصر التركيب، فقد رأوا أنها بلغت مرحلة متميزة من مراحل تطورها لدى مارتيني. إلا أننا نجده محل انتقاد من قِبل بعض أساتذتنا وذلك في كون ما كتبه أمورا سطحية يتشبث فيها برأيه وبأفكاره بخلاف علماء اللغة المعاصرين الآخرين من أمثال جاكبسون وتشومسكي فقد أقر بأنهما كتبا أمورا عميقة تشهد بعبقريتهما [4].

---

(1) ينظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص117.

(2) ينظر: الطيب دبة: مبادئ اللسانيات البنوية، ص113.

(3) ينظر: سعدي الزبير: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، ص 25.

(4) ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: **مقارنة بين التحليل البنوي الأوربي، و التحليل البنوي الأمريكي**، مقياس: المدارس اللسانية، محاضرة على طلبة الماجستير، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، 2004/2003.

4-2 مدرسة لندن :

يتعامل المنحى الوظيفي عند مدرسة لندن مع المستويات أو الأنظمة الأربعة في التحليل اللغوي (الأصوات، المفردات، النحو، الدلالة)، وبرز فيه توجهان؛ أحدهما يتزعمه فيرث والآخر يتزعمه هاليداي[1] .

4-3 الوظيفية عند "هايمز Hymes":

يبدو أن النمط الوظيفي الذي اقترحه هايمز جاء رد فعل على التيار العقلاني الذي نشر أفكاره تشومسكي وأتباعه، وأهم ما نراه فرقا بين التيارين هو أن تشومسكي قد حصر معرفة الفرد بلغته في شيئين: الملكة الذهنية لقواعد هذه اللغة، التي سماها "القدرة" Competence، والاستعمال الفعلي للغة الذي سماه " الأداء Performance".

بينما هايمز يرى أنّ القدرة اللغوية هي أوسع من أن تكون ملكة ذهنية لقواعد اللغة بل تتمثل في القدرة على الاتصال الذي هو الوظيفة الأساسية للغات عامة، وهذا هو الذي يناسب الطبيعة الإنسانية والاجتماعية للغة[2].

4-4 الوظيفية عند " تمّام حسان":

4-4-1 مبدأ التعليق (تضافر القرائن):

ذهب تمام حسان إلى أنّ الإعراب لا يكفي ليفسر المعنى النحوي، ولكن يفسر عن طريق فكرة التعليق التي جاء بها الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" . والتعليق عند الجرجاني-كما فهمه "تمام"- هو « إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية.»[3] فلا يمكن تأديّة المعاني الوظيفية لعناصر اللغة في غياب القرائن الثلاث: اللفظية والمعنوية والحالية متضافرة.

---

(1) ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، "سورة البقرة نموذجا" ص11، 12.

(2) ينظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص94 .

(3) تمام حسان: **البيان في روائع القرآن**، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993، ص188 .

وفيما يلي نعرض هذه القرائن بإيجاز:

أ- القرائن المعنوية[1]:

وهي معاني النحو أو العلاقات السياقية (Syntagmatic relations)، وتتمثّل في: قرينة الإسناد، وقرينة التّخصيص، وقرينة النّسبة، وقرينة التّبعيّة، وقرينة المخالفة.

ب- القرائن اللفظية[2]: وهي ما يقدّمه علما الأصوات والصرف للنحو من قرائن صوتية أو صرفية، وهي: العلامة الإعرابية والرتبة والصيغة والمطابقة والربط والتضام والأداة والتنغيم.

ج- قرينة الحال(السّياق)، أو المقام (الواقع الاجتماعي والثقافي والحضاري).

2-4-4 ملخص الأفكار الأساسية لِنموذج تمام حسان :

لقد لخّص تمام حسان نفسه الأفكار الأساسية التي قام عليها نموذجه، التي يبدو من خلالها اهتمامه بالوظيفة التواصلية (المعنى) أساسا لوجود النحو وتراكيبه، والصرف ومبانيه، ومن أهم هذه الأفكار[3]:

1- تقسيم سباعي للكلمات.

2- إمكان نقل لفظ من أقسام الكلم إلى استعمال آخر.

3- المعنى إما وظيفي أو معجمي أو دلالي.

4- قد يتعدّد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد.

5- تنقسم الجملة إلى اسمية وفعلية ووصفية، كما تنقسم من حيث المعنى انقساما آخر: خبرية وشرطية وطلبية وإفصاحية.

6- إذا تحقق المعنى الوظيفي أمكن التحليل، ولو لم يتحقق المعنى المعجمي.

7- النحو نظام من القرائن التي تعبر عنها معان مأخوذة من الصرف والأصوات.

---

(1) ينظر: تمام حسان: **اللغة العربية معناها ومبناها**، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998، ص191.

(2) ينظر: نفسه، ص205.

(3) ينظر: تمام حسان: تعليم النحو بين النظرية والتطبيق، مجلة المناهل المغربية، العدد7، 1976. نقلا عن: (محمود نحلة: **نظام الجملة في شعر المعلقات**، دار المعرفة الجامعية، مصر،1991، ص83.)

8- القرائن إما معنوية وإما لفظية والقرائن المعنوية هي العلاقات السياقية.

9- القرائن لا تعمل إلا متضافرة فلا يمكن لواحدة منها أن تستقل بأداء.

10- التضام إحدى القرائن اللفظية وهو ينقسم إلى التلازم والتنافي والتوارد.

11- قد يتضح المعنى بدون إحدى القرائن فيمكن الترخص فيها بحذفها.

12- القول بتضافر القرائن يغني عن القول بالعامل.

13- هناك فرق بين الزمن النحوي والزمن الصرفي؛ فالنحوي هو الزمن في السياق، والصرفي هو الزمن في الإفراد.

14- لا يمكن فهم الزمن النحوي بدون فكرة الجهة التي تعدّ نوعا من تخصيص الدلالة في الفعل ونحوه.

15- الجهات المخصصة لمعنى الحدث في الفعل هي المنصوبات، والمخصصة لمعنى الزمن فيه هي النواسخ والأدوات والظروف.

16- علم المعاني قمّة النّحو العربي.

17- لا يمكن الاكتفاء بمعنى المقال عن المقام.

نالت أفكار "تمام" قبولا واسعا بين الدارسين واللغويين ونُوّه بها وشُهّر لها، كما انتقدها العديد من الباحثين(*).

(*) ذكر هو نفسه بعض الكتب والحوليات والمجلات التي تطرقت لأفكاره في تقديمه لكتابه: اللغة العربية معناها ومبناها، ص5، 6. كما انتقده عز الدين المجدوب في كتابه " المنوال النحوي العربي" مرجع سابق. تناول أفكاره بالنقد بتوسع في المواضيع التالية: مقاربة التراث النحوي في ص37 ، أقسام الكلام في ص192، الوظائف النحوية في ص265 ، حركات الإعراب في ص280. ومن الذين انتقدوا أفكاره محمد صلاح الدّين الشريف في مقال عنوانه: النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، مجلة حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد 17، 1979. (نقلا عن: محمود نحلة: نظام الجملة في شعر المعلقات، ص84.)؛ و ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، "سورة البقرة نموذجا" ص33، 34.

5- النّظريّة الوظيفية التداولية (سيمون ديك - أحمد المتوكّل):

كان فضل السبق في دراسة اللغات في جانبها التداولي لفلاسفة اللغة العادية، فقد أبرزوا بعض الظواهر المتعلقة بالواقع الاستعمالي للغة في المقامات المختلفة للوصول إلى أهداف، وللإفصاح عن رغبات من ذلك ما وضعوه من تحليلات لظواهر مرتبطة بالإحالة والاقتضاء وأفعال الكلام، وتمّ اقتراض هذه المفاهيم لتستعمل في الدراسات اللغوية[1]. والتعاون بين الفلاسفة واللغويين مثمر وفعال يعكس ما بين المعارف الإنسانية التي ترتبط باللغة بسبب أو بآخر من تكامل وانسجام وما تقدمه هذه المعارف من معطيات يستفاد منها في تحليل تراكيب اللغة وتفسير ظواهرها، لاسيما فيما يخصّ « أمهات القضايا من حيث تحليل اللغة، وأعني بها: كيفية تفاعل البنية والوظيفة »[2]، لكن سرعان ما تجاوز الدرس الوظيفي التداولي التفكير الفلسفي في اللغة وعمل على صقل أدوات تحليله [3]، وهو يتناول الكيفية والشروط الخارجية لاستخدام دوال اللغة أثناء الخطاب، كما يتناول طريقة تفسيرها انطلاقا من المقام وسياق الحال أثناء التعبير عن الأغراض التواصلية لا قبله ولا بعده، فنظرية النّحو الوظيفي ترى أنّ الأهداف التواصلية هي التي تحدد خصائص بنيات اللغات التي تستعمل لتحقيقها[4] ، وتختلف جذريا عن النظرية البنوية التي تدرس اللغة باعتبارها نظاما معزولا عن الواقع الذي أنتج فيه، وتكتفي بالمدوّنة اللغوية المعدَّة سلفا، وتجعل العناصر الفاعلة في الكلام من مثل ظروف الخطاب وملابساته وحال المتخاطِبيْن عناصر خارجة عن اللغة[5].

رغم تباعد زمن وجود المدارس الوظيفية الثلاث (براغ، النحو النسقي، النحو الوظيفي) واختلاف بيئاتها الثقافية وجدناها تشترك في مجموعها في نظرتها

---

(1) ينظر: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص15.

(2) الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص52.

(3) ينظر: نفسه، ص51.

(4) ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص10.

(5) ينظر: الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور "سورة البقرة نموذجا"، ص13.

لطبيعة اللغة؛ فهي تتفق على أنّ وظيفة اللغة التواصل بين أفراد المجتمع للإخبار أو الإقناع أو الترغيب أو التعبير عن شعور.

تعدّ نظرية النحو الوظيفي The theory of functional grammar التي اقترحها اللساني سيمون ديك (Simon Dick سنة 1978) [*] إحدى أهم النظريات اللسانية الوظيفية كما أنها جزء من نظرية تداولية شاملة يشكل التواصل اللغوي موضوعا لها[1]، كما تعدّ – حسب "المتوكل"– « النظرية الوظيفية التداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة، ولمقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية من جهة أخرى، كما يمتاز النحو الوظيفي على غيره من النظريات التداولية بنوعية مصادره. فهو محاولة لصَهْر بعض من مقترحات نظريات لغوية:

– النحو العلاقي (Relational grammar)

– نحو الأحوال (Case grammar) الوظيفية (Functionalism)

– ونظريات فلسفية: نظرية الأفعال اللغوية (Speech theory acts). »[2]

أَقْبلَ كثير من الباحثين على أفكار هذه النظرية وتجاوبوا مع الجديد فيها، ومنهم من دعا إلى إعادة النظر في أسس نظرياتهم ومبادئها أو تركها والتحول عنها –رغم سبقها وقيمتها العلمية– إلى التيارات الوظيفية، كأصحاب النظرية التوليدية التحويلية[3] ، ويعود السبب في ذلك –حسب المبادئ المسطّرة في نظرية النحو الوظيفي– إلى أنها« اهتمت بتغطية جوانب أساسية في الظاهرة اللغوية، وسدّ ثغرات خلفتها النظريات غير التداولية في محاور حيوية، كـ(الكلام، وسياق الحال، وملابسات الخطاب...) وإدراج ذلك كله ضمن وصف الظواهر اللغوية وتفسيرها.» [4] ، وهي بهذا تحاول أن تحقّق مقياس الفصاحة ومقوّمات صحة

(*) من خلال كتابه: Dik (Simon): Functional grammar, North Holland, Amsterdam,1978.

(1) ينظر: محمود سليمان ياقوت: **فقه اللغة وعلم اللغة**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص225.

(2) الوظائف التداولية، ص9.

(3) ينظر: روبنز: **موجز تاريخ علم اللغة**، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص361، 362.

(4) مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي "في التراث اللغوي العربي، ص13.

التراكيب كما يراها بعض علماء اللغة التي من أهمّها مطابقتها لمتطلبات المناسبات، ومقتضيات الأحوال [1]، أو ما يسمّى بالخلفية الوظيفية أو خلفية وظيفة التبليغ والتواصل التي تحقق صحتها النحوية الوظيفية [2] .

مرّت نظرية النحو الوظيفي بمرحلتين هما:

نموذج الجملة (1978):

ظهر مع كتاب سمون ديك"النحو الوظيفي"(Functional grammar)، وتلته أبحاث ومؤلفات أخرى، تعالج موضوع نحو الجملة .

نموذج النص (1989):

ظهر مع كتاب ديك "نظرية النحو الوظيفي"(The theory of functional grammar) هذا النموذج يتميز عن النموذج الأول بأفكار جديدة تجاوزت نحو الجملة إلى نحو النص،وقد أُتْبِع هذا الكتاب بدراسات وأبحاث أجراها المؤلف مع عدد من الباحثين (منهم أحمد المتوكل) وأعمالهم مستمرّة إلى اليوم تقوم بضبط أفكار هذا النموذج ومفاهيمه وتدقيقها وتوسيعها[3].

المبادئ الوظيفية في نظرية النّحو الوظيفي:

على أساس معيار "الوظيفة" الذي هو أهم ما يميز نظرية النحو الوظيفي حدّد منظرو هذا الاتجاه منطلقات منهجية وأسساً تقوم عليها نظريتهم سمّيت المبادئ الوظيفية، نلخص أهمّها فيما يلي [4] :

---

(1) ينظر: مهدي المخزومي: **في النحو العربي، نقد وتوجيه** ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986/1406، ص226.

(2) ينظر: عبد الجبار توامة: **المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي**، أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23، 24 أبريل 2001، بالمكتبة الوطنية، الجزائر،2001، ص282.

(3) ينظر: يحيى بعيطيش: **النحو العربي بين التعصير والتيسير**، (مقال)، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال ندوة تيسير النحو، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 2001، ص122.

(4) ينظر: Simon Dik في: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص78؛ الوظائف التداولية، ص10؛ دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ، ص9؛ قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص13؛ وينظر: محمود سليمان ياقوت: فقه اللغة وعلم اللغة، ص225.

1- الوظيفة الأساسية للّغات الطبيعية هي وظيفة التّواصل:

النحو الوظيفي نظرية لسانية تسعى إلى أن توصف اللغات الطبيعية وظيفيا وذلك باعتبار الخصائص البنيوية للغات محدّدة (جزئيا على الأقلّ) بما تسعى هذه اللغات إلى تحقيقه من أهداف تواصلية [1]. فاللغويون الوظيفيون يجمعون على أنّ اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية تختلف بنياتها من مجتمع لآخر، وتشترك عند كل المجتمعات في وظيفة واحدة، فهي تستعمل أساسا لإقامة التواصل بين البشر وهو وظيفتها الأساسية، وهذا لا ينفي أنها تقوم بوظائف ثانوية أخرى كالوظائف الست التي أقرها جاكبسون والوظائف الثلاث لهاليداي.

2- تبعية البنية للوظيفة :

اللّسان الطبيعي بنية (تراكيب أو عبارات) تؤدّي وظيفة أساسية هي التواصل، بحيث تتحدد الخصائص البنوية لعبارات هذا اللسان (صرف، تركيب، تنغيم) انطلاقا من الأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسائل لتحقيقها، فبين البنية والوظيفة علاقة تبعية [2]؛ فبنية العبارات اللغوية تعكس إلى حدّ بعيد وظيفتها التواصلية في واقع لغوي محدد، وفي ظل معطيات إنجازية خاصّة، وهذا مبدأ منهجي عامّ معتمد في اللسانيات الوظيفية[3]، واستجابة لهذا المبدأ المنهجي تدرس ظواهر اللغة بوصفها كلاما محددا مستعملا من قِبل مخاطِب محددٍ في ظروف محددة موجها إلى مخاطَب محددٍ لأداء وظيفة تواصلية محددة. وهذا أهمّ مبدأ يقوم عليه الدرس الوظيفي المعاصر، « فالبنية التركيبية والصرفية تعكس إلى حد بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة التواصل، بحيث يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في طبقات مقامية معينة.»[4]

---

(1) ينظر: المتوكل : الوظائف التداولية، ص11.

(2) ينظر: المتوكل: **آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي**، كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط1، 1993، ص21.

(3) ينظر: المتوكل: الوظيفة والبنية، ص35.

(4) المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص65.

3- موضوع الدرس اللّساني هو وصف "القدرة التواصلية" (للمتكلّم/المخاطَب).

موضوع الدرس اللغوي عند الوظيفيين التداوليين هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم/المستمع، التي تجمع بين النحو والتداول، مخالفين بنظرتهم هذه ما ذهب إليه تشومسكي (1977، 1988) الذي يرى أنّ القدرة قدرتان: قدرة نحوية صرف، وقدرة تداولية، ورغم هذا الاختلاف نجد كل النظريات اللسانية تكاد تجمع على أنّ موضوع الدّرس اللّساني والوصف اللغوي هو وصف القدرة التواصلية للمتكلّم/المخاطب وتختلف في تحديد هذه القدرة [1]. والقدرة التواصلية في نظرية النحو الوظيفي يحدّدها سيمون ديك (1989) بكونها:« ما يمكّن (مستعملي اللغة الطبيعية) من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللغوية، أي ما يمكنهم من التفاهم والتأثير في مدخرهم المعلوماتي (بما في ذلك من معارف، وعقائد وأفكار مسبقة وإحساسات) والتأثير حتى في سلوكهم الفعلي عن طريق اللغة.»[2]

4- يجب أن يسعى النحو الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات

تنفرد نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك بمبدأ آخر إضافة إلى مبدأ تبعية البنية للوظيفة هو وجوب أن يسعى النحو الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات[3]

أ- **الكفاية التداولية** (Pragmatic adequacy):

الكفاية التداولية هي ما يربط بين خصائص العبارات اللغوية وكيفية استعمالها في سياق ومقام خاصين، وتتحقق هذه الكفاية في نحوٍ ما إذا كان قادرا على كشف التفاعل القائم بين بنية اللغات الطبيعية ووظيفتها التواصلية. ويكتب ديك

(1) ينظر: المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص16.

(2) ديك في: المرجع نفسه، ص 16.

(3) ينظر: Simon Dik في: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص78؛ الوظائف التداولية، ص10؛ دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص9؛ قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص13.

(1989) في معرض تعريفه للكفاية التداولية :« نريد من النحو الوظيفي أن يكشف لنا عن خصائص العبارات اللغوية التي لها علاقة بالكيفية التي تستعمل بها هـذه العبارات، وأن يفعل ذلك بالطريقة التي تمكن من ربط هذه الخصائص بالقواعـد والمبادئ التي تحكم التفاعل اللغوي.»[1] فلا تحقُّق للكفاية التداولية من دون تفاعل بين البنية والوظيفة في سياق حديث خاص ومقام محدد.

ب- الكفاية النفسية (Psychological adequacy):

يسعى النحو الوظيفي إلى تحقيق الكفاية النفسية، في وصفه البنيات اللغوية من حيث إنتاجها وفهمها وتحليلها ولا يتأتَّى ذلك إلا بعدم مخالفة ما وصلت إليه علوم النفس بصفة عامة وعلم اللغة النفسي بصفة خاصة من نتـائج وحقـائق، يقـول المتوكل:« يكون النحو كافيا نفسيا إذا لم يتعـارض مع الفرضيات النفسية حـول إنتـاج اللغة وفهمها.»[2] ويتمّ ذلك بالاستفادة من نتائج أبحاث علم النفس، وعلـم اللغة النفسي Psycholinguistique ، ومتابعـة تطـورات النمـاذج النفـسية (Psychological models) ومطابقتها سواء منها "نماذج الإنتـاج"؛ أي إنتـاج المتكلم العبارة اللغوية وصياغتها أو "نماذج الفهم"؛ أي تحديد الطريقة التي يحلـل بها المخاطب العبارة اللغوية ويؤولها التأويل الملائم [3] . وبذلك تطابق قواعد هذا النحو العمليات القائمة في ذهن المتكلم/المستمع أثناء إنتاج الخطاب وفهمه، فالنحو الوظيفي يلغي من نموذجه القواعد التي شكّك فـي واقعيتهـا النفـسية كالقواعـد التحويلية[4].

جـ- الكفاية النمطية (Typological adequacy):

تتمثل الكفاية النمطية في محاولة وضع نموذج شبه جامع لوصف أكبر قدر

---

(1) ديك، في: المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 19.

(2) المنهج الوظيفي، ص 21.(نقلا عن: محمود سليمان ياقوت: فقه اللغة وعلم اللغة، ص225.).

(3) ينظر: المتوكل: الوظائف التداولية ص11، دروس في اللسانيات الوظيفية، ص 10. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 20.

(4) ينظر: المتوكل: الوظائف التداولية ص11.

ممكن من اللغات، ويحقق النحو الكفاية النمطية إذا استطاع أن يضع نحوًا للغـــات طبيعية متباينة نمطيا، وأن يصف ما يؤالف وما يخالف بين هذه اللغات المختلفـــة (ديك 1978) [(1)]، وتقتضي الكفاية النمطية في لغة ما أن تظــل قواعــد وصـــف ظواهرها لاصقة بخصائصها، وأن تتميز بدرجة عالية مــن التجريــد لتــستطيع وصف الظاهرة نفسها في أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية [(2)].

ويصعب تحقّق هذا النوع من الكفاية بل قد يستحيل ومردّ هذا أنّ كل لغة تتميــز بخصائص إبستمولوجية ومقوّمات فكريّة وانتماء حضاريّ. يشير المتوكّل إلى هذه الصعوبة بقوله:« فإن اقتربت كثيرا من الوقائع اللغوية للغات معيّنـــة كـــان مـــن العسير انطباقها على لغات أخرى وإذا كانت موغلة في التجريد أصبحت عـــاجزة عن رصد الوقائع اللغوية كما تحقّق في لغات معينة. وهكذا، يتعين على النظريـــة الرامية إلى الحصول على درجة معقولة من الكفاية النمطية أن تــصوغ مبادئهـــا وقواعدها وتمثيلاتها متوخية توسطا بين التجريد والملموسية يؤهّلها لوصف أكبـــر عدد ممكن من اللغات الطبيعية.»[(3)]

يعدّ المبدأ الثاني(تبعية البنية للوظيفة) المبدأ الوظيفي الأهـــم والأكثـــر واقعيـــة وإجرائية، لذا ركزنا عليه وكان أساسا نظريا لدراستنا. ويُعدّ المبدأ الأول (الوظيفة الأساسية للّغات هي وظيفة التّواصل) منطلقا أساسيا تقرّ به جلّ النظريات اللغوية. ويُعدّ المبدأ الثالث(موضوع الدرس اللـــساني هـــو وصـــف القـــدرة التواصـــلية للمتكلم/المخاطب) « مجرد سمة تمييزية، به تتمـــايز النظريـــات الوظيفيـــة مـــن النظريات غير الوظيفية، وليست لـــه امتدادات تطبيقية. »[(4)] والمبدأ الرابع (السعي إلى تحقيق الكفايات الثلاث) عبارة عن غايات قد لا تتحقق، ولم تتحقق تحققا كاملا

---

(1) ينظر: المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 26. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص21.

(2) ينظر: المتوكّل: الوظيفة والبنية، ص5.

(3) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 21 .

(4) مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي "في التراث اللغوي العربي، ص17.

حتى في نظرية النحو الوظيفي ذاتها [1] ، وبخاصة ما تعلق بالكفاية النمطية.

هذا ولم نسلم بكل ما جاء في هذه النظرية وتبقى عملا علميا متميزا مع ما يشوبها من نقص وما يعتريها من غموض في كثير من القضايا والمفاهيم الإجرائية ومما يؤخذ عليها الصياغة الصورية المعقّدة والرموز الرياضية المجردة، والابتعاد عن الواقعية والبساطة في كثير من أفكارها[2]، وهي تسعى دوما إلى التطوير والتعديل، ولا يزال منظروها في بحث مستمر، وتحوير وتجديد.

ثانياً: البنية والوظيفة في التراث العربي:

أ- البنية في التّراث العربيّ:

1- بين البنية والصّيغة :

البِنية من البناء، وبناء الشيء يكون « بضمّ بعضه إلى بعض.» [3] والصّيغة هي البنية بهيئتها (حروفها وحركاتها) لها معنى معجمي وآخر صِيغي كما لها وزن يمَكّن من وضعها في قالب من قوالب الأبنية المقررة في اللغة، فإذا لم يمكن ذلك اعتبرت الكلمة بنية وليست صيغة؛ فالصيغة منحصرة في الأسماء والأفعال والصفات، أما البنية فهي عامة شاملة لباقي مباني التقسيم: الضمير وأكثر الخوالف والظرف والأداة؛ فهذه الأخيرة(البنية) وإن دلت على معنى وظيفي فهو إنما تدل عليه بمادتها ولفظها ولا تدل عليه بقالبها أو صيغتها، ومن ثم فإن كل صيغة بنية، وليس كل بنية صيغة [4].

2- البنية في النحو العربي:

يرى علماء اللغة أنّ النحو العربي نشأ أوّل مرة لإصلاح اللّحن الذي وقع في

---

(1) ينظر: السابق، ص17.

(2) ينظر: نفسه، ص13.

(3) ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، 302/1.

(4) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص133؛ وينظر: عبد الحميد هنداوي: **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم**، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2002 ، ص25 ، 26.

قراءة القرآن، وفي ضبط أواخر كلماته، وبدأ ينتشر في البيئة العربية بسبب دخول الأعاجم والموالي في الإسلام؛ فبدأ العلماء بوضع « قواعد تركّز على العلامة الإعرابية»[1]، ومبنى الكلمات دون الانتباه كثيرا إلى المعنى وهذا التوجّه قد فرضته ظروف تعليم اللغة لغير الناطقين بها (الأعاجم والموالي) ، وفي هذا المضمار يقول حسان تمام:« ولكن الظروف التي دعت إلى نشأة الدراسات اللغوية العربية كانت العامل الرئيسي في تحديد مسار هذه الدراسات وفلسفة منهجها. فلقد نشأت دراسة العربية الفصحى علاجا لظاهرة كان يخشى منها على اللغة وعلى القرآن، وهي التي سموها(ذيوع اللحن)... من هنا اتّسمت الدراسات اللغوية العربية بسمة الاتجاه إلى المبنى أساسا، ولم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعاً لذلك، وعلى استحياء. »[2] واستمر هذا التركيز على المبنى أو الشكل زمنا طويلا، إلى أن صار عيبا انتقده بعض علماء اللغة، ومنهم الشيخ عبد القاهر الذي نجده يردّ على الذين قصَروا النحو على الشكل وتحقيق العلامة الإعرابية قائلا:« وأما النحو فظننته ضربا من التكلف، وبابا من التعسّف، وشيئا لا يستند إلى أصل، ولا يعتمد فيه على عقل، وأنّ ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده في المبادئ، فهو فضل لا يجدي نفعا ولا تحصل منه على فائدة، وضربوا له المثل بالملح كما عرفت.»[3] شبَّه النحو بالملح في الطعام قاصدا أهميته، ولكن يؤخذ منه على قدر الكفاية، ولا يعني أنّه يزهد في النحو، ويقلّل من شأنه بل بالعكس يحذر من ذلك، حيث يقول:« وأمّا زهدهم في النحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدّم[*].

---

(1) محمود أحمد نحلة: **لغة القرآن الكريم في جزء عمّ**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص453، 454.

(2) اللغة العربية معناها ومبناها، ص11، 12.

(3) عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجـاز في علم المعاني**، شكله وشرح غـامضه وخرج شواهده ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2000، ص67، 68.

(*) يقصد بالذي تقدم: ذم الشعر وتهجينه، والمنع من حفظه وروايته، والعلم بما فيه من بلاغة وما يختص به من أدب وحكمة. ينظر: دلائل الإعجـاز في علم المعاني، ص86.

وأشبه بأن يكون صدّا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه. »[1]

وعن إبعاد النحاة القدامى مجال النحو عن علم المعاني، وضرر ذلك يقول إبراهيم مصطفى:« فالنحاة حين قصروا النحو على أواخر الكلمات وعلى تعرف أحكامها قد ضيقوا من حدوده الواسعة، وسلكوا به طريقا منحرفة، إلى غاية قاصرة، وضيَّعوا كثيرا من أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارة. فطرق الإثبات، والنفي، والتأكيد، والتوقيت، والتقديم، والتأخير، وغيرها من صور الكلام قد مروا بها من غير درس، إلا ما كان منها ماسّاً بالإعراب، أو متصلا بأحكامه، وفاتهم لذلك كثير من فقه العربية، وتقدير أساليبها.»[2] وكلامه هذا لا نظنه يقصد به مرحلة نشأة النحو إذا ما نظرنا إلى ظروف هذه المرحلة، فما يريده أن يتجسد من الطبيعي أن يأتي في مراحل متطورة يطلب فيها الإبداع في الدراسة اللغوية، وذلك حينما يكون المتلقون لهذه اللغة أناسا فهموا على الأقل بعض أسرارها ولطائفها، أمّا أنْ تقدم هذه النماذج والأساليب لغير العربي فهذا غير ممكن. وقد كان هذا الاهتمام بالشّكل أكثر من المعنى في بدايات نشأة النحو لغرض التعليم، أمّا فيما بعد فقد ظهر عند كثير من حذّاق النحاة والبلاغيين والأصوليّين والمفسّرين الاهتمام بالمعنى أو بوظيفة الكلمات بجانب شكلها، وعالجوا ظواهر لغوية تماثل تلك التي عولجت في النحو الوظيفي المعاصر، وممّا تصدّوا له ظاهرة الترابط بين البنية الشكلية للغة وخصائصها الوظيفية التداولية[3] ، ومن هؤلاء العلماء سيبويه (ت180هـ)، ابن جني(ت392هـ)، الجرجاني(ت471هـ)، السكّاكي(ت626هـ). ففيما تركوه لنا وقفات منثورة تظهر حقّا عدم إهمالهم لمعاني البِنيات والتراكيب ووظائفها، ومن ثمّ معرفتهم بالوظيفة الأساسية للغة وعلاقة البنية بالوظيفة كل ذلك في إطار التواصل، فقد عرّف

(1) السابق، ص86، 87.

(2) إبراهيم مصطفى: **إحياء النحو**، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003، ص 2، 3.

(3) ينظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص41.

"ابن جني" اللغة على هذا الأساس قائلا:« أما حدّها فإنها أصوات يعبِّر بها كلّ قوم عن أغراضهم.»[1] ؛ فاللغة ليست صوتا فقط ولا مجموعة تراكيب معزولة، ولا لفظا مجرّدا من معنى، بل هي أداة تطلبتها أحوال البشر للتعبير بها عن أغراضهم من خلال خطابات معيّنة تجرى في مقامات معينة، يقول عبد الرحمن الحاج صالح:« إنّ تعلّم اللغة لابدّ أن يستجيب لما يحتاج إليه المتعلم للتعبير عن كل ما يختلج في نفسه وما يبدو في ذهنه وما يكنه من غرض، فاللغة وضعت للتبليغ والاتصال قبل كل شيء، فإذا لم يفهم ذلك المعلم وقصد تعليم الأساليب التي يجدها في النصوص في ذاتها ولنفسها، أي كنماذج الأساليب الجميلة، ودون مراعاة الاحتياجات التعبيرية الحقيقية التي يشعر بها المتكلم عند استعماله الفعلي للغة في مختلف الأحوال الخطابية التي تثيرها الحياة اليومية فإنه يكون بذلك أخطأ الغرض والأساس بل جمد بذلك استعمال اللغة العربية وقصره على الجانب الأدبي الجمالي ليس غيره.» [2]

ب- الوظيفة في التّراث العربي:

1- ملامح المنحى الوظيفي التّداولي عند العرب:

يرى المتوكل أنّ المبادئ المنهجية التي اعتمدها اللغويون القدامى تشابه من قريب أو من بعيد المبادئ المنهجية التي تحكم الدرس اللغوي الوظيفي المعاصر[3].

وفيما يأتي نقدم شيئا مما هو مطبّق ومطلوب من مبادئ وظيفية في الفكر اللغوي العربي:

---

(1) ابن جني: **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، 2000، 33/1.

(2) الحاج صالح: **الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية** في التعليم ما قبل الجامعي، المجلة العربية للتربية، تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، العدد2، 1985، ص22.

(3) ينظر: اللسانيات الوظيفية، ص84.

1-1 الوظيفة الأساسيّة للّغة هي وظيفة التّواصل:

يشير ابن جني في تعريفه السابق للغة إلى أنّها وسيلة التعبير عن الأغـــراض. ومكوناتُها أصوات يختار منها الإنسان ما يلائم مقاصده وما يفصح به عما يختلج في صدره من شعور وما يجول في خاطره من فكـــر؛ فاللغـــة معتبـــرة بـــأحوال استعمالاتها بين أفراد المجتمع، ولهذا كان تعليم اللغة يهدف إلى إكـــساب المـــتعلم القدرة على تبليغ أغراضه بعبارات سليمة في أحوال الخطابات المختلفـــة، يقـــول عبد الرحمن الحاج صالح:« الغاية القريبة والبعيدة التي يرمي إليها كل تعليم للغات الحية هو تحصيل المتعلم على القدرة العملية على تبليغ أغراضه بتلك اللغة وفـــي نفس الوقت على تأدية هذه الأغراض بعبارات سليمة، أي من تلك التي تنتمي إلى ما تعارفه الناطقون بها أوضاعا ومقاييس.»[1] ومن قبلُ نبـــه ابـــن هـــشام علـــى ضرورة مراعاة الوظيفة التواصلية عند الإعراب وحذر النحويَّ من التقصير فـــي ذلك تركيزا على جانب الصناعة النحوية على حساب المعنى قائلا:« أن يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى، وكثيرا ما تزلّ الأقدام بسبب ذلك.»[2]

2-1 تبعيّة البنية للوظيفة:

تحدث سيبويه في كثير من أبواب كتابه على المعنى الوظيفي وبيّن أنّ المبنـــى يأتي لخدمته، يقول الراجحي:« والمنهج الذي نرتضيه هو الذي يقع فـــي الناحيـــة الأخرى، وهو الذي أصله سيبويه وظل يوجه الفكر النحوي في تاريخه الطويـــل، المعنى هو الأصل في اللغة، وليس للنحوي غاية إلا الوصول إلى المعنى، وكـــل فصيلة من فصائل النحو، وكل تركيب من تراكيبه ليس مجرد أشكـــــال ومبـــان، وإنما هي معـــان تتقمص مبـــاني، ومن ثمّ فإنّ التحليـــل يرد المبنى إلى أصـــله، ويربطه بمعناه، أو يجعله تاليا له، فالمبتدأ والخبر ليسا اسمين مرفوعين في بنية

---

(1) الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، ص19.

(2) ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2004، 675/2.

شكلية، وإنما هما تركيب مخصوص يصدر عن معنى معين...»[1]، وبهذا تكون العلامات الإعرابية والتقسيمات المبنوية والظواهر النحوية سمات تمييزية لخدمة المعنى وهو الموجه لها وسبب وجودها. يقول السيرافي (ت368هـ):« اِعلم أنّ المعرفة تشارك النكرة في موضعين، وإنما يكون التعريف والتنكير فيهما على قصد المتكلم...» [2] فالأغراض هي الأساس فيما يطرأ على البنيات.

ويقر الزمخشري(ت538هـ) أنّ الوظيفة التواصلية أو المعنى هو المحدِّد للّفظ وأساس وجوده و« اللّفظ تابع للمعنى.»[3] وكل تغيير يطرأ على المباني من حذف أو زيادة أو إدغام أو فك لابد أن يكون أساسه ما أريد بهذه المباني من معان، يقول ابن جني:« فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زِيد فيها شيءٌ أوجبت القسمة له زيادة المعنى به، وكذلك إن انحُرِف به عن سمته (وهَدْيَتِه)، كان ذلك دليلاً على حادث متجدّد له.» [4] فالبنية بألفاظها وتراكيبها تأتي لخدمة وظيفة التواصل وأداء المعاني، « فكأن العرب إنما تحلي ألفاظها وتدبجها وتشيها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها إلى إدراك مطالبها»[5] ؛ فالعرب تأتي بكلامها على أساس من هدف تأليفه. قال ابن جني في حديثه عن الوظيفة التواصلية للالتفات إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾(الفاتحة:5) بعد ما كان بصيغة الغيبة في قوله:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ (الفاتحة: 2) « فليس ترك الغيبة إلى الخطاب اتساعا

---

(1) عبده الراجحي: **النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية**، ضمن: تمام حسان رائدا لغويا، كتاب تذكاري، إعداد وإشراف: عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2002/1423، ص250.

(2) إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص176.

(3) الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، 82/5.

(4) الخصائص 268/3.

(5) نفسه 220/1.

وتصرفا بل هو لأمر أعلى ومهم من الغرض أعنى. وذلك أن الحمد معنى دون العبادة، ألا تراك قد تحمد نظيرك ولا تعبده؛ لأنّ العبادة غاية الطاعة والتقرب بها هو النهاية والغاية؟ فلما كان كذلك استعمل لفظ (الحمد) لتوسطه مع الغيبة، فقال: "الحمد لله"، ولم يقل لك، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى أمد الطاعة قال: "إياك نعبد"، فخاطب بالعبادة إصراحا بها، وتقربا منه(عزَّ اسمه) بالانتهاء إلى محدوده منها.»(1)

هذا وقد ذهب كثير من اللغويين العرب إلى أنه إضافة إلى تبعية الألفاظ لمعانيها وذلك باختيار لفظ دون آخر أو العدول عنه إلى غيره تتْبَع الألفاظ وظائفها في بناء صيغها وأوزانها وربما في تحديد نوع حروفها ومخارجها وترتيبها وهي قاعدة عربية، يقول ابن القيم(ت751هـ) – في حديثه عن وزن كلمة "وسواس"– : « ولما كانت الوسوسة كلاما يكرره الموسوس، ويؤكده عند من يلقيه إليه كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها. فقالوا: وسوس وسوسة. فراعَوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه ...فتأمله فإنه مطابق للقاعدة العربية في الحذو بالألفاظ حذو المعاني.»(2) ومثله ما جاء في قول ابن جني: « كرّرت الألفاظ لتكرير المعاني كالزّلزلة والصّلصلة والصّرصرة. »(3) ففي هذه الألفاظ تناسب ملحوظ بين البناء والمعنى إلى حد كبير وفي هذا الشأن يقول أيضا:« فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل، كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر وحقحق دليلاً على تقطيعه. ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام لكراهية التضعيف في أول الكلمة والإشفاق على الحرف المضعف أن يجيء في آخرها، وهو مكان الحذف وموضع الإعلال،

(1) ابن جني: **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1994، 146/1.

(2) ابن القيم: **التفسير القيم**، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت)، ص600، 601.

(3) الخصائص 201/2.

وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل، فهذا أيضاً من مساوقة الصيغة للمعاني.»[1] والعرب تجعل الأصوات على سمت الأحداث المعبّر بها عنها « من ذلك قولهم: خضِم وقضِم. فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك.»[2]؛ فالخاء الرخوة للرطب والقاف الصلبة للصلب، ومثل هذا كثير[3].

ومنهم من قال بترك التجنيس والعدول عنه مراعاة للمعنى وذلك فيما نقله الزركشي(ت794هـ) عن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني رأيه في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (يوسف: 17) :« قال: معناه: وما أنت مصدّق لنا، فيقال: ما الحكمة في العدول عن الجناس، وهلا قيل:(وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين)، فإنّه يؤدّي معنى الأوّل مع زيادة رعاية التجنيس اللفظي؟ و الجواب أنّ(في مؤمن لنا) من المعنى ما ليس في(مصدق) وذلك أنك إذا قلت (مصدق لي) فمعناه: قال لي: صدقت، وأما (مؤمن) فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن ومقصودهم التصديق وزيادة وهو طلب الأمن، فلهذا عدل إليه.»[4] وبناء على ما أوردنا من شواهد نخلص إلى أنّ العرب كانوا يراعون في كلامهم الوظيفة التواصلية ويجعلون المقاصد أساس كلّ حديث يجرى بينهم وأساس كل تعبير عن الفكر أو عن الشعور، ويؤكد هذا علماء اللغة بفكرهم العميق وبنظرهم الثاقب في دراساتهم في كل مسائل اللغة وفي كل مستوياتها.

---

(1) السابق 155/2.

(2) نفسه 157/2؛ وينظر:السيوطي: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2004، 51/1.

(3) ينظر: ابن جني: الخصائص 158/2-162.

(4) الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2005، 278/3.

1-3 ملامح تحقيق الكفايات في التراث العربي:

1-3-1 الكفاية التّداوليّة:

لا يمكن أن نقول إنّ الكفاية التّداوليّة قد تحققت في عبارة أو لفظ ما إلا بحصول التفاعل بين بنيتها ووظيفتها في سياق كلام خاص، وفي مقام أوحال خاص كذلك (*).

والسياق من أهم القرائن الدالة على المعنى. قال الزركشي- في حديثه عن الأمور التي تعين على معرفة المعنى عند الإشكال-:« دلالة السياق، فإنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته وانظر إلى قوله تعالى:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الدخان: 49) كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير.»[1]

وهناك عوامل متعدّدة تتفاعل في إنتاج الكلام وفهمه، منها المتكلم والمستمع والمقام وظروف الاتصال، ولكن تبقى بنيته دائما رهينة وظيفته التواصلية[2]. هذه الوظيفة لا تعرف حقيقتها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه، وهو من أهمّ عوامل تحديد وظيفته التواصلية؛ فلا يفهم الكلام ولا جدوى من تحليله إلا في إطاره، وإلى هذا ذهب سيبويه في حديثه عن مجيء الحال بعد الضمائر المسند إليها في مقام الفخر أو الوعيد أو التصغير للنفس:« وقد تقول: هو عبد الله، وأنا

(*) السياق يختلف عن المقام ولكنهما قد يتداخلان« **فالسياق** هو مجرى الكلام وتسلسله واتصال بعضه ببعض. وأما **المقام** فهو الحالة التي يقال فيها الكلام وذلك كأن يكون المقام مقام حزن وبكاء أو مقام فرح وسرور أو مقام تكريم أو مقام ذم أو غير ذلك. » فاضل صالح السامرائي: **الجملة العربية والمعنى**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص63.

(1) البرهان في علوم القرآن 127/2.

(2) ينظر: عبد القادر المهيري: **مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة**، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية العدد 11، 1974، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ص107.

عبد الله، فاخرا أو موعدا، أي اعرفني بما كنت تعرف وبما كان بلغك عني، ثم يفسر الحال التي كان يعلمه عليها أو تبلغه فيقول: أنا عبد الله كريما جوادا: وهو عبد الله شجاعا بطلا. وتقول: إنّي عبد الله، مصغّرا نفسه لربِّه، ثم تفسر حال العبيد فتقول: آكلا كما تأكل العبيد...»[1] ، ونجده في موضع آخر يبين أهمية خلفيات الكلام من مقام المخاطبين وحالهم في توجيه معنى العبارات والتراكيب، ويحذر من التهاون بذلك، فيقول:« وإنما ذكر الخليل رحمه الله هذا لتعرف ما يحال منه وما يحسن، فإنّ النحويّين مما يتهاونون بالخلف إذا عرفوا الإعراب. وذلك أنّ رجلا من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمر فقال: أنا عبد الله منطلقا، وهو زيد منطلقا، كان محالا، لأنه إنما أراد أن يخبرك بالانطلاق، ولم يقل هو ولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية، لأنّ"هو وأنا"علامتان للمضمر، وإنما يضمر إذا علم أنك قد عرفت من يعني. إلا أنّ رجلا لو كان خلف حائط، أوفي موضع تجهله فيه فقلت من أنت؟ فقال: أنا عبد الله منطلقا في حاجتك، كان حسنا.»[2] وأظنه يقصد هنا بالخُلف ما خلف الكلام من محددات معنوية لوجهة الكلام كالمقام وسياق الكلام، وهذا ما قامت على أساسه نظريات لغوية وصفت بالجدية والحداثة. ففي تحليله للخطاب يركز على فهم المخاطب والسياق الخارجي للكلام، وهما عنده في كثير من الأحيان أهمّ من التراكيب والألفاظ ذاتها فقد يُستغنى عن هذه البنيات ويُستعاض عنها بالسياق والموقف الاستعمالي للكلام؛ فبِحسب المقام نُفَصّل في الكلام أو نوجز فيه وبِحسبه نذكر أو نحذف، وبسببٍ من هذا يفرق السكاكي بين مقامات الكلام في قوله:« لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل. وكذلك مقام الكلام ابتداء

---

(1) سيبويه: **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الغانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988، 80/2.

(2) نفسه 80/2، 81.

يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكلّ لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر.» [1]

ولا يمكن الفصل بين البنية والوظيفة في زمن الإنتاج وفي مقامه وسياقه بل تصدر متفاعلة جملة واحدة، يقول الجرجاني:« فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق؛ فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن ووهم يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقه، وكيف تكون مفكرا في نظم الألفاظ وأنت لا تعقل لها أوصافا وأحوالا إذا عرفتها عرفت أن حقها أن تنظم على وجه كذا؟»[2] فالغايات هي الموجه الأساس للبنية اللغوية. ومن أجل ذلك دعا الجرجاني إلى دراسة التركيب اللغوي دراسة توضّح المعاني الوظيفية وأوجه الدلالة في العبارة، وذلك في إطار ما يتصل بالنظم من بناء وترتيب وتعليق[3]، والعلم بالوجوه والفروق لذاتها لا فائدة منه، بل المزية أن تدرك مواضعها، فتصنع كلامك على الوجه الذي تقتضيه هذه المواضع، يقول الجرجاني:« واعلم أنا لم نوجب المزية من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه. فنستند إلى اللغة، ولكنّا أوجبناها للعلم بمواضعها وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأنّ (الواو) للجمع و(الفاء) للتعقيب بغير تراخ، و(ثم) له بشرط التراخي، وإنْ لكذا وإذا لكذا؛ ولكن لأنْ يتأتّى لك إذا نظمت وألفت رسالة أن تحسن التخير وأن تعرف لكل من ذلك موضعه.»[4]

---

(1) السكاكي: **مفتاح العلوم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص256؛ وينظر: ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون** ، دار الجيل، بيروت، (د ت)، ص609.

(2) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص104.

(3) ينظر:فاضل مصطفى الساقي:**أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة**،مكتبة الغانجي، القاهرة، 1977، ص95.

(4) دلائل الإعجـاز في علم المعاني، ص261.

من كل ما رأينا ندرك أنّ الوظيفة التداولية تفرض على المتكلم أن يختار للتعبير عن مقصده البنية المناسبة له.

1-3-2 الكفاية النّفسيّة:

تتحقّق الكفاية النفسية في البنيات اللغوية ما لم تخالف نتائج علم النفس وأبحاثه سواء في إنتاجها أو فهمها أو تحليلها ووصفها، والعربية قادرة على تحقيقها لما تتصف به من ثراء وغنى يتيح للمتكلم اختيار الألفاظ والعبارات أو العدول عنها بصورة ميسورة، وللعرب في ذلك طرق وتفننات، والنماذج كثيرة.

نقل السيوطي عن الفارابي في كتاب(الألفاظ والحروف): « كانت قريش أجود العرب انتقادا [انتقاء] للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس.» [1] قال تعالى:﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾(هود: 87)، قال الإمام القرطبي:« يَعْنُون: عند نفسك بزعمك؛ ومثله في صفة أبي جهل:﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾(الدخان: 49) أي عند نفسك بزعمك. وقيل قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية، قاله قتادة، ومنه قولهم للحبشي: أبو البيضاء وللأبيض: أبو الجَوْن. وقال سفيان بن عيينة: العرب تصف الشيء بضده للتطير والتفاؤل، كما قيل: للَّديغ سَليم، وللفلاة (مفازة). وقيل هو تعريض أرادوا به السبَّ...»[2]

---

(1) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها 172/1. ومما نقله السيوطي عن الفارابي في كتاب (الألفاظ والحروف): « والذين عنهم نقلت العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.» السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها 172/1، 173.

غير أن أستاذنا عبد الرحمن الحاج صالح يخالف هذا الرأي قائلا:« إنّ جميع ما وصل إلينا من الشعر من الفترة الأولى هو بالعربية التي نزل بها القرآن... فقد أخذ اللغويون من جميع القبائل وبذلك يسقط ما ادعاه الفارابي من عدم أخذهم من هؤلاء -[أشار إلى جذام وتنوخ ولخم وغسان وبلي وخولان وغيرها]- ومن بكر وتغلب وثقيف وغيرها.» **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص131.

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، 1587/2.

قال سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه وهو في مقام تخويفه عذاب الله تعالى لـه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ (مريم:45) « حيث عبّر بـ(يَمَسّك) بدلا من (يصيبك)، و بـ (الرّحمن) بدلا من (الجبّار) كأنّه يخوّفه العذاب الأدنى لو عامله الله برحمته فكيف لو عامله بشدته وجبروته.»[1] وفي هذا دقة اختيار للفظ المؤدي للمعنى، وبراعة تصوير للحال والمآل، ومراعاة بيّنة للجانب النفسي.

ونأتي هنا بنموذج عرضه ابن جني يتعلّق بتغير بنية الجملة وذلك بتغير رتبة المفعول به والتأكيد على وظيفته وأهميته –رغم أنهم يعتبرونه فضلة– والدلالات الوظيفية والنفسيّة التي يتوخاها العرب من كل هذا، فيقول:« ينبغي أن يعلم هنا وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، كضرب زيد عمرا، فإذا عناهم ذكر المفعول قدّموه على الفاعل فقالوا: ضرب عمرا زيد. فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبه فقالوا: عمرا ضرب زيد. فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رب الجملة. وتجاوزوا به حد كونه فضلة فقالوا: عمرو ضربه زيد. فجاءوا به مجيئا ينافي كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: عمرو ضرب زيد، فحذفوا ضميره ونووه ولم ينصبوه على ظاهر أمره؛ رغبة به عن صورة الفضلة وتحاميا لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة. ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له وبنوه على أنه مخصوص به، وألغوا ذكر الفاعل مظهرا أو مضمرا فقالوا: ضُرب عمرو، فاطّرح ذكر الفاعل أَلبتة. نعم، وأسندوا بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل ألبتة، وهو قولهم: أُولعت بالشيء. ولا يقولون: أولعني به كذا. وقالوا: ثُلج فؤاد الرجل، ولم يقولوا ثلجه كذا، وامتُقع لونه، ولم يقولوا: امتقعه كذا، ولهذا نظائر.

---

(1) عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص179.

فرفض الفاعل هنا ألبتة، واعتماد المفعول به ألبتة دليل على ما قلناه فاعرفه...»[1]
هذا القول دليل واضح على اهتمام العرب بالكفاية النفسية وضرورة تحققها في كلامهم قبل أن يكون بنيات مسموعة أو مكتوبة، فهي قرينة المعاني في النفس قبل النظم، تخرج بحسب الوظيفة التواصلية الخاصة في سياق أو مقام خاص ليقصد بها مخاطَبا خاصا تميزه حالة نفسية خاصة، فلا اعتباطية في كل هذا، يقول الجرجاني:« وأمّا نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنّك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس.»[2] ونجده يصور لنا متى يكون التمثيل[التشبيه] محقّقا للكفاية النفسية قائلا:« واعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في مَعرِضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا. فإن كان **مدحا** كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعِطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغُرّ المواهب والمنائح وأسْيَر على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر. وإن كان **ذما** كان مسه أوجع، ومِيسمه ألذع، ووقعه أشد، وحده أحد. وإن كان **حجاجا** كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر. وإن كان افتخارا كان شأوه أبعد، وشرفه أجد، ولسانه ألد. وإن كان **اعتذارا** كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسّخائم أسل، ولغَرْب الغضب أفل، وفي عُقَد العقود أنفث، وعلى حسن الرجوع أبعث. وإن كان **وعظا** كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلي الغَيَابة ويبصِّر

(1) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها 65/1.

(2) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص102.

الغاية، ويبرئ العليل، ويشفي الغليل.» [1] نقلنا النص كاملا رغم طوله لتماسكه ولإبرازه بمجموعه سعة العربية واستيعاب الكلام العربي لكل فنون القول، وتأكيده على مقدرة المتكلم العربي على تحقيق الكفاية النفسية في إنتاجه للكلام وفي تلقيه وفهمه، في كل المواقف وعلى كل الأحوال ما دعت وظيفة التواصل إلى ذلك، فالجرجاني في إلحاحه على تحقيق الكفاية النفسية في الكلام لا يطلب مستحيلا. وأشار -في مواضع كثيرة- إلى أنّه لا فائدة من كلام لا تتحقق فيه، وقد كان للجرجاني دور متميّز في إبراز العلاقة بين صياغة الكلام وما يصحبها من عوامل نفسية توجهها؛ « فلا نكاد نجد في تراثنا العربي من يُعنى بجانب الصياغة إلا عبد القاهر الجرجاني الذي اقترح للصياغة أربع مراحل هي: النظم والبناء والترتيب والتعليق، وإذا كان عبد القاهر قد استمد هذا الإطار الفكري من مذهب الأشاعرة في مسألة الكلام النفسي فلقد كان سابقا بعدة قرون للدراسات اللغوية النفسية الحديثة التي تتناول إنتاج النّص اللّغوي »[2]

2- سِمات وظيفية تداولية في الصِّيَغ الصرفية العربيَّة:

2-1 سمة المرونة في الصّيغ:

لا شك أنّ الكلام حين تتنوع أساليبه ويتغير أداؤه يرفعُ كثيرا من الملل والسأم الذي يمكن أنْ يصيب المخاطَب ويقللَ فعالية الكلام في أداء وظيفته التواصلية كما يجب أن يكون، والتراكيب التي تتسم بالمرونة في الأداء تراكيب تتسم بالثراء والغناء اللغوي أيضا كما أنَّ في بعض مظاهر سمة المرونة حلا لمشكلات تعبيرية وضع لها النحاة مبررات عدم مخالفة القاعدة النحوية العامة؛ فالحمل على المعنى الذي هو من أهم سِمات العربية -مثلا- يرِد حلاًّ لبعض التغييرات والقضايا

(1) عبد القاهر الجرجاني: **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 2003، ص88، 89.

(2) تمام حسان: مقدمة كتاب: روبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص5.

والتصرفـات التـي لا تصلح لأنْ تفسّر إلا في ضوئه؛ فالإشارة إلى المؤنث باسم الإشارة المذكّر، والإشارة إلى المذكّر باسم الإشارة المؤنث ليس له حـلّ إلا فـي القول بسِمة الحمل على المعنى، ومثله تفسير سِـمة التـضمين لتعـدي الأفعـال اللازمة... ولكن لا تعني هذه السمة –سِمة المرونة– في البنيات العربية أنها غير محكومة بأصول ومقاييس أو أنها فوضوية لا تسير وفق قواعد منظمة، « وإنمـا تعني أنها تراكيب متنوعة في أدائها، متجددة في سلوكها، بما يسمح للغة أن تفـي بحاجات كل عصر، ولا تقف بما لها من عطاء عند حدود عصر معـين، ممـا يضمن لهذه اللغة الخلود والبقاء دائما.» [1] ومن المظاهر التي تدل علـى مرونـة الصيغ الصرفية العربية[*]:

2-1-1 توليد المعاني وتوسيعها:

من ذلك توليد معان كثيرة من جذر واحد باستعماله استعمالات مختلفة حـسب الوظيفة التواصلية المقصودة منه؛ فالجذر (ف ق هـ) –مثلا– يـستعمل بمعنـى الفهم عند كسر قافه نحو: فقِه محمد المسألة؛ أي: فهمها، ويستعمل بمعنى أنّ الفقه أصبح سجية في من اتصف به، عند ضم قافه؛ نحو: فقُه محمد؛ أي: صار فقيها. ومثله: خطَب وخطُب[2].

ولجذر(ح ل م) معان مختلفة بحسب اختلاف حركة عين فعله؛ فحلَم بمعنى رأى في المنام، وحلُم بمعنى صار حليما، وحلِم الأديم إذا فسد وتثقب [3].

ومن جذر(ع د ل) عِدْل لما يعادل من المتاع، وعَدِيل لما يعادل من الأناسيّ [4].
ومن جذر (ع د و) العِدى بكسر العين الأعداء الذين تقاتلهم، والعُدى بضمّها

---

(1) ياسر حسن رجب: **سمة المرونة في التراكيب النحوية، مظاهرها وقيمتهـا**، مقال بمجلة كليـة دار العلـوم، جامعـة القاهرة، العدد21 صفر، يونيه، 1997، ص182.

(*) أخذت أكثر عناوين هذه المظاهر من المقال السابق.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: **معاني الأبنية في العربية**، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 2007، ص86.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص222.

(4) ينظر: نفسه، ص224.

الأعداء الذين لا تقاتلهم [1]. ومثل هذا كثير في العربية.

2-1-2 النقل والنيابة:

تنقل أقسام الكلام العربي لينوب بعضها عن الآخر فيؤدي وظيفته التواصلية، في سياق حديث ما أو في مقام محدد، ومن أمثلة ذلك:- نقل المصادر باستعمالها استعمال الظروف، نحو: سآتيك صلاة العصر، أو خفوق النجم (أي مغيبه). استُعمل المصدران (صلاة) و(خفوق) استعمال الظرف توسّعا في الكلام [2].

- ومنه نقل الصفات لتنوب عن المصدر وتؤدّي وظيفته في السياق:

فينقل اسم الفاعل من الدلالة على وصف الفاعل بالحدث ليدل على الحدث، نحو قوله تعالى:﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ (الواقعة: 2) ، فكلمة كاذبة هنا بمعنى المصدر (الكذب)، ومنه قوله تعالى:﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾(الحاقة: 8)، أي من بقاء [3].

وينقل اسم المفعول لينوب عن المصدر ويُختار ليؤدّي معناه في السياق، نحو قوله تعالى:﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ (القلم: 6) ، أي: بأيّكم الفتنة، قال ابن عاشور:« ويجوز أن يكون (المفتون) مصدرا على وزن المفعول مثل المعقول بمعنى العقل والمجلود بمعنى الجلد: والميسور لليسر، والمعسور لضده، وفي المثل: خذ من ميسوره ودع معسوره.»[4]

- ومنه نقل الصفات لتنوب عن الأعلام وتدل على مجرد التسمية: كنقل اسم الفاعل نحو: حارث، خالد، ومنير، وفاطمة، والقاهرة، والمتوكّل.ونقل اسم المفعول

---

(1) ينظر: أبو البقاء الكفوي (ت1094هـ): **الكليات** "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط2، 1998، ص644.

(2) ينظر: ابن يعيش: **شرح المفصل للزمخشري**، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د ت)، 44/2.

(3) ينظر: فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص301.

(4) ابن عاشور: **تفسير التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د ت)، 67/29.

نحو: مسعود، المنصور ومهدي، ومرزوق.ونقل صيغ المبالغة،نحو: ضحّاك.

– ومنه نقل الأفعال لتنوب عن الأعلام كذلك، نحو: يزيد، وأحمد، وتأبّط شرّا.

– ومنه نقل اسم المفعول لينوب عن اسم الزمان ويؤدي معناه في السياق.

قال أمية بن أبي الصَّلت (البسيط)[1]:

الْحَمْدُ للهِ مُمْسَانَا وَمُصْبَحَنَا   بِالْخَيْرِ صَبَّحَنَا رَبِّي وَمَسَّانَا

فتعني الممسى والمصبح: الإمساء والإصباح.

– ومنه نقل الصفة المشبهة لتنوب عن اسم المفعول فتنتقل من معنى وصف الفاعل بالحدث على سبيل الدوام والثبوت إلى معنى وصف المفعول بالحدث على سبيل التجدّد والانقطاع.

قال ابن مالك(ت672هـ)[2]: وَنَابَ نَقْلاً عَنْهُ ذُو فَعِيلِ* نَحْوُ فَتَاةٍ أَوْ فَتًى كَحِيلِ

« ينوب (فعيل) عن (مفعول) في الدلالة على معناه، نحو: مررت برجل جريح...» [3]. أي مجروح.

2-1-3 الإجراء:

ويتمثل في إجراء الشيء مجرى شيء آخر فيأخذ أحكامه وخصائصه، من ذلك – مثلا – إجراء الأسماء الجامدة مجرى الصفات المشتقّة في الدلالة على معنى الفعل وفي العمل حين ينسب إليها، فقلنا: هذا رجل عربي أصلُه. فكلمة(عربي) عوضت الفعل (يُنسب) في وظيفتيْه التواصلية والنحوية؛ فقد دلت على معناه ورفعت نائب فاعل (أصله)، « وما كان لهذه الكلمة الجامدة في الأصل أن تعمل هذا العمل لولا إجراؤها مجرى الصفات المشتقّة.»[4]

---

(1) أمية بن أبي الصَّلت: **ديوان أمية بن أبي الصَّلت**، جمعه وحققه وشرحه: سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998، ص134.

(2) ابن مالك: **ألفية ابن مالك في النحو والصرف**، إعداد دار ابن خزيمة، السعودية، ط1، 1414هـ، ص66.

(3) ابن عقيل: **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1999، 76/2.

(4) ياسر حسن رجب: سمة المرونة في التراكيب النحوية، ص166.

2-1-4 التضمين:

وهو أن يشْرَب العنصر اللغوي معنى عنصر آخر، فيستعير أحكامه وخصائصه، وهو ميزة عربية وسمة فنية، وللتضمين كثير من النماذج في التراكيب العربية، من ذلك تضمين الفعل اللازم معنى الفعل المتعدّي فيتعدّى مثله، كقوله تعالى:﴿ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾(البقرة: 235). فالفعل (عزم) يتعدى بحرف الجر في الأصل، وتعدى هنا بنفسه لتضمنه معنى الفعل (لا تنووا) [1].

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (المائدة: 48) في الآية يمكن أن يكون الفعل (تتبع) ضُمن معنى الفعل (تنحرف) أو الفعل (تنصرف)؛ أي ولا تنحرف بسبب أهوائهم عما جاءك من الحق [2].

2-1-5 التضحية بقواعد لغوية:

ومن أظهر مظاهر المرونة في التراكيب النحوية ما نلمسه من نماذج التضحية ببعض الثوابت اللغوية التي استقرّ عليها اللّسان العربي نرى ذلك – مثلا – في صرف ما لا ينصرف والعكس في سعة الكلام، كما في الآية:﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ (الإنسان: 4). بتنوين (سلاسل) رغم أنها ممنوعة من الصرف في الأصل.

2-1-6 الحمل على المعنى:

يعني الحمل على المعنى حمل الألفاظ على معاني ألفاظ أخرى، يرى ابن جني

---

(1) ينظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 862/2، 863.

(2) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص342؛ وينظر: ابن عطية: **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 200/2.

أنّ من فصيح كلام العرب الحمل على المعنى حيث يقول: « اعلم أنّ هذا الشّرْج غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح. قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً؛ كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول، أصلا كان ذلك اللفظ أو فرعاً وغير ذلك.» [1]. ومن أمثلة حمل المؤنث على المذكر قوله تعالى:﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (البقرة: 275) حُملت الموعظة على الوعظ.

ومن أمثلة حمل المذكر على المؤنث قول الشاعر(الطويل)[2]:

أَتَهْجُرُ بَيْتاً بالحِجازِ تَلَفَّعَتْ به الخَوْفُ والأَعْداءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

الفعل (تلفعت) مؤنث وفاعله (الخوف) مذكر فقد ذهب بالخوف إلى المخافة [3].

2-1-7 الشذوذ:

ويتمثل فيما خرج عن القواعد الثابتة مما يراه كثير من العلماء شذوذا ويراه غيرهم ضربا من التنويع في الأداء فحسب، وليس على وجه الشذوذ حقيقة. بل هو مظهر من مظاهر مرونة الصيغ، « فالعربي الذي ألف السير في أدائه اللغوي على نمط واحد أراد أن يثبت أنّ لغته لا تزال لغة ليّنة مرنة، فخالف وخرج عن المألوف من قواعدها.» [4] وقد يكون من أسباب هذا الشذوذ ما يسمّى بالتعمية، أو الترف الفكري، أو التّلاعب بالمصطلح.

2-2 الكفاية التداولية في لغة القرآن الكريم:

لم تنفصل دراسة اللغة العربية وصفيا أو تاريخيا عن القرآن الكريم فقد كان من

---

(1) الخصائص 411/2

(2) البيت لم ينسب ورد في: الخصائص 415/2 كما ذكرت، وورد في: لسان العرب (خوف) 1290/2. بالشكل:
أَتَهْجُرُ بَيْتاً بالحِجازِ تَلَفَّعَتْ به الخَوْفُ والأَعْداءُ أَمْ أَنتَ زائِرُهْ؟

(3) ينظر: الخصائص 415/2.

(4) ياسر حسن رجب: سمة المرونة في التراكيب النحوية، ص180.

أهم ما استند إليه النحويون في وضع قواعدهم واستنتاجاتهم شواهد القرآن الكريم، ومنه كان الكثير من أمثلتهم وحججهم، وبالقرآن استعان اللغويون أثناء جمعهم اللغة وشرح مفرداتها في قواميسهم ومعاجمهم واستشهدوا لمعانيها من القرآن الكريم، وبذا ارتبطت شخصية اللغة العربية بالقرآن الكريم، يقول تمّام حسّان: «ولقد أقام العرب بنيانهم الثقافي الأصيل على القرآن، وحتى لقد رأينا طموح الحاقدين على العرب وتراثهم يتعلق بأمل إثبات تأثر العرب في هذا الفرع أو ذاك من فروع ثقافتهم بعناصر أجنبية من اليونان أو غير اليونان، وحسب العرب أنَّ دعوى تأثرهم بالأمم الأخرى تلتمس لها الأدلة التماسًا.»[1]

ولا ينكر منصفٌ فضل القرآن الكريم بوظيفيته وإعجازه وثراء لغته في شدّ عضد اللغة العربية، ويعلم ذلك علم اليقين من عرف أسرار العربية وخباياها، وتأمل لطائفها الغريبة وأسرارها العجيبة، يقول ابن قتيبة(ت 276 هـ):« إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتّسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات.»[2] ومن مظاهر حرص القرآن الكريم على تحقيق الوظيفية التداولية أن جعل التّزيّن بالألفاظ في المرتبة الثانية، وجعل الوفاء بالمعنى في المنزلة الأولى؛ ومن ذلك ما نجده كثيرا في مخالفة الفواصل وانسجامها تبعا للمعنى وبحسبه، ومثله كذلك تقديم المعنى على الإعراب عند حدوث الغموض أو التعارض[3].

ونكتفي بذكر ثلاثة نماذج تبين تحقيق لغة القرآن الكريم للكفاية التداولية:

1- قال تعالى:﴿ فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن

---

(1) تمام حسان: **الأصول**، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص26.

(2) ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، (د ت)، ص11.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: **من أسرار البيان القرآني**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص163؛ وينظر: عبد القادر حسين: **أثر النحاة في البحث البلاغي**، دار غريب، القاهرة، مصر، 1998، ص274.

يَكۡبَرُواْۚ ﴾ (النساء: 6) في عبارة (وبداراً أن يكبَروا) الوظائف التواصلية التداولية[1]:

أ- في اختيار مصدر البدار إثبات لسوء النية من قِبل أولياء اليتامى.

ب- وفيه أيضا تسابق مع الزمن ومع نموّ اليتامى للاستئثار بأموالهم[2].

ج- نزع الخافض قبل (أَن يَكْبَرُواْ) يفتح المجال أمام تقدير لفظ آخر، قد يكون (قَبل)، أو يكون (مَخافة) [3] مما يؤكد الوظيفتين السابقتين.

2- قال تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ (المنافقون: 9)

في عبارة (ومن يفعل ذلك) الوظائف التواصلية التداولية[4]:

أ- قال: (ومن يفعل ذلك) ولم يقل: (ومن تلهه تلك) لينسب الفعل إلى الشخص، لينال بذلك جزاءه ولئلا يفهم أنه ليس بمقدور الشخص الانصراف عن اللهو.

ب- جاء بالفعل المضارع للدّلالة على استمرار الحدث وتكرره فالالتهاء بالأموال والأولاد أمر يومي ومتكرّر.

ج- لو قال: (ومن فعل) لاحتمل أن ذلك الخسران الكبير إنما يقع ولو فعله مرة واحدة، وهو غير مراد.

3- تخصيص استعمال الموتى والأموات والميّتين جمع ميّت في لغة القرآن الكريم، كل واحدة بوظيفتها الخاصة في مقامها الخاص[5]:

---

(1) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص340، 341.

(2) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 244/4؛ وينظر: محمد سليمان عبد الله الأشقر: **زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني**، دار الفيحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، ط5، 1994، ص98.

(3) ينظر: ابن عطية: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 11/2.

(4) ينظر: فاضل صالح السامرائي: **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، دار عمار، عمان، الأردن، (د ت)، ص183.

(5) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص115، 116.

أ- استعمل الموتى لمن أصابهم الموت حقيقة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (البقرة: 260)

ب- استعمل الأموات لمن ماتوا حقيقة ولغيرهم، أي: للموت المعنوي:

قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾(البقرة: 28)

وقال:﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ (البقرة: 154).

ج- استعمل الميّتين لمن لم يمت: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ (المؤمنون: 15).

2-3 الوظيفة التّواصلية للتّنوين:

من الوظائف التواصلية للتنوين التحديد ومنع اللبس؛ حيث يُعيِّن التنوين العلم من غيره في طائفة من الأسماء الممنوعة من الصرف نحو: آمنة وفائزة وراجحة؛ فإن كان منونا كان وصفا وإن كان غير منون كان علما[1]، وذلك كون الممنوع من الصّرف لا ينوّن. كما يدل كذلك على التنكير والتعريف في الأسماء المبنية نحو سيبويه[2] ؛ فسيبويهٍ المنونة لا تعني صاحب "الكتاب".

2-4 الوظيفة التواصلية للحذف:

تفرض الوظيفة التواصلية التداولية التزام ذكر الكلمات والجمل أو حذفها، كما تُلزم بإظهار الحركات أو تغييرها أو تعويضها أو الاستغناء عنها، يقول إبراهيم

(1) (2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص74.

مصطفى:« من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني،... وما كان للعرب أنْ يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها ذلك الحرص كله، وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئاً، وأنت تعلم أنّ العربية لغة الإيجاز، وأنّ العرب كانوا يتخفّفون في القول ما وجدوا السبيل؛ يحذفون الكلمة إذا فهمت، والجملة إذا ظهر الدليل عليها، والأداة إذا لم تكن الحاجة ملجئة إليها.» [1] والتخفيف والإيجاز وظيفتان تداوليتان كما تؤديان وظائف تواصلية أخرى متنوّعة لأجلها يقع الحذف والتغيير.

2-4-1 حذف الكلمة:

ومن نماذج حذف الكلمة في العربية لوظيفة تواصلية تداولية حذف المسند إليه؛ وقد ضبط السكاكي بمنطق صارم الحالات التي يتطلّب فيها المقام التواصلي أن تُؤدّى وظيفة التواصل ببنيات يُطوى فيها ذكر المسند إليه بقوله:« أمّا الحالة التي تقتضي طيّ ذكر المسند إليه فهي: إذا كان السامع مستحضرا له، عارفا منك القصد إليه عند ذكر المسند، والترك راجع إما لضيق المقام، وإما للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، وإما لتخييل أنّ في تركه تعويلا على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، وكم بين الشهادتين، وإما لإيهام أنّ في تركه تطهيرا للسان عنه أو تطهيرا له عن لسانك، وإما للقصد إلى عدم التصريح ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مسّت إليه حاجة، وإمّا لأنّ الخبر لا يصحّ إلاّ له حقيقة، كقولك: خالق لما يشاء فاعل لما يريد، أو ادّعاء، وإمّا لأنّ الاستعمال وارد على تركه أو ترك نظائره، كقولهم: نعم الرّجل زيد، على قول من يرى أصل الكلام: نعم الرجل هو زيد، وإمّا لأغراض سوى ما ذكر، مناسبة في باب الاعتبار بحسب المقامات.»[2]

2-5-2 حذف بعض الكلمة:

يتردد حذف جزء من الكلمة في كثير من كلمات القرآن ويكون لوظائف تواصلية لها

---

(1) إحياء النحو، ص 48.

(2) مفتاح العلوم، ص265، 266.

مقاماتها الخاصة، يقول فاضل السامرائي:« إنّ القرآن يحذف من الكلمات لغرض ولا يفعل ذلك إلا لغرض ومن ذلك على سبيل المثال: أنه يحذف من الفعل للدّلالة على أنّ الحدث أقل ممّا لم يحذف منه وأنّ زمنه أقصر ونحو ذلك فهو يقتطع من الفعل للدّلالة على الاقتطاع من الحدث أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتّفصيل.»[1] نحو قوله تعالى:﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الكهف: 97) وذلك في السد الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب؛ فالصعود على هذا السد أيسر –وإن كان لم يتحقق لهم– من إحداث نقب فيه لمرور الجيش؛ حيث عبّر عن الحدث الأقل صعوبة والأقصر في مدة إنجازه بالفعل القصير، فقال:(فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ) بخلاف الفعل الشاق الطويل فإنّه لم يحذف منه، فقال: (وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا) [2] . ومثل هذا كثير في لغة القرآن الكريم.

2-5 الوظيفة التواصلية والبناء والإعراب:

كثيرا ما تختلف الكلمة الواحدة من حيث البناء أو الإعراب بحسب الوظيفة التواصلية المرادة بها؛ فتكون ذات دلالة على معنى معيّن في حال بنائها، وذات دلالة أخرى في حال إعرابها، وذلك نحو قولك:(لا طالبَ في الجامعة) و(لا طالباً في الجامعة) فمعنى الجملة الأولى نفي وجود كل من يتّصف بصفة الطالب سواء كان طالبا في الجامعة أم في غيرها، ومعنى الثانية نفي وجود طالب يدرس في الجامعة، وقد يكون فيها من يدرس في غيرها[3]، « ومن ذلك قولنا(سقط من

---

(1) فاضل السامرائي: **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، الأردن، (د ت)، ص11.

(2) ينظر: نفسه، ص12.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص73. والمعهود هو: لا طالبٌ. بالرفع؛ وتسمى لا النافية للوحدة. ويجوز أن نقول: لا طالبٌ ، بل طالبان أو ثلاثة.

علُ) و (سقط من علٍ) فالجملة الأولى تفيد تعيين العلو وأنّه سقط من علوٍّ معلوم والثانية لا تفيد تعيين العلوّ بل معناها أنه سقط من مكان عال.»[1] علُ الأولى مبنية على الضمّ، وعلٍ نُوِّنت تنوين تنكير.

(1) ينظر: السابق، ص73.

ثالثاً: مفهوم الصّيغ الصّرفية العربيّة ووظائفها:

1- مفهوم الصيغة:

صيغة الأمر تعني هيئته، ورد في لسان العرب:« ويقال: صِيغةُ الأَمرِ كذا وكذا أَي هيئته التي بُني عليها.»[1] وصوْغ الشيء يعني سبكه، ووضعه وترتيبه، جاء في اللسان أيضا:« صوغ: الصَّوْغُ: مصدر صاغَ الشيءَ يَصُوغُه صَوْغاً وصِياغةً وصُغْتُه أَصوغُه صِياغةً وصِيغةً وصَيْغُوغةً؛ (الأَخيرة عن اللحياني): سَبكَهُ ... ويقال: صاغ شعرا وكلاما؛ أي وضعه ورتبه.»[2]

هذا ولم نجد تحديدا واضحا للصيغة الصرفية وما تضمه من أقسام الكلام عند القدماء بمثل ما وجدناه عند المحدثين، يقول الأستراباذي(ت686هـ):« المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها: هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها، مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه.»[3] نلاحظ في هذا التعريف أن الأستراباذي لا يفرق بين بناء الكلمة ووزنها وصيغتها؛ أو بين البنية والوزن والصيغة فيجعل ذلك كله شيئا واحدا يعني هيئة الكلمة ونجد الكفوي(ت1094هـ) من بعده يضع تعريفا مستقلا للصيغة غير أنه لم يوضح ما تضمه من أقسام الكلام، وذلك في قوله: « الصيغة هي الهيئة العارضة للّفظ باعتبار الحركات والسكنات وتقديم بعض الحروف على بعض، وهي صورة الكلمة، والحروف مادّتها.» [4]

وما هو عند المحدثين يكاد يكون أوضح؛ فالصيغة هي:« كل لفظ له معنى لغوي يفهم من مادة تركيبه، ومعنى صيغي وهو ما يفهم من هيئته، أي: حركاته

---

(1) ابن منظور: لسان العرب (صيغ) 2537/4.

(2) نفسه (صوغ) 2527/4.

(3) الأستراباذي: **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق وشرح: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرَيْن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982، 2/1.

(4) الكليات، ص560.

وسكناته وترتيب حروفه؛ لأن الصيغة اسم من المصوغ الذي يدل على التـــصرف في الهيئة لا في المادة؛ فالمفهوم من حروف (ضرب) استعمال آلة التأديــب فـــي محل قابل له، ومن هيئته وقوع ذلك الفعل في الزمان الماضي، وتوحيد المسند إليه وتذكيره وغير ذلك. »[1] فالصيغة يشترط فيها اجتماع المعنيين اللغوي والصيغي الاشتقاقي، مما يبين أن الحروف والأدوات والضمائر والظـــروف والخوالـــف لا تدخل ضمن الصيغ، ولا توجد لها أصول اشتقاقية، فلا تُعمَّم الصيغة وهـــو رأي عامّة الباحثين المحدثين [2]. يقول تمام حسان:« مباني التقسيم: وهي الاسم والصفة والفعل والضمير والخالفة والظرف والأداة، وذكرنا أنّ ما يرجع من هذه المبـــاني إلى أصول اشتقاقية فإنه يتفرع إلى مبان فرعية يضمها المبنى الأكبر، وكل مبنى من هذه المباني الفرعية هو قالب تصاغ الكلمات على قياســـه يـــسمّى الـــصيغة الصرفية ...أما ما لا يرجع إلى أصول اشتقاقية من مباني التقسيم وهو الـــضمير وأكثر الخوالف والظرف والأداة، فمبانيها هـــي صـــورها المجـــردة إذ لا صـــيغ لها.»[3] وبذا يمكن القول إنّ الصيغة تشمل: الأسماء والأفعال والـــصفات فقـــط. وهذا الذي اعتمدناه في بحثنا هذا. وهذه الأقسام الثلاثة لها خـــصائص صـــرفية، وأخرى تركيبية؛ فهي إضافة إلى كونها صيغا صرفية لها معنـــى لغـــوي وآخـــر صيغي لها ارتباط بما ترد فيه من تراكيب نحوية، وباجتماع خصائصها الصرفية والتركيبية نجدها « تعكس إلى حد بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة التواصـــل، بحيث يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وســـائل للتعبيـــر عـــن الأغـــراض التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في طبقات مقامية معينة.»[4]

---

(1) عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص9.

(2) ينظر: نفسه، ص22.

(3) اللغة العربية معناها ومبناها، ص133 .

(4) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص65.

2- وظائف الصيغ الصرفية:

أ- الأسماء والمصادر:

1- الاســم:

1-1 مفهومه ووظيفته التواصلية: الاسم ما دل على مسمىّ ذات أو معنى وليس الزّمن جزءا منه، وعند سيبويه: كرجل وفرس[1] وعند المبرد « الأسماء ما كـان واقعا على معنى، نحو: رجل وفرس وزيد وعمرو، وما أشبه ذلـك.»[2] ويفيـد الثّبوت لا التّجدّد والحدوث؛ فالاسم يفيد قوة ثبوت الـصفة فـي صـاحبها، وأن صاحبها متّصف بها على سبيل الدّوام [3] . بخلاف الفعل فهو يفيد إثبات الصفة في صاحبها، ولكن بصفة أقل قوة ومـن غيـر دوام. قـال تعـالى:﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ (الأعراف: 193).« ففرق بـين طرفـي التسوية فقال:(أدعوتموهم) بالفعل ثم قال: (أم أنتم صامتون) بالاسم ولم يسو بينهما فلم يقل: أدعوتموهم أم صمتم بالفعلية، أأنتم داعوهم أم أنتم صـامتون. وذلـك أنّ الحال الثابتة للإنسان هي الصمت وإنما يتكلم لسبب يعرض له.» [4]

يتفق الاسم والفعل في الدلالة على إثبات الصفة في صـاحبها ويختلفـان فـي الدلالة على الحدوث والتجدد، يقول الجرجاني:« وبيانُه أنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شـيء. وأمـا الفعـل فموضوعه على أنه يقتضي تجدّد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء فإذا قلت: (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منـه شـيئا فشيئا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: (زيد طويل وعمرو قصير). فكما

---

(1) ينظر: سيبويه: الكتاب 12/1.

(2) المبرد: **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للـشؤون الإسـلامية، القـاهرة، ط3، 1994، 141/1.

(3) ينظر: محمود عكاشة: **التحليل اللغوي في ضوء علم الدّلالة**، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005، ص64.

(4) فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص11.

لا يُقصد هاهنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث بل تُوجبهما وتُثبتهما فقط.»[1]

1-2 الوظائف التواصلية لصيغ جموع الأسماء:

1-2-1 الجمع من حيث الدلالة على الكثرة أو القلة:

أ- **جمع الكثرة:** يذكر العلماء لهذا الجمع أوزانا كثيرة أشهرها ثلاثة وعشرون وزنا[2]. وقد تزيد مما لم يكن من أوزان جمع القلّة.

ب- **جمع القلّة:** يراد بالقلة ما كان بين الثلاثة والعشرة، وأشهر أوزان جمع القلة: أفعُل وأفْعال وأفعِلة وفِعلة وفَعَلَة وأفْعِلاء والجمع السالم بنوعيه[3]. و« هذا هو الأصل في استعمال القلَّة والكثرة وقد يعدل عن ذلك لضرب من البلاغة فقد تعطى القلة وزن الكثرة والكثرة وزن القلة لغرض ما أو قد يُخصّ كلّ من الوزنين بمعنى فمن ذلك قوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾(البقرة:261) وقوله:﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ ﴾ (يوسف: 43)

فأنت ترى أنّ العدد واحد هو« سبع » ولكنه استعمل معه جمع الكثرة مرة والقلة مرة أخرى، والسبب في ذلك أن الآية الأولى سيقت في مقام التكثير والمضاعفة.» [4]

---

(1) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 200.

(2) ينظر: أحمد الحملاوي: **شذا العرف في فنّ الصّرف**، دار الفكر، بيروت، 2003، ص78-85.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص118.

(4) نفسه، ص121.

1-2-2 جموع التكسير:

يدخل ضمنها الجمعان: الدال على القلة والدال على الكثرة ويخرج منها الجمع السالم بنوعيه المذكر والمؤنث.

من أشهر أوزان جموع التكسير والوظائف التواصليَّة الخاصَّة بكل صيغة منها(1) :

1- فُعَّال: أشهر وظيفة لهذا الوزن التّكثير والمبالغة في القيام بالفعل لا تكثير القائمين به، نحو: حُفَّاظ، قُرَّاء.

2- فَعَلَة: يطلق على صنف معين من الناس ينتسبون إلى حرفة ولو لم يمارسوها كثيرا نحو: كَتَبَة، باعَة.

3- فُعَّل: أشهر وظيفة لهذا الوزن الدّلالة على الحركة الظاهرة، والتكثير، نحو: رُكَّع، سُجَّد، رُحَّل.

4- فَواعِل: أقرب للاسمية، وأدلّ على الثبوت، نحو: نوازل، قوافي.

5- فُعْلان: يدلّ على الاسمية أو القرب منها، كما يدل على القلة النسبية، نحو: شُبَّان، عُمْيان. وهو قليل.

6-الجمع على وزن مصدر الفعل: للدلالة على المعنى الحقيقي للفعل، نحو: قيام؛ فالقيام بمعنى القيام الحقيقي، والقائمين بمعنى القيام بالأمر. ومثلها القعود.

7- فَعْلى وفَعَالى: للدلالة على الآفات والهلاك والتوجع والمكروه، نحو: موتى، كسرى، أَيامى.

8- فُعَلاء وفِعَال: للدلالة على السّجايا والغرائز، فُعَلاء يكاد يختص بالأمور المعنوية، وفِعَال بالأمور المادية، نحو: كُبراء للسادة والرؤساء. وكِبار لكبار الأجسام والأعمار.

9- فَعَائل: يراد به الاسمية، مثل: الشدائد، وغيرُها الشِّداد التي يراد بها الوصف.

---

(1) ينظر: السابق، ص130- 149.

2- المصدر:

2-1 مفهومه :

المصدر مشتق من مادة(ص د ر) وهو اسم مكان يقال: صدرت الإبل عن الماء، إذا انصرفت عنه، وعلى هذا الأساس سُمي المصدر مَصْدَراً، قال الشريف الجرجاني:

« **المصدر**: هو الاسم الذي اشتُقّ منه الفعل وصدر عنه.»[1]

وهو اسم يقع على الأحداث المادية أو المعنوية، أو يعبر عنها، نحو: الكتابة، والقيام، والأمن، والرحمة. « وهو اسم الحدث الذي تحمله مادة الكلمة في أصولها الصامتة.»[2]

ويذكر عبد الصبور شاهين أنّ أوزان كل المصادر سماعية، حتى ما كان منها كثير الوقوع [3] . ثم نجده يقول بعد هذا بقليل أنّ مصدر الثلاثي أقلّ قياسية من غيره [*] .

2-2 تعدّد مصادر الفعل الواحد:

من المهم أن نشير إلى أنه قد يكون للفعل الواحد ولاسيما الفعل الثلاثي مصادر متعددة قد تصل إلى التسعة أو حتى العشرة في الشاذ، وذلك كالفعل (لقي) –مثلا– فمن مصادره لِقاء ولِقاءة ولَقىً ولَقْيا ولُقِيًّا ولَقِيًّا ولَقْية ولِقْيانا ولُقْيانا ولِقْيانة [4].

ولظاهرة تعدد مصادر الفعل الواحد أسباب، نذكر منها:

1- اختلاف الرواة (علماء اللغة والمعاجم) في معاني هذه المصادر أو معاني

---

(1) الشريف الجرجاني: **معجم التعريفات**، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2004، ص181.

(2) (3) عبد الصبور شاهين: **المنهج الصوتي للبنية العربية**، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980، ص109.

(*) وهو بهذا الرأي يخالف أكثر الصرفيين في قولهم بقياسية مصادر غير الثلاثي، وأنّ أوزان مصادر الثلاثي هي السماعية في معظمها؛ وكثير منهم يرى قياسية بعض أوزان مصادر حتى الفعل الثلاثي؛ كالذي يدلّ على حرفة، من مثل: زِراعة وحِياكة. والذي يدلّ على صوت، من مثل صُراخ، ونُباح. والذي يدلّ على تقلب، من مثل: غليان، فوران.

(4) ينظر: السيوطي: المزهر 69/2.

أفعالها.

2- اختلاف لغات العرب: من ذلك -مثلا- مصدر الفعل بخل، بعضهم يقول: (بُخْلاً) وبعضهم يقول (البَخْل) وبعضهم يقول (البَخَل)[1] .

3- اختلاف المعنى: فقد يكون لأحد المصدرين معنى يختص به لا يستعمل له المصدر الآخر أو يكثر استعماله فيه، كالضَرِّ والضُرِّ؛ فهو بالفتح الضرر في كلّ شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال. قال تعالى:﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الأنبياء: 83) وقال:﴿ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ ﴾ (الرعد: 16) فالضَّر عموم الضرر مقابل النفع، فرّق بين البناءين لافتراق المعنيَين[2].

2-3 الوظائف التواصلية لصيغ بعض المصادر:

يصعب حصر أوزان المصادر، لذا اقتصرنا على نماذج من أوزان ترددت كثيرا وبرزت القوة الكامنة في بناء صيَغها الصرفية واتضحت خدمتها للوظيفة التواصلية المقصودة بها، ومن أوزان هذه المصادر :

- **فِعَال:** ويصاغ للدّلالة على الاِمتناع والمباعدة، كالإباء والفرار والشِّراد والنِّفار كما يصاغ هذا الوزن للدلالة على قرب شيء من شيء، كالصِّراف والضِّراب والنِّكاح، وللدلالة على الحينونة، كالصِّرام والجِزاز والحِصاد[3].

- **فَعَلان:** يصاغ هذا الوزن للدلالة على الحركة والتقلب والاضطراب، كالجولان والغليان، والدوران.

- **تَفعال:** ويكون للتكثير والمبالغة كالتَّجوال والتَّهدار والتَّلعاب [4].

---

(1) ينظر: سيبويه: الكتاب 34/4.

(2) ينظر: الزمخشري: الكشاف 160/4، 344/3.

(3) ينظر: سيبويه: الكتاب 12/4.

(4) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص28.

وأما التِّبيان والتِّلقاء فلا يقصد بهما مبالغة ولو أرادوا ذلك لفتحوا التاء [1].
وقيل هي أسماء، والمصدر بالفتح[2].
- **فِعَل:** في (فَعُل) للمساحة في الغالب، نحو كِبَر وصِغَر [3]. « وأمّا الكِبَــر فهــو الكبر الجسمي قال تعالى:﴿ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ ﴾ (البقرة: 266)، ومثله: الــصِغَر فهــو يكون في الجسم، وأما الصُّغر والصَّغار فهو معنوي ومعناه: الذل. ومثلــه الغِلَــظ والغِلْظة، فالغِلَظ في الجسم والغِلظة معنوية، قــال الله تعــالى:﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ (التوبة: 123)، ومثله: القِصَر والعِرَض والثِّقَل والضِّخَم، والعِظَم، فالعِظَم في الجسم والمنظر، أمّا العظمة فمعنوية في الغالب» [4] .
- **فُعــال:** وتستعمل هذه الصيغة لما كان مرفَّضا أو متقطّعا من شــيء كالحطــام والفتات [5].
« وكلُّ مصدرٍ اجتمع بعضُه إِلى بعض مثلُ القُماشِ والدُّقاقِ.»[6] وتــستعمل هــذه الصيغة للدلالة على الأصوات، كالصُّراخ والرُّغاء، كما تدل على الأدواء، كالزُّكام والسُّعال.
- **فُعالة** بضم الفاء: وتكون للقليل المفصول من الشيء الكثير كالقلامة والنخالــة والحثالة [7].
- **فِعالة** بكسر الفاء: ويأتي للدلالة على الحرفة أو الصناعة كالحِياكة والكِتابة، كما يدل على الوِلاية كالخِلافة والوِكالة، ويدل على الاشتمال كالعِصابة والعِمــامة.

---

(1) ينظر: الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 167/1.
(2) ينظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف في فنّ الصّرف، ص54.
(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص29.
(4) نفسه، ص30.
(5) (7) ينظر: الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 155/1.
(6) ابن منظور: لسان العرب (جفأ) 639/1.

- **فَعيل:** يأتي للدلالة على الصوت، مثل: صهيل، وعلى السير والحركة، مثل: رحيل.

- **فُعْلة:** للدلالة على الألوان، مثل: حُمْرة، سُمْرة.

3- اسم المصدر:

وهو « ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه بخلوه- لفظاً وتقديراً -من بعض ما في فعله دون تعويض: كعطاء؛ فإنّه مساوٍ لإعطاء معنى، ومخالف له بخلوه من الهمزة الموجودة في فعله، وهو خالٍ منها لفظاً وتقديراً، ولم يُعوّض عنها شيء.» [1] ونحوه: اسم المصدر: الغُسْل فإنه مساو للاغتسال وخال مما يشتمل عليه فعله: اغتسل.

4- المصدر الميمي:

هو مصدر مبدوء بميم زائدة. مثاله كلمة (مَضْرَب) في قول العرب: إنّ في أَلفِ درهم لمَضْرَباً، أي : ضَرْباً ومثاله المفر في قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ ﴾ (القيامة: 10) [2] ومثله: مَوضِع. هذا في المجرد، وأمّا في المزيد فنحو قولهم: مُسرَّح، مُنتهى.

يرى أكثر اللغويين والصرفيين أن المصدر الميمي لا يختلف عن المصدر العادي في معناه. أما في مبناه فلا يخالفه إلا في كونه يبدأ بميم زائدة، ويرى غير هذا فاضل السامرائي في قوله:« والنّحاة يرون أنّ معنى المصدر الميمي لا يختلف عن المصادر الأخرى غير أنّ الذي يبدو لي أن هذا المصدر لا يطابق المصدر الآخر في المعنى تماما وإلا فما اختلفت صيغته.»[3] ويرى أنّ المصدر الميمي

---

(1) ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 2 / 54، 55 .

(2) ينظر: سيبويه: الكتاب 87/4.

(3) فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص31.

يختلف عن المصدر الأصلي في جهتيـْن[1]:

الأولى: أنّ المصدر الأصلي حَدَثٌ غير مُتَلَبِّس بشيءٍ آخر، أما المصدر الميمـي فإنّه مصدر متلبس بذاتٍ في الغالب.

والجهة الأخرى: فإنّ المعنى الذي يحمله المصدر الأصلي ليس هو المعنى نفسه الذي يحمله المصدر الميمي، ويذكر المثالين: (هذه نهايتك) و(هذا منتهاك) فنهايتك تعني فناءك بخلاف منتهاك التي تعني مصيرك لا فناءك.

5- اسم المرّة واسم الهيئة:

يدل اسم المرة على أنّ الفعل وقع مرة واحدة، ويكون على وزن: فَعْلة. ويدل اسم الهيئة على هيئة حدوث الفعل ويكون على وزن: فِعْلة.. وهذان الوزنان يوجدان في العربية دون غيرها من الساميات، « فلا يوجد نظيرهما في كل اللغات السامية.» [2] وقد يكون كل من فِعْلة وفَعْلة مصدرا كسائر المصادر وإن اتفق الوزن نحو: رَأْفة وشِدة.

6- اسم الآلة:

6-1 مفهومه: وهو اسم يدل أداة، كما يدل على الوسيلة التي يعالج بها وقد يكون وصفا لها.

6-2 من الوظائف التواصلية لأبنية أسماء الآلة[3]:

- تدل الصيغ: مِفْعَل، مِفْعال، مِفعَلة على الآلة من دون قيد أو إضافة معنى، كالمكنسة والمفتاح.

- تدل الصيغ: فُعّال وفِعِّيل وفَعَّال وفَعّالة وفُعُّول وما فيه التضعيف عموما على تكثير في الآلة، يقول ابن جني:« فأمَّا قولهم: خُطَّاف وإن كان اسما فإنّه لاحق

---

(1) ينظر: السابق، ص31-33.

(2) برجشترايسر: **التطور النحوي للّغة العربيّة**، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط2، 1994، ص104.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص110، 111.

بالصفة في إفادة معنى الكثرة ألا تراه موضوعا لكثرة الاختطاف به؟ وكذلك سكِّين إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به. وكذلك البزّاز والعطّار والقصّار ونحو ذلك؛ إنما هي لكثرة تعاطي هذه الأشياء وإن لم تكن مأخوذة من الفعل. وكذلك النُّسّاف لهذا الطائر كأنَّه قيل له ذلك لكثرة نسفه بجناحيه، وكذلك الخُضّارى للطّائر أيضا كأنه قيل له ذلك لكثرة خُضرته، والحُوّارى لقوة حوره وهو بياضه، وكذلك الزُّمَّل والزُّمَّيْل والزَّمَّال إنما كرِّرَت عينه لقوة حاجته إلى أن يكون تابعا وزميلا.» [1]

– تدلّ الصيغتان: فِعال وفِعالة على الاشتمال غالبا كالحِزام والعِمامة.

– تدلّ الصيغتان: فاعول وفاعولة على المبالغة في القيام بالفعل أو المبالغة في وصف الآلة، نحو ساطور وطاحونة.

ب- الفعل:

الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وهو مقيد بزمن؛ فيبنى لما مضى، ولما هو كائن لم ينقطع، وما يكون ولم يقع. ويدل على إثبات صفة الحدث في صاحبها على سبيل الحدوث والتجدد لا الثبوت والاستمرار.

ج- الصّفة:

تضم الصفة المشتقات التي هي صيغ؛ أي لها معنى لغوي وآخر نحوي كما ذكرنا. وحددها الرضي الأستراباذي في قوله:« ...فالصفة إما أن تكون صفة مشبهة، أو اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو أفعل تفضيل.»[2] ونضيف صيغة المبالغة، وما تشترك فيه هذه الصفات هو الدلالة على ثبوت الصفة في صاحبها ولكن ليست على درجة واحدة. وسنتحدث عما تعنيه كل واحدة وعن شيء من وظائفها التواصلية:

---

(1) الخصائص 267/3.

(2) الأستراباذي: **شرح الرضي على الكافية**، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط2، 1996، 220/2.

1- اسم الفاعل:

1-1 مفهومه:

هو وصف يصاغ من الفعل للدّلالة على الحدث والحدوث وفاعله أو من تعلّق به [1]. ويدل على الثبوت ولكن ليس بدرجة ثبوت الصفة المشبهة، وفي كثير من الأحيان لا يدل على الثبوت إطلاقا، كما يدل على الحدوث أو التجدد وليس بدرجة الفعل[2].

2-1-1 من وظائفه التّواصلية:

2-1 الدلالة على الحدوث العارض: جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ (هود : 12) « فإنْ قلت: لِمَ عدل عن (ضيق) إلى (ضائق)؟ قلت: ليدل على أنه ضِيق عارض غير ثابت لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان أفسح الناس صدرا، ومثله قولك: (زيد سيّد وجواد) تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد »[3]؛ هذا الكلام يدل على أنه من الوظائف التواصلية لصيغة اسم الفاعل الدلالة على الحدوث العارض. يقول الكفوي:« والضيق إذا كان عارضا غير لازم يعبّر عنه (بضائق) كـ(سائد) و(جائد) في سيد وجواد.» [4]

2-2-1 إلحاق الهاء باسم الفاعل لوظيفة تواصلية:

نجد ذلك في الصيغتين: **فاعِل** و**مُفْعِل** إذا أريد بهما وصف المؤنث؛ فإن ألحقت

---

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص41؛ وينظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف في فنّ الصرف، ص55.

(2) ينظر: محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص71.

(3) الزمخشري: الكشاف 186/3.

(4) الكليات، ص575.

بهما الهاء (تاء التأنيث المربوطة) كانت لهما وظيفة، وإنْ خلتا منها (الهاء) كانت لهما وظيفة مغايرة، وبحسب الغرض تُثبَت أو تُحذَف؛ « فتثبت الهاء في أحدهما وتسقط من الآخر لاختلاف المعنى فيقال مثلا: (امرأة طاهر) من الحيض و(امرأة طاهرة) نقية من العيوب، وكذلك امرأة(حامل) من الحبل و(حاملة) على ظهرها أو تحمل شيئا ظاهرا، و(امرأة قاعد) إذا قعدت عن المحيض و(قاعدة) من القعود ففرّق بينهما بالتاء لافتراق المعنيين ». [1] وفي هذا الشأن يقول ابن القيم: « المرضع من لها ولد ترضعه، والمرضعة من ألقمت الثدي للرضيع، وعلى هذا فقوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾ (الحج: 2)

أبلغ من (مرضع) في هذا المقام فإنّ المرأة قد تذهل عن الرضيع إذا كان غير مباشر للرضاعة. فإذا اِلتقم الثدي واشتغلت برضاعه لم تذهل عنه إلا لأمر هو أعظم عندها من اشتغالها بالرضاع...فأتى في المرضعة بالتاء التي تحقق فعل الرضاعة دون التهيؤ لها.»[2] وقال في مقام آخر« ألا ترى إلى قوله –صلى الله عليه وسلم: (لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار) فإن المراد به الموصوفة بكونها من أهل الحيض لا مَن يجري دمها.»[3] وبإضافة التاء تصبح تؤدي وظيفة التي يجري دمها. وجاء في(لسان العرب):« قال الأخفش: أدخل الهاء في(المرضعة) لأنّه أراد –والله أعلم– الفعل، ولو أراد الصفة لقال:(مرضع)»[4]. فتُحذف الهاء في الصيغتين: فاعِل ومُفْعِل إذا أريد بهما وصف المؤنث لمجرد النسب أو الوصف غير الظاهر، وتُثبت لمباشرة الفعل أو الحدث الجاري.

1-2-3 دلالة اسم الفاعل على الزمن:

تدل صيغة اسم الفاعل على أزمنة الفعل الثلاثة:

---

(1) فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص47.

(2) التفسير القيم، ص366

(3) نفسه، ص270.

(4) ابن منظور: لسان العرب (رضع) 1661/3.

– الماضي: في مثل ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(إبراهيم: 10).كان زيد حافظا.

– الحال: في مثل قوله تعالى:﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾(المدثر: 49).

– الاستقبال:﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِ ۚ ﴾ (آل عمران: 9).

2- اسم المفعول:

2-1 مفهومه:

هو وصف يؤخذ من فعل مضارع مبنيّ للمفعول للدلالة على الفعل ومن وقع عليه، وذات المفعول[1].

2-2 من وظائفه التّواصلية:

2-2-1 دلالة اسم المفعول على العادة الجارية:

قال جلّ ثناؤه:﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ (الإسراء: 29) لم يقل: لا تغل يدك؛ بصيغة الفعل، لدلالة مغلولة على ثبات الصفة واستمرارها، « أي لا تكوننّ عادتك المنع فتكون يدك مغلولة. ومنه قوله جل ثناؤه:﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾﴾(الفرقان: 30) ولم يقل: هجروا؛ لأنّ شأن القوم كان هجران القرآن، وشأن القرآن عندهم أن يهجر أبدا.»[2]، ولو وردت بصيغة الفعل لدلت على الحدوث ولم تؤدّ الغرض.

يقول ابن عاشور:« وفعل الاتخاذ إذا قيد بحالة يفيد شدة اعتناء المتخذ بتلك الحالة بحيث ارتكب الفعل لأجلها وجعله لها قصدا. فهذا أشد مبالغة في هجرهم القرآن من أن يقال: إنّ قومي هجروا القرآن.»[3]

(1) ينظر: عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، ص116.

(2) محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص66.

(3) تفسير التحرير والتنوير17/19.

2-2-2 دلالة اسم المفعول على الزمن:

يدل اسم المفعول على أزمنة الفعل الثلاثة:

- الماضي: نحو:﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ (الرعد: 2) أي سُمي وحدِّد، ونحو: هو مقتول.

- الحال: مثل: أقبل مسرورا، وأنت مغلوب على أمرك.

- الاستقبال: نحو:﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣﴾ (هود: 103) .

3- الصّفة المشبّهة:

3-1 مفهومها:

هي وصف يصاغ من فعل لازم للدّلالة على الثّبوت غالبا، والنص على دلالة الثبوت للصّفة المشبّهة ليس بلازم، فمن صيغها ما يدل على الثبوت والاستمرار نحو: أبكم، أسمر، طويل، ومنها ما يدلّ على وجه قريب من الثبوت نحو: نحيف، وسمين، وكريم، ومنها مالا يدل على الثبوت في نحو: ظمآن وغضبان (1) .

يقول الرضي:« والذي أرى: أنّ الصفة المشبهة كما أنها ليست موضوعة للحدوث في زمان ليست أيضا موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة، لأن الحدوث والاستمرار قيدان في الصفة ولا دليل فيها عليهما؛ فليس معنى (حَسَن) في الوضع إلا ذو حسن سواء كان في بعض الأزمنة أو في جميع الأزمنة. »(2)

وهي صفة مشبّهة باسم الفاعل في المعنى، وتختلف عنه فيما يفيده من حدوث وتجدُّد. كما تطلق الصفة المشبهة على المتصف بها حالا فلا يصح القول: هو ظمآن غدا أو أمس بخلاف اسم الفاعل فيصح قولك: هو ظامئ غدا أو أمس (3).

---

(1) (3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص67.

(2) شرح الرضي على الكافية، 431/3.

وتدلّ الصفة المشبهة على أنَّ الوصف أصبح ثابتا في صاحبه كالسّجيّة، بخلاف اسم الفاعل الذي يدل على الإثبات والثبوت المؤقت، ومثله اسم المفعول مع ما تحدده الوظيفة التواصلية والمقام من فارق بين الصفات الثلاث إضافة إلى ما ذُكر؛ فقولنا: طرف كحيل أبلغ من طرف مكحول وذلك لأنّ معنى كحيل هو أن الكحل أصبح في صاحبه كأنه خلقة، ومثله: كفّ خضيب تختلف عن مخضوب الدالة على التّجدّد [1]. فإذا أردنا الحدوث والتجدد حولنا الصفة المشبهة إلى اسم فاعل أو اسم مفعول بحسب الوظيفة المقصودة.

3-2 من وظائف صيغها ودلالاتها على الزمن:

- **فَعِيل:** تدل على الثّبوت مما هو خِلقة، أو مكتسب، أو خصال، نحو: طويل، وسيم، رزين، لئيم. وللدلالة على المنزلة، نحو: شريف، وضيع. ويدلّ هذا الوزن على الثّبوت والاستمرار.

- **فَعْلان:** وتدلّ على الامتلاء والخلوّ وحرارة الباطن، كريّان وعطشان وغضبان[2] . قال الزّجّاج:« الغضبان هو الممتلئ غضبا. »[3]

كما يدل على السعة والشمول، يقول ابن القيم:« ألا ترى أنهم يقولون غضبان، للممتلئ غضبا، وندمان وحيران وسكران ولهفان، لمن ملئ بذلك؟ فبناء فعلان للسعة والشمول.»[4] وهذا الوزن لا يلزمه الثبوت والاستمرار.

- **أفْعَل:** تدلّ عل الألوان، نحو: أسود. والعيوب، نحو: أحول. والحسن الظاهر، نحو: أهيف، أصبح. وهذا الوزن يدلّ على الثّبوت والاستمرار.

- **فَعِل:** تدلّ على الأدواء والعلل نحو: وجِع وتعِب. كما تدل على السجايا، نحو: وقِح وفرِح. وهذا الوزن لا يلزم الموصوف ولا تستمر فيه الصفة.

---

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص53.

(2) ينظر: الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 145/2.

(3) الزمخشري: الكشاف 109/1.

(4) التفسير القيم، ص33.

4- صيغ المبالغة:

4-1 مفهومها:

صيغ المبالغة وصف لإيقاع الحدث؛ لكثرة القيام به أو لشدة الاتصاف به، وتفيد المبالغة في الوصف والكثرة. والمبالغة وظيفة تواصلية تتطلب بنية جديدة خاصة تابعة لها؛ فهي خروج عن أصل البنية والمعنى المعتاد؛ وذلك بتكثيره أو الزيادة فيه، وكلها إجراءات تترك أصلا أو أثرا، يقول ابن جني:« في المبالغة لا بدَّ أن تترك موضعا إلى موضع إمّا لفظا إلى لفظ وإمّا جنسا إلى جنس، فاللّفظ كقولك: عُراض، فهذا قد تركت فيه لفظ عريض. فعُراض إذاً أبلغ من عريض...قال الأصمعي: الشيء إذا فاق في جنسه قيل له: خارجيّ، وتفسير هذا ما نحن بسبيله وذلك أنه لما خرج عن معهود حاله أُخرِج أيضا عن معهود لفظه.»[1] ومن أشهر أوزانها: فعّال، مفعال ، فعيل، فعول، فعِل.

4-2 من وظائفها التّواصلية:

- **فَعَّال:** تدل على المبالغة في فعل الشيء، نحو: سفّاح وأكّال. وتقتضي الاستمرار والتكرار، والملازمة والتجدُّد، والمعاناة أحيانا. قال تعالى:﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ (المعارج: 15، 16)[2]. وتدلّ هذه الصيغة على الحرفة والصّناعة؛ يُقال لصاحب الصنعة المزاول لها المداوم عليها نحو: بقَّال، نجَّار، خرَّاط. يقول الرضي:« اعلم أنّه يجيء بعض ما هو على فعَّال وفاعل بمعنى ذي كذا...ففعَّال الذي بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه...»[3]

---

(1) الخصائص 46/3.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص96.

(3) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 84/2، 85.

- **مفعال:** وتعني المداومة على الفعل ليصبح كالعادة، مثل: رجل مهذار، ومطلاق، ومزواج.

- **فَعيل:** يأتي للمبالغة في حصول الأمر وتكراره فهو كالطبيعة وكالسجية في صاحبه، نحو: رحيم وعليم. وفعيل أبلغ من مفعول وأشدّ مبالغة في الوصف؛ فالمجروح جرحا صغيرا أو بالغا يصحّ أن يسمّى مجروحا، ولا يقال جريح إلا إذا كان جرحه بالغا، ومثله المكسور والكسير[1]. يقول ابن هشام عن **(حصيد)** في الآية:﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ (يونس: 24): « وأقيم فعيل مقام مفعول لأنه أبلغ منه، ولهذا لا يقال لمن جرح في أنملته جريح، ويقال له: مجروح.» [2]

وخلافه وزن **فُعال** فهو أشد مبالغة من **فعيل**؛ بل يدل على المبالغة فيه هو ذاته، ورد في الخصائص:« ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله وذلك **فُعال** في معنى فعيل؛ نحو: طُوال فهو أبلغ معنى من طَويل.» [3]

- **فَعُول:** يدل على من داوم على الفعل أو أكثر منه، كما يدل على المبالغة في الصفة، نحو: شكور، صبور.

- **فَعِل:** يدل على من صار له الفعل كالعادة، نحو: حذِر، وجِل.

5- اسم التفضيل:

وهو اسم يصاغ للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة واحدة وزاد أحدهما فيها عن الآخر، ويعرفه الرضي بقوله:« هو المبني على أفعل لزيادة صاحبه على غيره في الفعل؛ أي في الفعل المشتقّ هو منه.» [4]

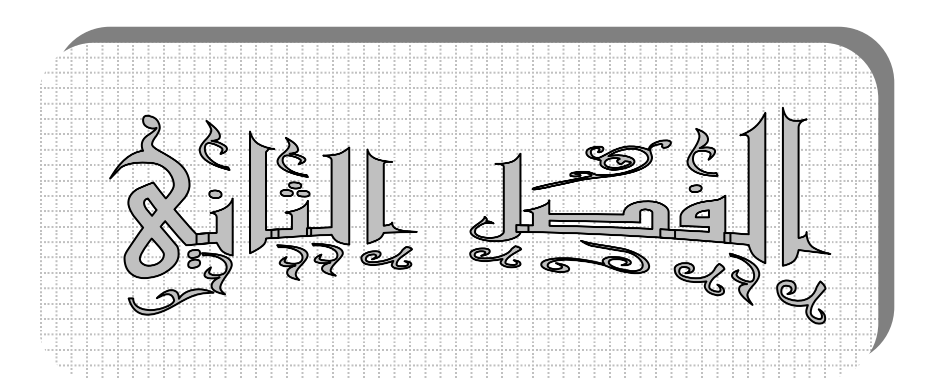
---

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص54.

(2) ابن هشام: **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، ضبطه وحققه محمد محمد تامر، وآخران، الزهراء للإعلام العربي، 2004، ص100.

(3) ابن جني: الخصائص 267/3.

(4) شرح الرضي على الكافية 447/3.



اِختيار الصِّيغ الصَّرفية

(اِنتقاء صيغ صرفية بعينها)

أولا: مفهوم الاختيار وأسسه.

ثانيا: أثر الوظيفة التواصلية في اختيار صيغ بعينها.

ثالثاً: نماذج من اختيار الصّيغ الصّرفية.

أولاً: مفهوم الاختيار وأسسه:

أ- مفهوم الاختيار:

الاختيار هو إعمال الفكر بالاِنتقاء أو الاستبعاد لعناصر الكلام من قائمة الإمكانات الهائلة التي تتيحها اللغة للتعبير عن الأغراض والتواصل[1] وفقا لسنن ومقاييسَ متّفق عليها، ولا يكون هذا الاختيار بمنأى عما تمليه قيود المقام وحال المخاطِب والمخاطَب.

وعند القدامى سمي اختيار كلمة بعينها دون أخرى ترادفها أو تكاد تنكيتا؛ والتنكيت عند ابن أبي الإصبع:« هو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسدّ مسدّه لأجل نكتة في المذكور ترجّح مجيئه على سواه.»[2] وهذه التسمية تشير إلى أنّ هذا الاختيار ينبغي أن يكون لنكتة، ولا يكون عشوائيا، وهذه النكتة هي وظيفة تواصلية تعكس القصدية في الكلام وفنيته التي هي من مطالب التعبير، ومن أساسيات تمكين الغرض التواصلي في نفس المتلقي وقد صرح عبد القاهر الجرجاني بأنّ الاختيار هو جوهر الفنّية في التعبير، حين قال:« لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعا وحتى تجد إلى التخير سبيلا.»[3] والاختيار الفني لا ينفصل عن المقام وظروف الخطاب وملابساته؛ فاللفظ يُختار تبعا لوظيفته المرتبطة بمقامه وسياقه؛ وتأكيدا على هذا من علماء اللغة من يرى أنه ينبغي أن يختار للشريف شريف اللفظ وللسخيف السخيف، يقول الجاحظ (ت255هـ):« وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا إلا أنّي أزعم أنّ سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني. »[4] ويقول بشأن تخير اللفظ في النوادر والمُلح لتحقِّق المتعة المرجوّة

(1) ينظر: عبد الله صولة: **الحِجاج في القرآن** من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص170.

(2) ابن أبي الإصبع: **بديع القرآن**، تحقيق: حنفي محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، 1957، ص112.

(3) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص141.

(4) الجاحظ: **البيان والتبيين**، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1999، 96/1.

منها ولتناسب مقامها:« ...وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطَّغام فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخير لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا فإنّ ذاك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها.»[1] كل هذا يؤكد على أنّ الكلام العربي كان يُختار وفق مقاييس وأسس انتبه إليها علماؤنا القدامى وكشفوا عنها وأصبحت في الدراسات الحديثة قضايا لسانية وظواهر أسلوبية اتسعت تطبيقاتها وكثر الحديث عنها.

ب- أسس الاختيار:

1- الاختيار عند البلاغيين:

تردَّد في كلام البلاغيين أنه من شروط الكلام البليغ تخيّر اللفظ فصاحةً ودلالةَ معنى، وفي هذا المضمار يعرف ابن وهب البلاغة بأنّها:« القول المحيط بالمعنى المقصود، مع اختيار الكلام، وحسن النظام وفصاحة اللّسان.»[2]

كما عرفوا البلاغة بأنها تخيّر اللفظ. وينبغي أن يراعى في هذا التخير مناسبة الخطاب لمستوى القدرات العقلية (الإدراك والفهم) للمخاطَبين بغية تحقيق التأثير والتأثر وحسن الإفهام، وقد استحسن الجاحظ قولهم:« يكفي من حظّ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع.» [3]؛ فالاختيار من أساسيات البلاغة، وشرط في وصف الكلام بالحسن، ويتحقق الاختيار في البنية ما اتصفت بالمنطقية؛ وذلك بدرجة تأثيرها في العقل والفكر؛ وبما تتصف به من فنية لا تتحقق إلا بتفاعل المتلقّين معها ونفاذها إلى قلوبهم ونفوسهم.

---

(1) السابق 96/1.

(2)ابن وهب: **البرهان في وجوه البيان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1980، ص76.

(3) البيان والتبيين 63/1.

2- الاختيار عند الأسلوبيين:

يذهب كثير من الباحثين في الأسلوبية الحديثة إلى اعتبار الأسلوب اختيارا مشروطا بالوعي والقصدية لما توفّره اللغة على سعتها وطاقاتها الكامنة من عناصر[1].

وهذا الاختيار تتناسب وسائله التعبيرية مع الغرض المراد تحقيقه سواء كان ماديا أو شعوريا، كالرغبة في إيصال الانطباع الوجداني للكاتب أو المتكلم إلى القارئ أو السامع[2].

ويشترط الأسلوبيّون في الاختيار الفنيةَ والإبداع؛ فالأسلوب-حسب ماروز- هو« اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصفر إلى خطاب يتميّز بنفسه.»[3] فالعبارة المختارة أو الصيغة المختارة هي صيغة متميزة، وهذا التميز يظهر في وضوح الفرق بينها وبين غيرها من صيغ الكلام العادي.

3- أسباب اختيار صيغ بعينها:

تُختار الصيغة مخصوصة بعينها دون غيرها من الصيغ المشابهة لها، لِأسباب منها:

- تُختار الصيغة لمعناها اللغوي المعجمي. نحو اختيار امرأة العزيز كلمة نفس في الآية:﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾(يوسف: 53) « إذ تؤكّد اتّهام النّفس على إطلاقها في موقف تسعى فيه إلى استخلاص بقية من حسن الظنّ بها بواسطة وقوفها موقف التائب المعترف بالخطأ. ومن هنا كان اختيار كلمة

(1) ينظر: عبد السلام المسدي: **الأسلوبية والأسلوب**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان ، ط5، 2006، ص59.

(2) ينظر: شكري عياد: **اللغة والإبداع**، مبادئ علم الأسلوب العربي، أنترناشيونال بيرس، 1988، ص68؛ وينظر: صلاح فضل: **علم الأسلوب** "مبادئه وإجراءاته"، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص126، 127.

(3) عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص81.

(النّفس) لتعمّ نفوس البشر جميعا ومنها نفسها هي.»[1]

– تُختار الصيغة لدقة تعبيرها عن المراد بالمشابهة: ومن ذلك استعمال الفعل "نسلخ" للتعبير عن حقيقة فلكية باستعمال التشبيه في قوله تعالى:﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (يس: 37) فعند اختراق الفضاء والخروج من الغلاف الجوي لا نجد نهارا، ونرى الشمس كباقي النجوم التي نراها في الليل، ونصبح في ليل دامس؛ فالأصل هو الليل[2]. « فجعل النهار كالجلد الذي يُسلخ وأما الليل فهو الأصل وهو الكل، فشبّه الليل بالذبيحة، والنهار جلدها، فإنْ سُلِخ الجلد ظهر الليل فجعل النّهار غلافاً والليل هو الأصل.»[3]

– تُختار الصيغة لمعناها العرفي الاجتماعي المشاع الذي تعرف به بين مستعمليها. كما في الآية:﴿ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (يوسف: 25) نجد هنا امرأة العزيز قالت:(من أراد بأهلك سوءا) ولم تقل بي وذلك لتثير غضب زوجها على كرامته، كون العدوان على أهله عدوان عليه هو[4].

– تُختار الصيغة لمعناها السّياقي في بيئتها التركيبية الخاصّة. ومن أمثلة ذلك صيغة "أرى" في قوله تعالى:﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ ﴾ (الأنفال: 48) التي لا يفهم المتلقي معناها إلا بالنظر في سياق الكلام الذي وردت فيه، « إذ لا يدري من مجرّد الكلمة ما إذا كان المقصود رؤية بصرية أو ظنية أو رؤيا منامية.»[5]

---

(1) (4) تمّام حسان: البيان في روائع القرآن، ص320.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص7.

(3) نفسه، ص8.

(5) تمّام حسان: البيان في روائع القرآن ، ص212.

وتعني هنا بحسب السياق الذي وردت فيه، وبحسب أسباب النّزول رؤية الشيطان للملائكة وهي تُقاتل مع المسلمين في غزوة بدر.

– تعدّد معنى الصيغة لتؤدّي وظائف متنوعة [(1)].

هذا وتختار العبارة بصيغها « لسبك تركيبها ووضوح معناها واتجاهه إلى الصراحة أو التلميح، ولمناسبتها الغرض منها إيجازا وإطنابا وحقيقة ومجازا ولحسن جرسها، ثم لانسجامها مع بيئتها من السياق وتفضيلها بعض المفردات على بعض.» [(2)]

4- أنواع الاختيار: للاختيار أنواع تصنّف بحسب المتكلم/الكاتب، أو الخطاب/النص:

4-1 الاختيار بحسب المتكلّم: الاختيار بحسب المتكلم أو الكاتب قسمان:

ـ اختيار واع يكون عن قصد وتدبّر، يتردد فيه المتكلم أو الكاتب في وضع الكلمة أو العبارة ويتأمّلها ويصحّحها وقد يحذفها ويغيرها ليختار ما يراه أكثر ملاءمة ومناسبة دون تكلّف. وقد يضطرّ الشاعر أو المبدع إلى تحقيق نوع من الزّينة أو الزخرف اللفظي أو الإيقاع المتكلّف، وحينها يكون اختياره متكلّفا [(3)].

ـ اختيار لاشعوري وفيه تحضر المتكلم أو الكاتب الكلمة أو العبارة بطريقة عفوية للوهلة الأولى من دون تفكير. وغالبا ما ينساق فيه الشاعر أو المبدع في زحمة الكلمات أو المشاعر أو الشحنة الانفعالية، أو بتأثير الإيقاع المتسلّط [(4)].

4-2 الاختيار بحسب الكلام: الاختيار بحسب النص أو الخطاب قسمان:

ـ اختيار وظيفي تواصلي: يسمّى الاختيار النفعي، ويكون الكلام فيه محكوما بالموقف والمقام، ويُختار منه ما يخدم الغرض المنشود في تلك الأثناء.

---

(1) ينظر: ص 77- 79 من هذا البحث.

(2) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص319، 320.

(3) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص92.

(4) ينظر: صلاح فضل: علم الأسلوب "مبادئه وإجراءاته"، ص122، 123.

ـ اختيار نحوي تركيبي: تتحكّم فيه مقتضيات التعبير والعلاقات النحوية بين الكلمات والعبارات لذا يسمّى الاختيار النحوي[1].

5- استعمال الصّيغ الصرفية بين النّمطية والفنّية:

كان للاستعمال اللغوي مستويان كلاهما فصيح؛ وصفت لغة المستوى الأول بالعالية الفصيحة، ووصفت لغة المستوى الثاني بالجائزة الفصيحة [2].

والاستعمال العفوي الذي لا تُراعى فيه ضوابط فنية من تخير للفظ وسهولة للمخرج، وغيرها لغته نمطية هي في مستوى الجائز. ويذهب إلى مثل هذا الجاحظ في وصفه لأجود اللفظ في قوله:«... والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقرويّ، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السّبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج وجنس من التصوير.» [3] تبيّن العبارة أنّ الألفاظ مستويان: ألفاظ نمطية عادية وألفاظ فنية إبداعية، وكلاهما يؤدي الوظيفة التواصلية على ما بينهما من فرق في درجة تأثيرهما على المتلقي وتفاعله معهما؛ ولا يُعرف مستوى اللفظة إلا من خلال عوامل متعلقة بها؛ كمخارج حروفها وصفاتها، وأخرى متعلقة بالعبارة التي وردت فيها، وأخرى خارجة عنهما؛ نحو: سياق الكلام ومقامه، وظروف الخطاب وملابساته، والخلفية الثقافية والحضارية للمتخاطبَيْن.

6- كثرة فُرص الاِختيار وتنوّعها:

6-1 لا محدودية المعاني:

يذكر علماء اللغة قدامى ومعاصرين أنّه رغم محدودية عدد الكلمات والحروف،

(1) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص88.

(2) ينظر: الأنباري: **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 238/2.

(3)الجاحظ: **كتاب الحيوان**، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965، 131/3، 132.

فإنّ المعاني في كل اللغات غيرُ محدودة، وتلك هي خاصية الإبـداع فـي اللغـة الإنسانية. يقول السيوطي:« الحروف قليلة وأنواع المعـاني المتفاهمـة لا تكـاد تتناهى؛ فخصّوا كل تركيب بنوع منها؛ ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعا كثيـرة؛ ولو اقتصروا على تغاير الموادّ؛ حتّى لا يدلّوا على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه من حروف الإيلام والضرب؛ لمنافاتهما لهمـا؛ لـضاق الأمـر جـدّا، ولاحتاجوا إلى ألوف حروف لا يجدونها.»[1] فاللغة توليدية خلاّقة –على حد قول تشومسكي–؛ يُنتج المتكلم بعناصرها ما شاء من البنيات ممّا يعبّر به عن مـراده، وكلمّا قصد معنى لزمه تركيب أو هيئة خاصّة به.

2-6 كثرة الصيغ وتوفيرها للمعاني:

من الميزات البارزة في العربية كثرة صيغها وتنوّعهـا، « واللغـة العربيـة محظوظة جدا بوجود هذه الصّيغ الصّرفية؛ لأنّ هذه الصيغ تصلح لأن تستخدم أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق. ويشكو معظم لغات العـالم من عدم وجود مثل هذا الأساس الذي يمكن به أنْ تحدد الكلمات. والباحثون فـي لغات غير لغاتهم يعانون التعب والمشقّة اللذين يجدونهما في سبيل هذا التحديـد، فيعمدون إلى كلّ الوسائل الممكنة يستخدمونها في هذا الغرض، ويظهـر القـسر والعسف في استخدامها واضحا. فأما اتخاذ الصيغة الصرفية أداة من أدوات خلـق الحدود بين الكلمات في السياق، فميزة للغة العربية من كبريات ميزاتها التي تفاخر بها.» [2] من ذلك مثلا دلالة الصيغ المأخوذة مـن الجـذر(ص ب ر): اصـبِرْ، ولْتصبرْ، تَصبرُ، صبرٌ، صبراً، صبارِ؛ « فـ(صبرا) أقوى من (اصبِر) للدّلالـة على الحدث المجرّد غير المقرون بزمن ولا بفاعل معين. و(صبرٌ) أقـوى مـن (صبراً) للدلالة على الثبوت إضافة إلى ما مرّ. و(صبارِ) أقوى من (اصبر) أيضا

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 278/1.

(2) تمام حسان: **مناهج البحث في اللغة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص210.

لما فيه من مبالغة في الأمر ولأنّه لا يسند إلى فاعل بارز فيكون بلفظ واحد للجميع...وتصبر بلفظ الخبر إذا أريد به الأمر يفيد التوكيد والإشعار بأن الفعل جدير بأن يتلقى بالمسارعة.» (1) فكلّما تغيرت بنيات الصّيغ ومسّها الاشتقاق بما يخدم وظيفة التواصل حدث معنى جديد، وبذا تزداد المعاني وتتفرع.

3-6 الظواهر الصّوتية ووظائف الصّيغ:

من مظاهر مرونة الصّيغ الصّرفية العربية تفاعلها مع ظواهر صوتية تزيد من ثرائها وفعاليتها وتداوليتها، ومنها: الإعلال والإبدال والإدغام، ونكتفي بالتمثيل لهذا بذكر نموذج يوضّح تداولية ظاهرة الإبدال في العربية:

يُفرَّق بين معاني كثير من الصيغ الصرفية المتقاربة المباني بما يقع لها من إبدال يلحق أحد حروفها، ومن ذلك الوِرث والإرث، فهمزة الإرث مبدلة عن واو وأصلها وِرْث إلا أنّ الإبدال كان لمعنى ولخدمة وظيفة، جاء في لسان العرب: « وقيل: الوِرث والميراث في المال، والإرث في الحسب.»(2)؛ فبالإبدال تتباين معاني الكلمة وتصبح تؤدّي وظائف مختلفة بما يتطلبه واقع استعمالها. وقد يكون الإبدال سببا في توليد معان جديدة للجذر الواحد، من ذلك إبدال الواو همزة في كلمة: وَحدَ لتصير: أَحدَ. ويصبح لكل واحدة منهما معنى.« فالوحَد من الوحش المتوحِّد ومن الرجال الذي لا يعرف نسبه ولا أصله. الليث الوَحد المنفرد.» (3) وخلافها الكلمة المبدلة عنها (أحد)؛ فهي إذا أضيفت تكون بمعنى (واحد) نحو قوله تعالى: ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ (الكهف: 19) وإذا لم تكن مضافة أو محددة بقرينة أو بحرف الجر " مِن " فإنها تختص بالله

---

(1) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص242، 243.

(2) ابن منظور: لسان العرب (ورث) 4809/6.

(3) نفسه (وحد) 4781/6.

تعالى، ولم تستعمل لغيره[1]، نحو:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾ (الإخلاص: 1).

6-4 تناسب صفات أصوات الألفاظ مع معانيها:

من الخصائص الفنية للكلمة العربية أن يتردّد فيها كثيرا تفاعل بنيتها مع وظيفتها؛ ومن ذلك ما نجده من تناسب بين الحدث المراد بوجود الكلمة مع صفة أحد أصواتها أو صفاته، قوة وضعفا، رخاوة وشدة؛ من ذلك ما تبديه تداولية بنية الكلمة مع وظيفتها في اللفظين: سدّ وصدّ؛ فالصّاد أقوى من السّين، والصّد أقوى من السّد، يقول ابن جني:« فالسدّ دون الصدّ لأنّ السّد للباب يُسدُّ، والمَنظَرة ونحوها، والصَّد جانب الجبل والوادي والشِّعْب وهذا أقوى من السدّ الذي قد يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك. فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى والسين لضعفها للأضعف.»[2] وكثيرا ما تَجعل العرب في كلامها الأصوات على سمت الأحداث المعبّر بها عنها، ومن أمثلة ذلك ما في اختلاف الكلمتين: الخضم والقضم؛ فالأولى بالخاء الرخوة تدل على أنّ المأكول رخوا رطبا كالبطيخ والقثاء، والثانية بالقاف الشديدة لأكل الصلب اليابس، كالذي تأكله الحيوانات من شعير ونحوه [3]. وهذا يبدي تفاعل بنية هذه الكلمة بصفات أصواتها هذه مع ما يراد بها من معنى، مما يزيد الكلمة تداولية وتأثيرا.

6-5 حركات بناء الصّيغ وتغيّر المعاني:

للحركات دور بارز في التفريق بين المعاني المعجمية لكثير من الألفاظ، كما لها دور في توجيه الوظيفة التواصلية للعبارة أو للنص أحيانا؛ فقد يَنتج باختلاف حركة الكلمة المعنى وضدّه، جاء في المزهر:« بل فرّقوا بين (مُعتِق) و(مُعتَق) بحركة واحدة حصل بها تمييز بين ضدّين. »[4] وبتغير معنى الكلمة يتغير معنى

---

(1) ينظر: نفسه (وحد) 4782/6؛ وينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص226.

(2) (3) الخصائص 161/2.

(4) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها 278/1.

العبارة أو النص. ومن أمثلة ما تفرّق فيه الحركات بين المعاني المعجمية للكلمات: جَهد وجُهد. بَرّ، بُرّ، بِرّ.

ثانياً: أثر الوظيفة التواصلية في اختيار صيغ بعينها:

أ- تداولية اختيار الصيغ الصرفية ودِقّته:

يتناسب الاستعمال الراقي للبنيات اللغوية أثناء التواصل مع المقام وسياق الحديث، ويراعي كلَّ ما له علاقة بالإنسان كطبيعة النفس البشرية، والعادات والتقاليد، والتاريخ والحضارة، والدين، وما توصّل إليه العلم من حقائق كونية وعلمية، وهذا ما وجدناه ماثلا في استعمال الصيغ الصرفية العربية.

1- توجيه المقام لاختيار الصيغة:

المقام عنصر أساسي في تشكيل عناصر الكلام واختيار مفرداته وترتيبها؛ فهو الذي يستدعي المفردة دون الأخرى، لترتبط بعنصر دون آخر في ظروف خاصة لأداء الوظيفة المقصودة من الكلام، وبهذا الاستدعاء تتحقق تداولية المفردة أو الصيغة وتأثيرها في المتلقي ويتحقق الإقناع [1].

ولفهم أشعار القدماء وبعض أقوالهم كثيرا ما يُلجأ إلى معرفة من قالها وفيمن قيلت، وأسباب قولها ومتى قيلت وأين قيلت. ومن مظاهر الاهتمام بدور المقام في تحديد وظائف الصيغ ما يتردد كثيرا عند المفسرين، ويراعونه ويجعلونه شرطا على المفسر أن يتقنه، وهو علم أسباب النزول الذي بدوره يحدد مقام نزول الآية وظروف نزولها، وعلى هدي منه يزول إشكال التفريق بين دلالات الألفاظ وبخاصة المتشابه منها، « وكيف أنّ ما احتواه منها من مفردات إنّما جاءت مطابقة لمقتضى الحال. فعندما يرد في آية فعل "نزّل" (على وزن فعّل) وفي آية أخرى يرد فعل "أنزل" (على وزن أفعل) نجد من المفسّرين من يبيّن النّكتة في هذا الاختيار.»[2] ويربط كل ذلك بمقامه وسبب نزوله، وقد يضطر إليهما اضطرارا.

---

(1) (2) صابر الحباشة: **التداولية والحِجاج**، صفحات، دمشق، سوريا، 2008، ص56.

2- مناسبة وظائف الصيغ المختارة للسياق:

ومثل المقام سياق الكلام؛ يكون المُحْدَث من الكلام فيه والتالي مبنيا على الأوّل ومنسجما معه؛ فالصيغة أو العبارة لا توضع بمعزل عما سبقها من كلام، بل تُختار متسقة ومنسجمة مع ما يفرضه السياق الذي ترد فيه ليتحقق الهدف من وجودها والتبليغ المنشود بها. من ذلك مثلا اختيار صيغة (لُبدا) في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴿٦﴾ ﴾ (البلد: 6) حيث نجد أنّ التعبير بالإهلاك عن الإنفاق، كان متماشيا مع السياق اللفظي العام للسورة ومع جوّها الذي تعددت فيه مصائب الموحِّدين ومهالكهم، « وهو متناسب مع ما يعانيه الرسول وأصحابه في البلد الحرام من الشدائد والمحن التي قد أدّت ببعضهم إلى الهلاك كياسر وسمية، ومتناسب مع حسبان الإنسان أن لن يقدر عليه أحد فيهلكه، ومتناسب مع ذكر العقبة التي قد تفضي إلى الهلاك. ومتناسب مع ذوي المسغبة من اليتامى والمساكين وهلاكهم من الجوع إن لم يُطعَموا، ومتناسب مع خاتمة أصحاب المشأمة التي هي هلاك مقيم.» [1]

ومن ذلك اختيار صيغة (ما اسطاعوا) إلى جانب (يظهروه) ثم التحوّل عنها إلى الصيغة (ما استطاعوا) إلى جانب (نقبا) في الآية الكريمة ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الكهف: 97) وما يوحيه من دلالات ومنها « أنّ السد الذي أقامه ذو القرنين كان على درجة كبيرة من الملاسة والارتفاع أحسّ إزاءها أهل يأجوج ومأجوج باليأس، وتيقّنوا منذ البداية من فقدانهم لوسائل تسوّره، وبالتالي فإنّ ما يُشعر بأنّهم قد حاولوا فعلا إحداث هذا النقب بكل ما أوتوه من قوة، وما تهيأ لهم – آنذاك – من وسائل، غير أنّ محاولاتهم في النهاية قد

(1) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص259.

ذهبت أدراج الرياح أمام ثخانة السد وصلابته.»[1]

ومن تناسب سياق الكلام مع الصّيغ حذف المفعول به في سياق عبارات متتالية مراعاة للفواصل وخدمة للوظيفة التواصلية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾ (الضحى: 6 - 8) في هذه الآيات يرى أكثر المفسّرين أنّ حذف المفعول كان مراعاة لفواصل الآيات، وللعلم به؛ أي فآواك وفهداك وفأغناك. ومنهم من يرى أنّ الحذف كان للتوسّع في المعنى إضافة إلى مراعاة الفواصل، «والمراد أنه آواك وآوى لك وآوى بك خلقا كثيرين، وأنه هداك وهدى لك وهدى بك خلقا كثيرين، وأنّه أغناك وأغنى لك وبك. وهذه المعاني كلّها مطلوبة.»[2] ومثل هذه الآيات كثير في القرآن الكريم، وهو أبلغ من الذكر وأكثر تداولية، ومنها قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ (الأعلى: 2، 3)

3- تعبير الصّيغ عن طبيعة النّفس البشرية:

اللّغة ظاهرة إنسانية اجتماعية ترافق الإنسان في حياته؛ بها يعبّر عن أحداثه مهما اختلفت مقاماتها، وبواسطتها يفصح عمّا يجول بخاطره من أفكار وعمّا يختلج في نفسه من شعور أو رغبة، وتتميز اللغة العربية بدقة عالية في تمثيل كل ذلك وبخاصة لغة القرآن الكريم منها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾ (البلد: 4) فلم يقل: (يكابد) أو(مكابدا) ونحو ذلك. « ذلك أنّ (في) تفيد الظرفية والوعاء. ومعناه: أن الإنسان خلق مغمورا في المشاقّ والشدائد

(1) حسن طبل: **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**، دار الكتب، القاهرة، مصر، 1990، ص66.

(2) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص176.

والصّعاب منغمسا فيها.»[1]

ومن تعبير القرآن العظيم عن طبيعة الإنسان تفريقه (أي القرآن) بين طرفي التسوية فيما ورد في قوله تعالى:﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ (الأعراف: 193) بالفعل ثم بالاسم فلم تكن بفعلين ولا باسمين، نحو: أدعوتموهم أم صمتم، أو أأنتم داعوهم أم صامتون.« وذلك أنّ الحالة الثابتة للإنسان هي الصمت وإنما يتكلم لسبب يعرض له.»[2]

وتَستعمل العربية اللفظين المتقاربين في المعنى استعمالا دقيقا يجد المتأمّل فيه أنّ اختلاف بنيتيهما هو لوظيفة تواصلية مقصودة؛ من ذلك التعبير عن الحالة النفسية للإنسان، في الفعلين ردَّ وأرجع؛ فالأول يستعمل غالبا لما هو مستَكره ثقيل تحاول النفس الخلاص منه، والثاني يستعمل لما تطلبه النفس وتتطلّع إلى تحقيقه كما في الآيتين:﴿فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾(طه:40)و﴿ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾(القصص:13).

هذا وفي استعمال الفعل (رجعناك) خفّة على اللسان لخفّة الأمر. بخلاف الفعل (رددنا) ففيه كلفة وثقل على اللسان ناسبت ثقل الأمر[3] ، والتضعيف مستكره ثقيل على اللسان كما أثبته الواقع اللغوي، وقرره علماء اللغة، جاء في "شرح الشافية" : « اِعلم أنهم يستثقلون التضعيف غاية الاستثقال إذْ على اللسان كلفة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه.»[4]

ولِاستعمال الفعل بلفظ الخبر وهو في المعنى يدل على الطلب نحو دلالة الفعلين:

---

(1) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص254.

(2) فاضل صالح السامرائي: **التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، الأردن، ط4، 2006، ص24.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: من أسرار البيان القرآني، ص47-55.

(4) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 238/3.

(يتربصن) و(يرضعن) في قوله تعالى:﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ ﴾ (البقرة: 228). وقوله:﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ﴾(البقرة: 233) وظيفة خاصة في تحريك النفس وإقدامها على الأمر إلى حد تمثل وقوعه، يقول ابن هشام:« وهذان الفعلان خبريان لفظاً طلبيان معنًى، ومثلهما "يرحمك الله". وفائدة العدول بهما عن صيغة الأمر التوكيد والإشعار بأنّهما جديران بأن يُتلقيا بالمسارعة؛ فكأنّهما امْتثلن، فهما مخبر عنهما بموجودين.»(1)

4- نقل الصيغ لحضارة الإنسان و تاريخه وتقاليده:

كثير من العبارات والصيغ والألفاظ اختِيرت واستعملت في حضارات دون أخرى وعند أقوام دون آخرين، وهنا نذكر شيئا من ذلك على سبيل التمثيل:

- **(دين الملك)**: قال تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦ ﴾ (يوسف: 76) لم يقل شريعة الملك وإنما قال دينه والمقصود العقوبة المصرية القاسية؛ كون الملك هذا يحكم بإرادته الفردية، ولم يكن له وحي أو شرع يلتزم به (2).

- **(الملك)**: في اختيار لفظ الملك دون لفظ فرعون في الآية السابقة إشارة إلى ما كان شائعا عند المصريّين القدامى؛ حيث كانوا يسمّون الملك المصري الأصل "فرعون" والملك غير المصريّ الأصل كانوا يسمّونه "الملك"، « وأنّ الذي كان يحكم مصر في زمن يوسف -عليه السلام- غير مصري، وهو من الهكسوس فسماه الملك، وأنّ الذي كان يحكمها في زمن موسى-عليه السلام- هو مصري

(1) ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص65.

(2) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص321.

فسماه فرعون، فسمى كل واحد بما كان يُسمى في الأزمنة السحيقة.» [1]

– (سيِّد): قال تعالى:﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ (يوسف : 25) وردت كلمة سيد بمعنى زوج في هذه الآية فقط، وهي بهذا المعنى « ليست في كلام العرب وإنما هي بلسان القبط. أي بلسان المصريّين القدامى. والطريف أنه استعمل هذه اللفظة في قصّة يوسف أي بلسان من كان يستعملها في القديم.»[2]

– (يَمّ): كلمة "يم" عبرية، وقد وردت في القرآن الكريم في قصة سيدنا موسى -عليه السلام- وقومه وهم العبرانيون، ولم ترد في غير قصة سيدنا موسى عليه السلام [3] ، قال تعالى عن فرعون وجنوده:﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ ﴾ (القصص: 40).

– التفريق بين كلمتي: "سنة وعام" في استعمال العرب؛ وذلك بجعل السنة مستعملة في القحط ولمعنى الأزمة، والعام للخصب والرخاء[4]؛ ومن ذلك مثلا قوله تبارك وتعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (العنكبوت: 14).

وبالنظر في قصة حياة سيدنا نوح-عليه السلام- نجد أنّ سنين المعاناة كانت هي الطاغية على حياته بين قومه القساة، وتميّزت بها المدة الطويلة التي استغرقتها

---

(1) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص7.

(2) فاضل صالح السامرائي: من أسرار البيان القرآني، ص56، 57.

(3) ينظر: نفسه، ص43.

(4) ينظر: نفسه، ص57.

دعوته إياهم، ما يقارب ألف سنة، وما تبقّى من حياته من أعوام كانت فرجا وغوثا؛ فهي التي خلّصه الله فيها من قومه بإهلاكهم غرقا وإراحته منهم، ونجاته ومن ركب سفينته وآمن معه[1].

5- مطابقة استعمال الصّيغ للحقائق العلميّة والكونيّة:

من النصوص التي توضح تناسب بناء الصيغ الصرفية مع المُشاهَد في الكون وفي مخلوقات الله ما نجده في استعمال اسم الفاعل والفعل المضارع كل في موضعه في الآية الكريمة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الملك: 19). حيث اختير التعبير باسم الفاعل في اللفظة الأولى (صافات)، وكان يمكن التعبير عنها بغير اسم الفاعل كالفعل المضارع (يصففن). واختِير التعبير في اللفظة الثانية بالفعل المضارع (ويقبضن) وكان يمكن التعبير عنها بغير الفعل المضارع كاسم الفاعل (قابضات) مثل الأولى؛ ولكن الآية قد اختارت كل واحد في موضعه لوظيفة تواصلية تتناسب مع خِلقة الطير وكيفية طيرانه؛ وذلك بالصف شبه الدائم لأجنحته والقبض الطارئ لها أثناء الطيران؛ فعبّر عن الدائم باسم الفاعل، وعبّر عن الحادث الطارئ بالفعل المضارع.قال الزّمخشري:« فإن قلت: لِمَ قيل: ويقبضن، ولم يقل: قابضات؟ قلت: لأنّ الأصل في الطيران هو صفّ الأجنحة؛ لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها. وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى صافات ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح. »[2]

---

(1) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن 239/3؛ وينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص160.

(2) الكشاف 175/6.

ومما أثبته العلم واستُفيد منه كثيرا وكانت عليه خِلقة الإنسان ظاهرة اختلاف البصمة عند البشر. وقد ورد في القرآن الكريم ما يتناسب في بنائه اللغوي مع هذا الاختلاف. ومثله ما ورد في قوله تعالى:﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ ﴾ (القيامة: 1- 5) . ففي هذه الآيات نجد أنّ كلمة (بنانه) شذّت عمّا قبلها وما بعدها من فواصل متشابهة كلّها تنتهي بالميم المتبوعة بالهاء (القيامَة – اللّوامَة – عظامَه –...– أمامَه) وحول هذا الشذوذ في الفاصلة ذهب بعض المفسّرين المحدثين المختصّين في الإعجاز العلمي في القرآن العظيم إلى أنّ الآية تشير إلى معجزة البصمة التي لا تتكرّر بين إنسان وآخر. وخدمة للوظيفة التواصلية المرادة تم التضحية بقاعدة مراعاة الفاصلة[1].

6- إقرار استعمال الصيغ لمقتضيات الدِّين والغيبيات:

ممّا ثبت في ديننا وهو أمر غيبي، وعبَّرت عنه آيات القرآن الكريم ووصفته وصفا دقيقا تسبيح المخلوقات الذي تكرر بصيغة الفعل كثيرا للتعبير عن معنى الحدوث والتجدد كما في قوله تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (النور: 41) . ومنه تسبيح الجبال المتجدِّد الحدوث في قوله تعالى:﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾ (ص: 18)

---

(1) ينظر: صابر الحباشة: التداولية والحجاج، ص58.

قال الزمخشري:« ويسبّحن في معنى ومسبّحات على الحال، فإنْ قلت: هل من فرق بين يسبّحن ومسبّحات، قلت: نعم، وما اختير يسبّحن على مسبّحات إلا لذلك، وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالاً بعد حال، وكأنّ السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبّح، ومثله قول الأعشى (الطويل):

.... إِلَى ضَوءِ نارٍ في يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

ولو قال محرّقة لم يكن شيئا.» [1]

و من قدرات اللغة أن تستطيع صيغة كلمة واحدة منها أن تُحضِر مشهدا هائلا كاملا [2]. قد يكون مما لا يُرى في الواقع من نحو تسبيح الرعد والملائكة وغيرهما.

ب- الاختيار والتّوسّع في المعنى:

1- اختيار الصّيغ ذات الوظائف المتعدّدة:

كثيرا ما تشترك الصيغة الصرفية في عدة معان لتؤدي أكثر من وظيفة تواصلية ومن أمثلة ذلك:

- صيغة (الحكيم) في قوله تعالى:﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ ﴾ (يس:1، 2)

تعني الحكيم: اسم المفعول "محكَم"، وتعني اسم الفاعل "حاكِم"؛ لأنّه مهيمن على الكتب الأخرى وعلى سائر الأحكام والشرائع، وتعني الصفة المشبهة "حكيم" أي ينطق بالحكمة [3].

- صيغة (مختار). يشترك في هذه الصيغة اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر الميمي واسما المكان والزمان. تحدَّد كلّ واحدة بحسب استعمالها وسياقها.

---

(1) الكشاف 250/5. ورد البيت كاملا في: ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، (طبعة دون معلومات)، ص223 وهو:

لَعَمْرِي لَقَدْ لاَحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوءِ نارٍ في يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

(2) ينظر: محمد محمد أبو موسى: **خصائص التراكيب**، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 2006، ص256.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص172.

– صيغة (مستقَر) في قوله تعالى:﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ (القيامة: 12)

تدل على معان كلها مقصودة؛ فهي تدل على المصدر "الاستقرار"، وتدل على اسم المكان " الجنة أو النار"، وتدل على اسم الزمان "وقت الفصل بين الخلائق، وسوقهم إلى مستقرهم" [1]

– صيغة (مُنزَل): في قوله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (المؤمنون: 29) صيغة "مُنزَلاً " تحمل معاني اسم المفعول، والمصدر، واسم المكان. و« الحمل على المصدر يجعل المراد طلب البركة من الله في الحدث نفسه فيكون هبوطه ونزوله مباركا من الله تعالى، والحمل على المكان يجعل المراد طلب البركة من الله تعالى في المكان الجديد التي رست عليه سفينة نوح عليه السّلام.»[2] وكِلاهما مطلوب.

– صيغة(آتيك) في قوله تعالى:﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (النمل: 39) إذ يمكن أن يكون لفظ (آتيك) فعلا مضارعا ويمكن أن يكون اسم فاعل.

– صيغة الفعل (يُضارّ): في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ ﴾ (البقرة: 282) فالفعل (يُضارَّ): يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل؛ فقد نهى به الكاتب والشهيد أن يضارّا أحدا ...ويحتمل أن يكون مبنيا للمفعول، فالنّهي أن يضارَّهما أحد؛ فهو بدل أن يقول:(لا يُضارِر ولا يُضارَر) جمع المعنيين بقوله:

---

(1) ينظر: السابق، ص171.

(2) عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص136.

﴿ ولا يضارَّ ﴾، ولو أراد تحديد أحدهما لفك الإدغام [1].

- صيغة الاسم (الكتاب) في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ ﴾ (النور: 33) إذ يصلح (الكتاب) أن يكون بمعنى الصحيفة وأن يكون مصدرا بمعنى المكاتبة[2].

- صيغة(حِلٌّ) في قوله تعالى:﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ (البلد: 1، 2) وتحتمل عدة معانٍ منها[3]:

- الحالُّ والمقيم، وقالوا إنّ المقصود تعظيم المقسم به، وهو مكة التي بحلول الرسول -صلى الله عليه وسلم- بها جمعت شرفين: شرَفها الذي شرفها الله به، وشرَف الرّسول صلى الله عليه وسلم.

- وتعني المستحَل؛ أي المستحل قتلك.

- وهي بمعنى أنه حلٌّ لهذا الرسول أن يَقتُل ويأسرَ في هذا البلد يوم الفتح ما لم يحل لغيره.

- وهي بمعنى أنت بريء مما يقترف من الآثام.

2- نقل الصّيغ (النّيابة) واختيار الصيغة المنقولة:

2-1 مفهوم النقل:

يعني النقل أن تنوب إحدى الصيغ من أقسام الكلام عن الأخرى؛ وذلك بنقلها من وظيفتها الأصلية في التركيب إلى شغل وظيفة صيغة أخرى تختلف عنها في

---

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص173.

(2) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص211.

(3) ينظر: الجملة العربية والمعنى، ص167؛ وينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص246، 247؛ وينظر: مقبول علي بشير النعمة: **الاتساع في المعنى**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص93-95.

الخصائص لغرض تواصليّ مقصود يُختار فيه المنقول (النائب) عن الأصل. والنقل « لا يقتضي التخلي عن الأصل تماما، بل يبقى شيء من خصائص الأصل مع الصّورة المنقولة.»[1]

ومن أسماء النقل عند القدماء [2]: النقل، والنيابة، والتعويض، والتحويل. قال السيوطي قال ابن فارس (ت 395 هـ):« ومن سنن العرب التعويضُ وهو إقامةُ الكلمة مقامَ الكلمة، كإقامة المصدر مقامَ الأمر، نحو " فَضَرْبَ الرِّقاب ". والفاعل مقامَ المصدر نحو " ليس لوَقْعتها كاذبة "؛ أي تكذيب. والمفعول مقامَ المصدر نحو " بِأيِّكُمُ المَفْتُون"؛ أي الفتنة. والمفعول مقام الفاعل نحو: "حجابا مستورا".»[3] وظاهرة النقل سمة شائعة في اللغة العربية تنبئ عن مرونتها، وسعتها في تأدية وظيفة التعبير عن كلّ الأغراض، وفي كل المواقف بدقّة وسعة خيال وتحقيق تفاعل وتأثير في المتلقي عند الأداء.

2-2 من أنواع النقل:

2-2-1 نقل المصدر:

أ- نيابة المصدر عن اسم المفعول:

تعرض ابن جني لقضية نقل المصدر إلى الوصف عند تعليقه على بيت امرئ القيس:

وقَدْ أَغْتَدِي والطَّيرُ فِي وُكُنَاتِها   بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ [4]

فذكر أنّ الأصل: (تقييد الأوابد) بمعنى مقيَّد، فحذف زائدتيه، ثم قال: وإن شئت قلت: وصف بالجوهر؛ أي المصدر لما فيه من معنى الفعل، نحو قول الشاعر(الوافر):

(1) أحمد محمد عبد الراضي: **استعمال الصيغة العربية بين الوضع والنقل**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص102.

(2) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص39.

(3) المزهر في علوم اللغة وأنواعها 270/1.

(4) أحمد بن الأمين الشنقيطي: **المعلقات العشر وأخبار قائليها**، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط3، 1993، ص57.

فَلَوْلاَ اللهُ والْمُهْرُ المُفَدَّى　　لَأُبْتَ وأنْتَ غِربَالُ الإِهَابِ[1]

فوضع (الغربال) موضع (مخرّق) مثل وضع المصدر (قيد) في بيت امرئ القيس موضع اسم المفعول؛ أي: مقيد الأوابد [2]. لدلالة المصدر على الفعل وزيادة تأكيد.

ومثله ما في قوله تعالى:﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ﴾ (يوسف: 18)؛ أي: مكذوب. وجيء هنا بالمصدر بدل اسم المفعول للوظيفة التواصلية المتمثلة في تقوية المعنى، وللدّلالة على أنّ ما فعلوا هو الكذب ذاته.

ب- نيابة المصدر عن اسم الفاعل:

ينوب المصدر عن اسم الفاعل لوظيفة تواصلية، وهي تقوية المعنى وتأكيده والمبالغة فيه، نحو: قوله تعالى:﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرًا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ (الكهف: 40، 41) أي: غائرا، وجاء الوصف بالمصدر للمبالغة في الرجاء الصادر مصدر الدعاء [3] . وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيًا ﴾ (البقرة: 260) أي: ساعيات. قال الأشموني:« وكان حقّ المصدر ألاّ ينعت به لجموده، ولكنهم فعلوا ذلك قصدا للمبالغة أو توسّعا بحذف مضاف، فالتزموا الإفراد والتذكير تنبيها على ذلك، فقالوا: رجل عدل ورضاً وزور، وامرأة عدل ورضا وزور، ورجلان عدل ورضا وزور، وكذا في الجمع؛ أي: (هو نفس العدل أو ذو عدل)، وهو عند الكوفيّين على التأويل

---

(1) أبو تمام: **كتاب الوحشيات(الحماسة الصغرى)**، دار المعارف، مصر، 1987، ص8. البيت قالته عُفَيْرة بنت طُرَامَة الكَلْبية.

(2) ينظر: الخصائص 221/2؛ وينظر: أحمد محمد عبد الراضي: استعمال الصيغة العربية بين الوضع والنقل، ص29.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 325/15.

بالمشتقّ، أي: (عادل، ومرضي، وزائر).»[1]

ج- نيابة المصدر عن الظرف:

ينوب المصدر عن الظرف. ومن أمثلة نيابة المصدر عن ظرف الزمان: انتظرتك قدوم الحاج. وانتظرتك حَلْب ناقة. وجئتك صلاة العصر. ومن أمثلة نيابة المصدر عن ظرف المكان: جلست قرب زيد. والنقل قليل في المكان بخلاف الزّمان [2].

2-2-2 نقل الفعل:

ليس كل الأفعال قابلة للنقل، بل ذلك محكوم بأنماط تعبيرية معينة، وبأفعال مسموعة، لا يمكن القياس عليها، ومظاهر نقل الفعل ثلاثة: نقله إلى الأداة، نحو: كاد، كان. ونقله إلى الخوالف، نحو: نِعم وبئس. التي تحمل معنى المدح أو الذم ولا دلالة على الحدث أو الزمن فيها. ونقله إلى العلمية، نحو: أحمد ويزيد [3].

---

(1) السيوطي: **الأشباه والنظائر في النحو**، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986، 183/1، 184؛ وينظر: الخصائص 202/2.

(2) ينظر: السيوطي: **همع الهوامع بشرح جمع الجوامع في العربية**، تصحيح: بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ت)، 204/1.

(3) ينظر للتفصيل: أحمد محمد عبد الراضي: استعمال الصيغة العربية بين الوضع والنقل، ص103- 130.

ثالثاً: نماذج من اختيار الصّيغ الصّرفيّة:

أ- اختيار الاسم:

1- اختيار اسم بعينه لوظيفة خاصّة:

يَختار الأسلوب الراقي عباراته وألفاظه اختيارا يعبر عن الوظيفة التواصلية المنشودة بدقة؛ ويُختار الاسم بذاته لما يمتاز به عن غيره من الأسماء. ومن أسس اختيار الاسم:

1-1 اختيار اسم بعينه لتعبير معناه المعجمي عن الوظيفة التواصلية المقصودة بدقّة:

من أمثلة اختيار الأسماء لمعناها اللغوي اختيار كلمة "مضغة" دون غيرها مما في معناها كقطعة اللحم الصغيرة وغيرها في الآية الكريمة:

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المؤمنون: 14) كونها تدلّ على أنّ الجنين في مرحلة ما يكون قدر ما يمضغ الماضغ، وعلى شكل قطعة لحم ممضوغة غير عادية كما أثبتت الدراسات العلمية الحديثة؛ فاختيارُ لفظ المضغة اختيار لغوي علمي دقيق[1].

ومنه كلمة " الشّوى" في قوله تعالى:﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (المعارج: 15 ــ 18) ومن معاني (الشوى) جلد الإنسان [2]. وفي اختيار هذا الاسم تحديد لنوع عذاب الذي

---

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص6. وقد يكون اختيارها لأسباب أخرى يعلمها الله إضافة إلى ما ذُكر.

(2) ينظر: لسان العرب (شوى) 2368/4 .

يجمع المال من أيّ طريق ويحفظه في وعاء ولا يعطي حقه، فهذا عقوبته أن تنزع جهنم جلده وتبقي الأحشاء، « والجلد للأحشاء كالوعاء للمال يحفظ ما في داخلـه، فإنّ هذا الشخص كما أوعى ماله ومنع حقّه، سيمزّق الله وعاء جسمه ويخرج مـا في داخله ... فانظر التناسق الجميل بين المعصية والعذاب.»[1]

ونحو من ذلك كلمة "تراب" في قوله تعـالى:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: 59) التي اختارها الله سبحانه وتعالى بدل "طين" (مجموع التراب والماء) المذكورة في مواضع أخرى، كقوله:﴿ إِنِّي خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ (ص: 71) ؛ وبهذا عبّـر عن المراد وهو تهوين أمر خلق من ادّعى بنو إسرائيل فيه تقديسا فوق ما يلـزم، فهو مخلوق من عنصر بسيط (تراب) ولم يقل من (طين)؛ « وذلـك أنـه أدنـى العنصرين وأكثفهما، لما كان المقصود مقابلة من ادّعى في المسيح الإلهية أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادّعى ذلك، فلهذا كان الإتيان بلفظ التـراب أمـس فـي المعنى من غيره من العناصر؛ ولما أراد سبحانه الامتنان علـى بنـي إسـرائيل أخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهيئة الطير، تعظيما لأمر ما يخلقه بإذنه، إذا كان المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظموا قدر النعمة به.»[2]

وفي اختيار " اللّبد" التي تعني المجتمِع المتلبِّد الكثير[*] دون غيرها ممـا فـي معناها في قوله تعالى:﴿ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالاً لُّبَدًا ﴿٦﴾ ﴾ (البلد: 6) مناسبة لِمعناها اللغوي الدّقيق وللمراد بها؛ ففي بداية السورة يذكر الله تعالى أنّ الرّسول–صلّى الله

---

(1) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص160.

(2) الزركشي: البرهان في علوم القرآن 234/3.

(*) جاء في(الكشاف):« لُبداً قرئ بالضم والكسر جمع لُبدة ولِبدة، وهو ما تلبّد يريد الكثرة.» الزمخشري: الكشاف 377/6.

عليه وسلّم- حلّ بهذا البلد، والكفرة لا يحلو لهم ذلك، فهم مجتمعون لإيذائه وصده عن دعوته كما في الآية:﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾﴾ (الجن: 19) « فاجتماع المال في الإهلاك مناسب لاجتماع الكفرة على الرسول لإهلاكه، وإهلاك دعوته وهو حِلٌّ بهذا البلد.»[1]

1-2 اختيار اسم بعينه لتعبيره في سياق معيّن عن الوظيفة التواصلية المقصودة بدقّة:

من أمثلة اختيار الاسم للتعبير به بدقة عن وظيفة تواصلية ما في سياق خاص اختيار كلمة "مُرسلين" عوض"مُوحِين" في هذه الآية:﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾(القصص:45) « لأنّ المقصد الأهمّ هو إثبات وقوع الرّسالة من الله للردّ على المشركين في قوله. وقول أمثالهم:﴿ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾(المؤمنون: 24)»[2] وليتناسب المعنى مع سياق ما سيأتي في الآية اللاّحقة:﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (القصص: 46)؛ فهذه الآية تبيّن أنّ الرّسول-صلّى الله عليه وسلّم- رحمة، ومن وظائفه الإنذار، وفي هذا تأكيد على دقة اختيار مُرسلين بدل مُوحين.

(1) فاضل صالح السّامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص260.

(2) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 132/20.

ومنه نهيه سبحانه وتعالى عن الجهل بدل أن يأمر بالعلم في قوله:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾(الأنعام: 35)؛ وذلك لتضمّن هذا النهي الأمر بالعلم والنهي عن الجهل معا؛ « فيتقرّر في الذّهن مرّتين، ولأنّ في النّهي عن الجهل بذلك تحريضاً على استحضار العلم به.»[1]

ومن أمثلة اختيار الاسم لدلالته الخاصّة في السياق اختيار كلمة "راعون" مع الأمانة والعهد بدل كلمة "حافظون" في قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾(المؤمنون:8)؛ لأنّ الرعي يتطلّب ملازمة الرعية ومتابعة تفقّدها « وأصل الرعي حفظ الحيوان، وتولّي أمره وتفقّد شأنه.»[2]

ومنه اختياره سبحانه وتعالى أن تكون العقوبة هي" النكير" بدل "العذاب" ونحوه. في قوله:﴿ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الحج: 44) «... وكأنّ مناسبة اختيار النكير في هذه الآية دون العذاب ونحوه أنه وقع بعد التنويه بالنهي عن المنكر ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ (الحج: 41) لينبّه المسلمين على أن يبذلوا في تغيير المنكر منتهى استطاعتهم، فإنّ الله عاقب على المنكر بأشدّ العقاب، فعلى المؤمنين الائتساء بصنع الله. »[3] فاستعمل النكير للإشارة إلى توجيه سابق

---

(1) السابق 207/7.

(2) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص148.

(3) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير284/17.

في السياق، وهو شروط التمكين في الأرض والنُّصرة التي من ضمنها النهي عن المنكر، وللتذكير بأنّ الجزاء من جنس العمل، وأنّ عقوبة من لم ينهَ عن المنكر شيء من جنسه مشار إليه في لفظه وهو النَّكير.

1-3 اختيار اسم بعينه لتعبيره في مقام معيّن عن الوظيفة التّواصلية المقصودة بدقّة:

كثيرا ما يُختار الاسم لتعبيره في مقام معين عن معنى قد لا يؤديه في مقام آخر ولا يؤدّيه غيره من الأسماء كما في كلمة " خِلاف" التي اختِيرت بدل كلمة "خَلف" وما في معناها في قوله تعالى:﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ (التوبة: 81) لتشير إلى مخالفة أمر رسول الله من قِبل القاعدين المتخلفين عن الجهاد حين استنفر الرسول - صلى الله عليه وسلم- الناس جميعا للغزو[1]. فتؤدي بذلك المعنيين: مكان القعود وفعل المخالفة.

ومن ذلك التعبير باسم "الرحمن" خِصّيصا دون غيره من أسماء الله تعالى كما في قوله:

﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ ﴾ (الرعد: 30) له عدّة وظائف تواصلية منها [2]:

- التأكيد على وجود هذا الاسم والصفة " الرحمن" لجحد المشركين بهما، وكفرهما

(1) ينظر: السابق 280/10، 281.

(2) ينظر: نفسه 141/13.

بهذا الاسم بالذات كفرا شديدا. قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ (الفرقان: 60).

– وفي ذكر اسم الرحمن إشارة إلى تكذيب كفرين من كفر المشركين: جحد الوحدانية، وجحد اسم الرحمن.

– وفي ذكر هذه الصّفة "الرّحمن" تأييد ومخالفة لما كذّبوا به فقد كذّبوا بالرسول والقرآن اللّذيْن هما رحمة من الرّحمن عزّ وجلّ.

هذا ويذكر بعضهم أنّ لكلمة "الرحمن" دلالات خاصّة عند العرب زمنَ نزول القرآن؛ فقد كان الأوّلون من مشركي مكّة ينفرون منها حين يستعملها القرآن لِما علموه عن أصلها ومعناها في الديانات التوحيدية السابقة التي خالطوا أهلها. ومنه ما أشار إليه القرآن كالإلحاح على وحدانية الله تعالى [1].

ومن ذلك استعمال لفظ "الجبل" بدل "الطور" على ما بينهما من دلالة عامة على معنى واحد وهو الجبل، وذلك لم يكن عشوائيا بل لسببٍ قد تكون الوظيفة التواصلية أساسه؛ حيث نجد في الحديث عن الشيء العظيم والهول والتخويف يستعمل القرآن ما دلّ على شدّة الضخامة والكبر وبيان المقدرة العظيمة وهو الجبل؛ وذلك نحو قوله تعالى في قول موسى عليه السلام:

﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ﴾(الأعراف: 143) « فانظر كيف اختار لفظ الجبل على الطور للدلالة على عظم التجلي وأثره.»[2]

(1) ينظر: عبد الله صولة: الحِجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ص213-222.

(2) فاضل صالح السّامرائي: **الجملة العربية**، تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص41.

ومن استعمال الجبل دالاّ على الشّدّة والقوّة للتهديد والتخويف استعماله مع النتق الذي هو أشدّ وأقوى من الرفع في الآية:

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾(الأعراف: 171) « ذلك أنّ معنى النّتق: هو الجذب والزّعزعة والاقتلاع، ومعناه أيضا: هو أن يقلع الشيء فيرفعه من مكانه ليرمي به، هذا هو الأصل في حين أنّ الرّفع ضدّ الوضع.»[1]

1-4 اختيار اسم بعينه لتعبير أصواته عن الوظيفة التواصلية المقصودة بدقة:

قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (فاطر: 27)

وردت الآية مستعملِة لفظ "جُدَد" في تكوين الجبال بدل "صخور" كون لفظ الجبل يدل كما ذكرنا على الشدة والقوة والتخويف؛ لذا فهي مشكلة ومكونة مما تشير أصوات حروفه إلى ذلك، وهو لفظ "جُدَد"؛ فكل حروفه شديدة بخلاف حروف كلمة "صخور" التي هي:« صاد رخوة ثم خاء رخوة أيضا ثم راء تكرارية، وفي الرخاوة رخاوة، وفي التكرار تخلخل، أمّا لفظ (جُدَد) فالشِّدة واقعة في كلّ حرف من حروفه مما يوحي بالقوّة التي تتناسب مع تركيب الجبال.» [2] وتتناسب مع استعمال القرآن للجبل.

1-5 اختيار اسم بعينه لتعبير وزنه عن الوظيفة التّواصلية المقصودة بدقّة:

للوزن دوره في تحديد الوظائف التواصلية للصّيغ الصرفية العربية؛ وبه يُفرَّق بينها في كثير من الأحيان، وعلى أساسه تختار الكلمة دون غيرها، ومثال ذلك

(1) فاضل صالح السّامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص127.

(2) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص352.

اختيار كلمة "الصِّراط" بحسب وزنها حسب ما يبدو في قوله تعالى:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ (الفاتحة: 6) دون غيرها ممّا يقترب معها في الدلالة، نحو: كلمة (طريق) أو(سبيل)، وهذا الاستعمال له ما يبرره وظيفيا؛ فهي تؤدي وظيفة خاصّة تتميّز بها؛ « ذلك أنّ (الصراط) على وزن (فِعال) من (صِراط) وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال كالرِّباط والشِّداد، فيشتمل على كلّ السالكين، ولا يضيق بهم فهو واسع رحْب بخلاف كلمة (طريق) فإنها (فعيل) بمعنى (مفعول) من(طرق) بمعنى مطروق، وهذا لا يدل في صيغته على الاشتمال، فقد يضيق بالسالكين ولا يستوعبهم.

وكذلك كلمة (السبيل) فهي كأنّها (فعيل) بمعنى (مفعول) من أسبلت الطريق إذا كثرت سابِلتُها كالحكيم بمعنى المُحكَم. والسابلة من الطرق المسلوكة يقال: سبيل سابلة، أي: مسلوكة.»[1] فللوزن صداه على البنية اللغوية التي تفرض صيغتها وشكل وجودها الوظيفةُ التواصلية . ومن دقة العربية أن يُختار لكل وظيفة مبنى معين بوزن خاصّ مقصود.

6-1 اختيار اسم بعينه لتعبير مادَّة مسمَّاه عن الوظيفة التواصلية المقصودة بدقّة:

قد يُختار الاسم بناء على المادة التي خُلق منها المسمَّى به، لا على أيّ أساس لغوي أو أسلوبي، ففي الآية الكريمة:﴿ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ۝١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ۝١٤٦﴾ (الصافات: 145، 146) اختار الله سبحانه وتعالى اليقطين دون غيره من الأشجار لأنّ نبات اليقطين(*) أوراقه ممتدة ساترة،

(1) فاضل صالح السّامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص58.

(*) اليقطين ما لا ساق له من النبات. واليَقْطِينة: القَرْعة الرَّطبة. ينظر: الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، تقديم وتعليق: أبو الوفا نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص1234.

وغلته غذاء طازج في المتناول. فضلا ولطفا بعبده يونس-عليه السلام- بعد الشدّة. يقول ابن عاشور:«...فالظاهر أنّ أغصان اليقطينة تسلّقت على جسد يونس فكسته وأظلته. واختير له اليقطين ليمكن له أن يقتات من غلته فيصلح جسده، لطفا من ربه به بعد أن أجرى له حادثا لتأديبه، شأن الربّ مع عبيده أن يعقب الشدّة باليُسر.» [1] ومثل هذا كثير.

2- اختيار الاسم بحسب العدد:

2-1 اختيار المفرد:

من أمثلة اختيار الاسم المفرد بدل الجمع لوظيفة تواصلية أو لوظائف ما يأتي:

- كلمة (نَهَر): اختارت الآية الكريمة التعبير بالاسم المفرد (نهَر بدل أنهار) في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾﴾ (القمر: 54) مع أنّ الجنّات قبله جمع، بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم، فإنه إذا جمع الجنة جمع النهر نحو:﴿ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (آل عمران: 15) وذلك والله أعلم أنّه جمع في لفظ (النهر): عدّة معانٍ منها:

* أنّ (النهر) اسم جنس بمعنى الأنهار وهو بمعنى الجمع، وقد يؤتى بالواحد للدلالة على الجمع والكثرة ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم-:« أهْلَك الناسَ الدينارُ والدرهمُ ».

* ومنها أنّ من معاني (النهَر) السعة [2].

* ومنها أنّ من معاني(النهَر) الضياء. جاء في (لسان العرب) « وأما قوله عزّ وجلّ:﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾﴾ (القمر: 54) فقد يجوز أن يعني به السعة والضياء وأن يعني به النَّهْر الذي هو مجرى الماء على وضع الواحد

---

(1) تفسير التحرير والتنوير177/23، 178.

(2) ينظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص513.

موضع الجميع...وقيل في قوله تعالى:﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ أي في ضياء وسعة لأنّ الجنّة ليس فيها ليل إنما هو نور يتلألأ.»[1] ولو وردت بصيغة الجمع (أنهار) لكان لها معنى واحد وهو مجرى الماء، فاختيار المفرد كان أكثر وظيفية.

- كلمة (عَظْم): ومن أمثلة اختيار الاسم المفرد اختيار كلمة (عَظم بدل عِظام) في قوله تعالى –على لسان زكرياء عليه السّلام–: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ (مريم: 4)

قال الزمخشري في بيان سر اختيار المفرد دون الجمع (عظام) في هذه الآية: « وإنما ذكر العظم لأنّه عمود البدن وبه قوامه...، ووحّده لأنّ الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصدُه إلى أنّ هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشدُّ ما تركّب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو جمع لكان قصدا إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها.» [2]

- ومثله توحيد كلمتي (حلْق وعَظْم) في قول الشاعر[3]:

لا تنكروا القتل وقد سُبِينا   في حلْقكم عَظْم وقد شُجِينا

- كلمة(الدُّبُر): في قوله تعالى:﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾(القمر: 45)

أفرد الدبر ويعني الجمع، وربّما وُحّد للدّلالة « على أنّ انهزام الجمع انهزامة واحدة ولذلك الجيش جهة تولٍّ واحدة، وهذا الهزم وقع يوم بدر.»[4]

2-2 اختيار الجمع:

كثيرا ما تدعو الوظيفة التواصلية إلى استعمال الجمع بدل المفرد، ومثال ذلك:

---

(1) ابن منظور: لسان العرب (نهر) 4556/6؛ وينظر: الزمخشري: الكشاف 665/5.
(2) الزمخشري: الكشاف 5/4، 6.
(3) ابن منظور: لسان العرب (نهر) 4556/6.
(4) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير213/27.

- جمع الأمانات في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾(المؤمنون: 8) جُمعت الأمانات كونها متعدّدة وموجودة في كلّ مجالات الحياة، وخِلافها العهد فهو أقلّ[1].

- اختيار الجمع على صيغة (فعْلى وفَعَالى) للدلالة على البلية والآفة النازلة، ومنه: جمع أحمق على (حمقَى) إذا أُريد بها أنّ الحُمق أصبح فيهم بلية وآفة، وإنْ أردت مجرد الجمع قلت: حُمْق.

ومثلها (عَطَاشى) لمن استحكم فيهم العطش، و(يَتَامى) لمن يكابدون قساوة بسبب يُتمهم؛ قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾﴾ (النساء: 10) تدلّ صيغة الجمع (يتامى) هنا على أنّ هؤلاء اليتامى قاصرون قد لا يوجد من يحمي حقهم ومالهم؛ ولهذا يحذر من يأكل ما لهم ظلما ويعده بالسعير؛ « فجمعه على اليتامى لتشنيع فِعلة الآكل، فهؤلاء يتامى مهضومون أثَّر عليهم اليتم حتى أصبح بلية نازلة عليهم، فكيف يسوغ أكْل مالهم ظلما؟» [2]

- جمع (السيئات) في قوله تعالى:﴿...وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ (فاطر: 10) يقول ابن عاشور:«...فلمّا أريد هنا التنبيه على أنّ أولياء الشيطان لهم أنواع من المكر عدل عن الإفراد إلى الجمع وأوتي به جمع مؤنث للدلالة على معنى الفِعلات من المكر، فكلّ واحدة من مكرهم هي سيئة...» [3]وفي الأخير نبه باسم الإشارة على أنه

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص148.

(2) فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص143.

(3) تفسير التحرير والتنوير274/22.

مهما تعدَّد مكرهم فسيبور وينتهي أمرهم وأمره.

2-3 تنوع العدد المختار بحسب الوظيفة:

قد يتنوّع اختيار العدد في صيغ العبارة الواحدة بحسب توجيه الوظيفة التواصلية، كما في الآيات الآتية:

* قال الله تعالى:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (النساء: 13، 14) نجد في الإتيان بصيغة الجمع كلمة " خالدين " عند وصف ثواب الطائعين، ومقابلته بالإفراد في وصف عقاب "العاصين" إشارة إلى أنّ القوم يومئذ كانوا قد دخلوا في الإسلام ونبذوا الكفر ولم يخالف إلا من لم يثبت الإيمان في قلبه[1] وربما يكون قليلا لذا أشار إليه بصيغة المفرد. وفي التعبير عن العاصي بالمفرد كذلك تأكيد على إذلاله وتعذيبه بالوحشة والانفراد وقلة النصير[2].

* قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (المؤمنون: 1، 2) وقال بعد ذلك:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (المؤمنون: 9) ذكر الصلاة في بداية السورة بصيغة المفرد في حديثه عن الخشوع في جنس الصلاة، ثم ذكرها بصيغة الجمع للإشارة إلى أنّ

---

(1) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير4/268.

(2) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص112.

الصلاة أنواع يُفلح المحافظ عليها جميعا. جاء في "الكشاف" :«...فقد وحّدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة، أي صلاة كانت، وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على أعدادها وهي: الصلوات الخمسة والوتر والسنن المرتبة على كل صلاة، وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف، وصلاة الضحى والتهجّد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة، وغيرها من النوافل. »[1]

*قال تعالى:﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾(الشعراء:100، 101)

فقد أفرد (الصديق)، وجمع (الشافعين)؛ لأنّ الشفعاء لصاحب الضيم والملهوف كُثْر وبخاصة إنْ استعان بهم، وأمّا الصّديق بمعناها الحقيقي فقليل، قال الزمخشري: « فإن قلت: لم جمع الشافع ووحد الصديق؟ قلت: لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق. ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته، رحمة له وحسبة، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة. وأما الصديق – وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما أهمك – فأعز من بيض الأَنُوق»[2]. ويجوز أن يريد بالصديق: الجمع [3].

3- اختيار الاسم بحسب التّعيين:

يدل التنكير على الواحد أو الجنس ويدل التعريف بأل على العهد أو الجنس. ويختلف المعنى تبعا لذلك وهذا الاختلاف يعبر عن وظائف تواصلية متنوعة كل في موضعه. جاء في(الكتاب): « يقول الرجل (أتاني رجل.) يريد واحدا في العدد لا اثنين فيقال: ما أتاك رجل، أي أتاك أكثر من ذلك، أو يقول: (أتاني رجل لا امرأة.) فيقال: ما أتاك رجل، أي امرأة أتتك. ويقول: (أتاني اليوم رجل.)، أي في

---

(1) الزمخشري: الكشاف 220/4.

(2) نفسه 401/4، 402 . الأَنُوق تعني الرَّخَمة وبيضها صعب المنال« لأنها تُحْرِزه فلا يكاد يُظْفَر به لأَنّ أَوْكارها في رؤوس الجبال والأَماكن الصعْبة البعيدة.» لسان العرب (أ ن ق) 153/1.

(3) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن 16/4.

قوته ونفاذه، فتقول: ما أتاك رجل، أي أتاك الضعفاء. فإذا قال: ما أتاك أحد صار نفيا عامًّا لهذا كلِّه.»[1] من هذا نجد أنّ عبارة: ما أتاك رجل. بتنكير كلمة (رجل) تحتمل المعاني الثلاثة: نفي الواحد وإقرار الجماعة، ونفي جنس الرجال، ونفي من هو قوي نافذ [*]. والوظيفة التواصلية هي التي تحدد متى تكون كل جملة وأين ترِد.

ومن الأغراض التواصلية للتنكير إضافة إلى ما سبق إفهام التّعميم وما يتولّد عنه من إيهام أو تهويل أو تحقير أو تعظيم بحسب موقع الكلمة من سياقها اللّغوي ومقامها الاجتماعي. ومما يفيده التنكير من تعميم لأداء وظيفة التهويل، وتعظيم الموقف ما ورد في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ﴾ (النساء: 47)؛ فتنكير كلمة "وجوه" جعلها«غير محدّدة لأصحاب هذه الوجوه من بين أهل الكتاب، أهم دعاة الكفر منهم فقط، أم هم جميع أفراد الطائفة؟ وهكذا يقود التنكير الذّهن إلى مسارب للمعنى متعدّدة،وهو ما قصدت إليه الآية.» [2] مما يجعل كل واحد منهم يتوقع نفسه مستهدفا بالطمس.

وكذلك الأمر بالنسبة للتعريف فلا يثبت في اسم إلا لوظيفة؛ فتقول: جاء الرجل؛ أي الرجل المعهود الذي تعرفه، وتقول: جاء الرجل؛ أي المتصف بكمال الرّجولة. وتقول: أحبّ الكتاب؛ فقد تشير بذلك إلى كتاب معين أو إلى جنس الكتاب بحسب المقام والوظيفة المنشودة[3]. وكما يعرّف اللّفظ بـ (ال الجنسيّة أو العهدية) مثل

---

(1) سيبويه: الكتاب1/55.

(*) ولنفْي الثلاثة جميعا نأتي بعبارة واحدة هي: ما أتاك أحد.

(2) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص355، 356.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص76.

ما رأينا يعرّف باستعمال الموصول للإخبار الخالص، نحو: الذي اجتهد ينـــال. أو لمعنى الشرط، نحو: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة: 38).

نخلص من ذا وذاك إلى أنّ التعريف والتنكير عند العرب يثبتان لسببٍ الوظيفة التواصلية منه أعنى، كما يخالفان لسببٍ، ولا اعتباط في ذلك.

4- اختيار المصدر:

4-1 اختيار مصدر بعينه لوظيفة خاصّة:

يُختار المصدر للتواصل والتعبير عن الأغراض، لِما يُختصّ به مما لا يؤديـــه غيره من الأسماء والمشتقات، ومن الوظائف التّواصلية للمصدر:

- تأكيد معنى الصّفة في الموصوف بالفعل أو في المُتحدث عنـــه ليـــصبح كأنـــه مخلوق من تلك الصفة، كما نقول: عمر رجل عدلٌ. فــ(عدل) وقعت موقع الصفة (عادل) لتأكيد عدل عمر وأنّ العدل أصبح صفة مميزة له، وعادة عُــرف بهـــا، وكأنه هو العدل ذاته. يقول ابن جني: « ومن تجاذب الإعراب والمعنى ما جرى من المصادر وصفا نحو قولك: هذا رجل دنَف وقوم رِضاً ورجـــل عـــدْل. فـــإن وصفته بالصفة الصريحة قلت: رجل دنِف وقوم مرضيون ورجل عادل. هذا هـــو الأصل. وإنّما انصرفت العرب عنه في بعض الأحوال إلى أن وصفت بالمـــصدر لأمرين: أحدهما صناعي والآخر معنوي. أمّا الصناعي فليزيدك أنسا بشبه المصدر للصّفة التي أوقعته موقعها كما أُوقِعت الصفة موقع المصدر في نحو قولك: " أقائماً والنّاس قعود"... وأمّا المعنوي فلأنّه إذا وُصف بالمصدر صار الموصوف كأنّـــه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل. وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه. »[1]

ومن وضع المصدر موضع المشتقّ لتمكين المعنى وتوكيده كلمتا: " رضىً وعدلٌ " في بيت زهير بن أبي سلمى[2] (الطويل):

(1) الخصائص3/259.

(2) زهير بن أبي سلمى: **ديوان زهير بن أبي سلمى**، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنـــان، ط2، 2005، ص49.

متى يشْتَجِرْ قومٌ تقلْ سرَواتُهُمْ　　　هُمُ بيننا فهُمْ رضىً وهُمُ عَدْلُ

يقول ابن جني معلقا على هذا البيت:« فإذا قِيل: رجل عدل فكأنّه وصف بجميع الجنس مبالغة؛... فوصف بالجنس أجمع تمكينا (لهذا الموضع)، وتوكيدا.»[1]

ومنه "هدى" في قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ (البقرة:2) فلو قال: "هاد" لم يحصل مثل ما حصل بالمصدر "هدى" من معنى؛ ففيه تمام الثناء على القرآن وفيه تأكيد على أهمية القرآن للمتقين موجِّها ودستورا على اختلاف مراتبهم وأزمانهم، وفيه تذكير بأنّ القرآن صالح لكل زمان ومكان؛ فالمصدر غير مقيد بزمن مثل أكثر المشتقات. يقول ابن عاشور:« حصل من وصف الكتاب بالمصدر من وفرة المعاني ما لا يحصل، لو وصف باسم الفاعل فقيل هاد للمتقين، فهذا ثناء على القرآن وتنويه به وتخلّص للثناء على المؤمنين الذين انتفعوا بهديه، فالقرآن لم يزل ولن يزال هدى للمتقين، فإنّ جميع أنواع هدايته نفعت المتّقين في سائر مراتب التقوى، وفي سائر أزمانه وأزمانهم على حسب حرصهم ومبالغ علمهم واختلاف مطالبهم.»[2]

4-2 اختيار المصدر بحسب وزنه:

4-2-1 اختيار وزن " فَعَلان ":

من دقة الاختيار أن يُستعمل المصدر مختاراً بناء على وزن دون آخر خدمة لما يبتغيه المتكلم به من وظيفة أو وظائف؛ ومثله استعمال وزن " فَعَلان " في الآية الكريمة:

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ

---

(1) الخصائص202/2.

(2) تفسير التحرير والتنوير226/1، 227.

ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ (العنكبوت: 64). فقد اختار كلمة " الحيــوان" على وزن: فَعَلان. ليقصد بها حياة الآخرة مقابلا لــ" الحياة" وهي حيــاة الــدنيا. للتعبير عن معنى المبالغة في الحركة كدليل على الحياة؛ فأهمّ مــا يميّــز الحــي الحركة. وفيه إقرار الكمال؛ فالحياة الآخرة هي الحياة الباقية وحياة الخلود. قــال الزمخشري:« وفي بناء الحيوان زيادة المعنى ليس في بناء الحياة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاِضطراب كالنَّزَوان والنَّغَصان واللَّهَبان وما أشبه ذلك. والحياة: حركة، كما أنّ الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنــى الحركــة مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضــع المقتــضي للمبالغة.»[1]

4-2-2 اختيار وزن " افتعال ":

استعمل العرب صيغة افتعال في الغالب للدلالة على المبالغة وأحيانــا للدلالــة على التكلّف والتصنّع، من ذلك ما ورد في قول المتنبي[2](الكامل):

أمِنَ ازْديارَكِ في الدُّجَى الرُّقَباءُ   إذ حيث كنتِ مِن الظَّلام ضياءُ

و الاِزديار افتعال من الزيارة، أفادت صيغة الافتعال فــي (ازديــار) أنّ هــذه المرأة عفيفة مَصونة لا تزور إلا تكلفا؛ فتزور ليلا ومع ذلك لجمالها تُرى للرقباء الذين أمِنوا زيارتها في الليل؛ لأنّها كالنّور أو كالبدر لا تخفى على ناظر[3].

4-2-3 اختيار وزن " تفعيل ":

ومن اختيار المصدر لوزنه اختيار المصدر "تنزيل" بدلا من الإنزال والنــزول وما في معنــاهما في قوله تعــالى:﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ

---

(1) الكشاف 560/4.

(2) المتنبي: **ديوان أبي الطيب المتنبي**، علّق حواشيه وفسر كلماته اللغوية: سليم إبراهيم صادر، المطبعة العلمية ليوســف إبراهيم صادر، بيروت، 1900، ص104.

(3) ينظر: العكبري: **شرح ديوان المتنبي**، ضبط: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقــم، بيــروت، ط1، 1997، 33/1؛ وينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص96.

ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ (الزمر: 1). للتعبير عن وظيفة التقطيع والتتالي، يقول ابن عاشور: «... وتنزيل: مصدر نزّل المضاعف وهو مشعر بأنه أنزله منجّما. واختيار هذه الصيغة هنا للردّ على الطاعنين لأنهم من جملة ما تعلّلوا به قولهم:﴿ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾ (الفرقان: 32).» [1]

4-3 اختيار المصدر بحسب دلالة التعدي في فعله أو اللّزوم:

ويختار المصدر كون فعله يدل على التعدي كاختيار المصدر (صدّا) في الآية: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ۝١٦٠﴾(النساء: 160) بمعنى: يصدّون غيرهم؛ أي يمنعونهم، فاستعماله هنا كان ليدل على المنع بخلاف المصدر (صدودا) في الآية:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ۝٦١﴾ (النساء: 61) فهو مستعمل ليدل على إعراضهم هم؛ أي استعمل المصدر دالّا عما يدل عليه الفعل اللاّزم: أعرَضَ[2].

4-4 اختيار المصدر النائب عن فعله:

ورد اختيار المصدر نائبا عن فعله للدلالة على الثبات والتحقيق في قوله تعالى:﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾(البقرة: 178) فالمصدران: "اِتّباع" و" أداء" نابا عن فعليهما؛ أي (فلْيتّبِعْ) (ولْيؤدِّ) لِتأكيد ضرورة تطبيق هذه الأوامر لما لها من مصلحة. يقول ابن عاشور:

(1) تفسير التحرير والتنوير 314/23.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص21.

« (واتباع) (وأداء) مصدران وقعا عوضا عن فعلين والتقدير: فليتبع اِتِّباعا وليؤدِّ أداءً فعدل عن أنْ ينصب على المفعولية المطلقة إلى الرفع لإفادة معنى الثّبات والتّحقيق الحاصل بالجملة الاسمية... فنظم الكلام: فاتِّباع حاصل ممّن عفي له من أخيه شيء، وأداء حاصل من أخيه إليه.» (1)

5- اختيار اسم المرّة:

يختار اسم المرة مقصودا دون المصدر وغيره من المشتقات لوظيفة خاصة ومن ذلك اختيار كلمة(نَظْرة) في قول ابن المعتزّ(2)(الطويل):

وإنِّي عَلَى إشْفَاقِ عَيْنِي مِنَ الْعِدَى   لَتَجْمَحُ مِنِّي نَظْرَةٌ ثُم أُطْرِقُ

فقد اختار اسم المرة (نَظْرة) ليبيّن أنّه لم يحقِّق إلا نظرة واحدة وخلسة لخوفه من الأعداء مع أنه يحاول مواصلة النظر؛ دليل ذلك ضمير العظمة وياء المتكلم واستعمال أداة التراخي "ثم". وفي هذا المعنى يقول عبد القاهر الجرجاني:« فترى أنّ هذه الطلاوة وهذا الظرف إنما هو لأنْ جعل النظر يجمح، وليس هو لذلك، بل لأنْ قال في أوّل البيت (وإنّي) حتى دخل اللام في قوله (لتجمح) ثمَّ قوله (منّي)، ثم لأنْ قال (نظرة) ولم يقل النظر مثلا، ثم لمكان (ثم) في قوله: (ثم أُطرِق)...» (3)

قال المجنون (4)(الطويل):

وإنِّي لَأَسْتَغْشِي ومَا بِي نَعْسَةٌ   لَعَلَّ خَيَالاً مِنكِ يَلَقَى خَيَالِيَا

يغطي الشاعر وجهه طلبا للنوم، ولا تجيئه حتى واحدة النعاس؛ وعبَّر عن ذلك باستعمال اسم المرة (نَعْسَة) منفيّا لتأكيد المبالغة في الأرق والسّهاد لشدّة الوَجْد والشَّوْق (5).

(1) تفسير التحرير والتنوير141/2.

(2) ابن المعتز: **ديوان أشعار الأمير أبي العباس**، دراسة وتحقيق: محمد بديع شريف، دار المعارف، القاهرة، 1987، 388/1.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص142.

(4) مجنون ليلى: **ديوان قيس بن المُلوح مجنون ليلى** رواية أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق: يسرى عبد الغني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ /1999م، 125.

(5) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص100.

ب- اختيار الفعل:

1- اختيار فعل بعينه لوظيفة خاصّة:

1-1 اختيار فعل بدل آخر يقاربه في المعنى في سياق خاص:

- **اختيار الفعل: (يعرفون) بدل (يعلمون)** في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ (البقرة: 146) قال يعرفون الكتاب ولم يقل يعلمون كون المعرفة تتعلق غالبا بالذوات والمحسوس[1] حيث إنه لمّا تحدّث عن الأبناء قال يعرفون، ولمّا تحدّث عن كتمان الحق قال يعلمون، وفي التعبير بالمحسوس يتم تحقق وقوع المعرفة بالكتاب أكثر، وفيه قوة تأكيد إنكارهم الحق، ومن دلالة المعرفة على المحسوس قول زهير[2] (الطويل):

وقَفْتُ بِها مِن بَعْدِ عِشرين حِجَّةً   فَلَأْياً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ.

- **اختيار الفعل: (أمرتني) بدل (قلت لي)** في قوله تعالى:﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ (المائدة : 117) في اختيار الفعل (أمرتني) في خطاب سيّدنا عيسى عليه السلام ربّه على(قلت لي) مبالغة في الأدب[3] وتأكيد على أنّه عبْده ورسوله المكلّف بتبليغ أوامره. وبالمقابل أنه لما خاطب قومه قال: قلت لهم، ولم يقل: أمرتهم. وهذا تأكيد على تواضعه وإقرار بأنّه عبد مثلهم.

(1) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير40/2.

(2) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص65.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير116/7.

- **اختيار الفعل: (يفقهون) بدل (يعلمون)** في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾(الأنعام: 98). يقول ابن عاشور:«...عَدل عن (يعلمون) إلى(يفقهون) لأنّ دلالة إنشائهم على هذه الأطوار من الاستقرار والاستيداع وما فيهما من الحكمة دلالة دقيقة تحتاج إلى تدبّر، فإنّ المخاطبين كانوا معرضين عنها فعبر عن علمها بأنّه فِقْه، بخلاف دلالة النجوم على حكمة الاهتداء بها فهي دلالة متكرّرة، وتعريضا بأنّ المشركين لا يعلمون ولا يفقهون، فإنّ العلم هو المعرفة الموافقة للحقيقة، والفقه هو إدراك الأشياء الدقيقة. فحصل تفصيل الآيات للمؤمنين وانتفى الانتفاع به للمشركين، ولذلك قال سبحانه وتعالى بعد هذا: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾(الأنعام: 99).»[1] كان لاختيار استعمال الفعل (يفقهون) وظيفتان: الأولى ليبين أنّ الإيمان لا يتحقّق إلا بالتدبّر وإدراك كنه الخفي، والثانية ليشير إلى أنّ المشركين قد افتقدوا هذه الصّفة فهم لا يفقهون وأقلّ منها لا يعلمون.

- **اختيار الفعل: (تسوّروا) بدل (تسلّقوا)** في قوله تعالى:﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ (ص: 21) اختارت الآية في التعبير عمَّا قام به المتخاصمون المحتكمون إلى سيّدنا داود -عليه السّلام- عندما تسلّقوا السّور الفعل: (تسوّروا) بدل الفعل (تسلقوا). وذلك كون الفعل تسوّروا جمع في صيغته بين الكلمتين: تسلّقوا والسّور في لفظ واحد (تسوّروا) « الذي هو أخصر من كلمتين وأجمع للدلالة على المعنى وأكثر حكاية له.»[2]

(1) السابق 397/7.
(2) تمّام حسان: البيان في روائع القرآن، ص353، 354.

- **اختيار الفعل: (رضيتم) بدل (آثرتم)** في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ (التوبة: 38) اختير الفعل (رضيتم) لتأكيد الإنكار الذي يظهر من الاستفهام في قوله:(أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا) إذ لا يليق ذلك بالمؤمنين، و« لأنّ فعل (رضي بكذا) يدلّ على انشراح النّفس، ومنه قول أبي بكر الصدّيق في حديث الغار فشرب حتى رضيت.»[1]

- **اختيار الفعل: (يرى) بدل (يعلم)** في قوله تعالى:﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ (سبأ: 6) استعملت الآية الفعل (يرى) بدل (يعلم) لأجل التأكيد على أنّ ما علموه هو الحق دون غيره يقينا كالمرئي عيانا المعلومِ بالضرورة[2].

- **اختيار الفعل: (يهجعون) بدل (يقومون)** في قوله تعالى:﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ (الذاريات: 17) ذكر الله سبحانه وتعالى أنّ من صفات عباده المتقين قيام الليل وعبَّر عنه بقلّة الهجوع للتذكير بأنهم خالفوا ما تميل إليه النفس وتشتهيه، ويصرفها عن ذكر الله تعالى[3].

---

(1) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير198/10.

(2) ينظر: نفسه 145/22.

(3) ينظر: نفسه 349/26.

- **اختيار الفعل: (افعل ما تؤمر) بدل (اذبحني)** في قوله تعـالى:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ ﴾(الصافات: 102) اختارت الآية (افعل ما تؤمر) فـي التعبيـر عن استجابة سيدنا إسماعيل لأبيه بـدل (اذبحني) للجمع بين الإذن وتعليله؛ وذكر سبب الذبح والإقرار بتبرئة أبيه؛ « أي أذنت لك أن تذبحني لأنّ الله أمرك بـذلك، ففيه تصديق أبيه وامتثال أمر الله فيه.»[1] ولربما كان ذلـك الاختيـار لوظيفـة تواصلية أخرى وهي أنه لم يكرر ذكر الذَّبح لعدم تحققه فيما بعد، وافتداء سـيدنا إسماعيل بالذِّبح العظيم ليكون هذا الأخير هو السُّنة المقرّرة.

1-2 اختيار أحد الفعلين المتقاربين معنىً بحسب الوظيفة الدّقيقة:

- **اختيار الفعل: (أدخِلْ) أو (اسلُك):**

يقترب المعنى العام للفعلين (أدخِلْ) و (اسلُك) ولكنّهما يختلفان في الاسـتعمال الدّقيق ولكلٍّ وظيفته الخاصة؛ فالإدخال أخصّ وأشقّ من السلك الذي قـد يكـون سهلا ميسورا، قال تعالى: ﴿ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ ﴾ (النحـل: 69) فكلمة (ذللا) تشير إلى سهولة السلك ويسره، وقـال:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (الزمر: 21). فلا أسهل مـن سـلوك المـاء فـي الأرض. ومن دلالة الإدخال على المشقّة والصعوبة ما جاء في قوله تعالى:

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً

(1) السابق 152/23.

قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾(النمل: 12، 13) فمهمّة التبليغ إلى فرعون وقومه مهمّة شاقّة [1] دليل ذلك فسقهم وجعلهم المعجزات سحرا.

- اختيار الفعل: (أتى) أو (جاء):

يُختار أحد الفعلين على الآخر في الاستعمال لما بينهما من فرق دقيق يجعل لكلٍّ منهما وظيفته الخاصة، ففي قوله تعالى:﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ (النحل: 1). اختير الفعل (أتى) للحديث عن الإتيان فحسب.

وفي قوله تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾(غافر: 78). فقد اختير الفعل (جاء) للتعبير عن المشقة والصعوبة من قضاء وخسران، فلأداء وظيفة التعبير عما هو صعب وشاق نستعمل الفعل (جاء) ولما هو أيسر نستعمل الفعل (أتى)[2].

1-3 اختيار فعل دون غيره:

قد يختار المتكلم فعلا دون غيره ومن ذلك اختيار الفعل (يُمسك) في قوله سبحانه وتعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ (فاطر: 41) لاختيار الفعل (يُمسك) دون غيره ممّا في معناه في الآية ما يبرّره فهو مستعمل ليقابل الفعل (تزولا) الذي يعني زوال العدم وزوال التحول

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص112.

(2) ينظر: نفسه، ص98.

من مكان إلى مكان، كالزوال في الشمس؛ فيمسك يعني ضمان عدم وقوع الاثنين: زوال العدم وزوال التحوّل. يقول ابن عاشور:« وقد اختير هذا الفعل دون غيره لأنّ المقصود معناه المشترك فإنّ الله يمسكهما من أن يُعدما، ويمسكهما من أن يتحوّل نظام حركتهما، كما قال تعالى:﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ (يس: 40).»[1]

2- اختيار الفعل بحسب وزنه:

2-1 اختيار صيغة "أفْعَل" :

تأتي صيغة (أفعل) لأغراض ودلالات أشهرها التعدية كما تدلّ على الصّيرورة والسلب والتمكين والتعريض، وغير ذلك. قال ابن الحاجب:« وأفعل للتّعدية غالبا نحو أجلسته، وللتعريض نحو أبعته، ولصيرورته ذا كذا نحو: أغدّ البعير، ومنه أحصد الزرع، ولوجوده على صفة نحو أحمدته وأبخلته، وللسّلب نحو أشكيته، و بمعنى فَعَلَ نحو قِلته وأقلته...»[2]

ومن ذلك اختيار الفعل: (أجاء) في قوله تعالى عن مريم -عليها السلام-: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ ﴾ (مريم: 23) فقد اختيرت هذه الصّيغة بالذّات للتعبير عن معنى الاضطرار والإلجاء، وهذا يناسب حالة مجيء المخاض لمريم عليها السلام، وهي حالة ضيق وكراهية[3].

2-2 اختيار صيغة "فعّل" :

تُختار صيغة (فعّل) لتفيد التكثير والمبالغة غالبا نحو: قطّع وفتّح وكسّر وحرّق

---

(1) تفسير التحرير والتنوير 328/22.

(2) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 83/1.

(3) ينظر: نفسه 579/7.

وسعَّر، وقد يخرج (فَعَّل) عن التكثير إلى معان أخرى كالتعدية، نحو فرّحته والنسبة إلى أصل الفعل نحو فسَّقه وكفَّره، أي: نسبه إلى الفسق والكفر وغير ذلك من المعاني [1]. كما تُختار هذه الصيغة للدّلالة على استغراق وقت أطول، وإفادة التلبّث والمكث؛ فـ(قطَّع) يفيد استغراق وقت أطول من (قطَع)[2].

كما تفيد الدلالة على الإفراط، ومن ذلك قول أبي محمد اليزيدي[3](السريع):

مَلّكتُه حَبْلِي، ولكنّه ... أَلْقَاه مِن زُهْد على غَارِبِي

« حيث اختار الشاعر صيغة (فعَّل) في قوله (ملَّكته) للدلالة على إفراط تمكينه إياه من قلبه حتى استولى عليه وامتلكه تمام الامتلاك، ليقابل ذلك بتخليه عنه تمام التخلي وإلقاء حبل مودَّته زاهدا في وصله غير حريص على ما ملَّكه إياه.»[4]

ومن أمثلة اختيار صيغة (فعَّل) الفعل(فجَّر) في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١﴾ (الإسراء: 90، 91)، فقال في الينبوع (تفجُر) بالتخفيف وقال في الأنهار (تفجِّر) بالتضعيف للتعبير عن وظيفة التَّكثير.

2-3 اختيار صيغة "انفعل":

تعبّر هذه الصيغة عن المطاوعة، وقبول الأثر كالكسر والقطع والجذب[5] لحظة

---

(1) ينظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ص29، 30؛ وينظر: الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 93/1-96.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص62.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص250. لم نعثر على مصدر للبيت غير الدلائل.

(4) عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص128.

(5) ينظر: الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 108/1.

الشروع في الفعل بسرعة وطواعية، فلا يصح أن نقول عما فُتح بعد محاولات عديدة وزمنٍ: فتحته فانفتح. ومثال دلالة "انفعل" على المطاوعة الفعل (انفجر) في قوله تعالى:﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾ (البقرة: 60)

2-4 اختيار صيغة "افتعل":

تأتي صيغة افتعل لعِدّة معان وأغراض تواصلية، منها: الاجتهاد، والطلب، والمبالغة في معنى الفعل، والتشارك، والإظهار[1].

كما تكون للمطاوعة نحو غممته فاغتمَّ، وللاتخاذ نحو اشتوى، وللمفاعلة نحو اجتوروا واختصموا، وللتّصرّف نحو: اكتسب[2]. ومن أمثلة دلالة صيغة " افتعل" على المطاوعة الفعل (اكتسب) في قوله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ (البقرة : 286) حيث اختارت الآية صيغة(افتعل) على غيرها لتدل على مطاوعة النفس على فعل الشر وإقبالها عليه، قال الزمخشري:« فإن قلت لم خصّ الخير بالكسب والشّر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمّارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال...»[3]

2-5 اختيار صيغة "تفعّل":

تُختار صيغة "تفعّل" لوظائف متعددة تحدد بحسب السياق. يقول الرضي:« تفعَّل

---

(1) ينظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف في فنّ الصرف، ص30.

(2) ينظر: الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 108/1.

(3) الكشاف 520/1.

لمطاوعة فعَّل نحو كسرته فتكسّر، وللتكلف نحو تشجّع وتحلّم، وللاتّخاذ نحو توسّد، وللتجنّب نحو: تأثّم وتحرَّج، وللعمل المتكرِّر في مهلة نحو: تجرَّعته ومنه تفهَّم، و بمعنى استفعل نحو: تكبّر وتعظّم.»(1)

وتُختار (تفعَّل) للدلالة على التدرج أي الحدوث شيئا فشيئا وذلك نحو: تخطّى وتمشّى وتبصّر وتجسّس. « وقد يؤتى بهذا الوزن للدلالة على التكلف وبذل الجهد نحو تصبّر وتحلَّم؛ أي: كلّف نفسه وحملها على الصّبر والحلم. وفي كلا المعنيين دلالة على الطول في الوقت والتمهل في الحدث.»(2)

ومن أمثلة اختيار صيغة "تفعّل" للتعبير عن وظائف متعددة منها: الحيطة والحذر والتمهل والطلب ما ورد في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿ يَـٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾(يوسف:87)؛ فيعقوب عليه السلام قد أحسّ بفطنته، ونور بصيرته أنّ وراء الأمر شيئا لذا يوصي بنيه بالحِيطة والحذر والتمهل في طلب الخبر تحسّساً؛ إذ التحسس استقصاء الخبر بالحواس(3).

ومن أمثلة اختيار "تفعّل" لأداء وظيفة الاستمرار الفعل (تبدّل) في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَـٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ۝٢﴾ (النساء: 2) اختير الفعل (تتبدّلوا) على وزن "تفعَّل" مسبوقا بتاء المضارعة وواردا بصيغة طويلة بَدَل (تبدّل) لزيادة تأكيد امتداد الفعل واستمرار العمل به إلى يوم القيامة(4).

---

(1) الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 104/1. وقد حصر الشيخ أحمد الحملاوي معاني تفعَّل في خمسة هي: المطاوعة، الاتخاذ، التكلف، التجنب، التدريج. ينظر: شذا العرف في فن الصرف، ص31.

(2) فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص42.

(3) ينظر: السمين الحلبي: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د ت)، 548/6، 549.

(4) ينظر: فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص14.

ومن أمثلة اختيار"تفعّل" لأداء وظيفة التكلّف الفعل (تلقّى) في قوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾ (البقرة: 37) يقول ابن عاشور:« جاء بالفاء إيذانا بمبادرة آدم بطلب العفو. والتَّلقي استقبال إكرام ومسرّة، قال تعالى: ﴿ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (الأنبياء: 103) ووجه دلالته على ذلك أنه صيغة تَفَعَّلَ من لقيه، وهي دالة على التكلُّف لحصوله وتطلُّبه، وإنما يتكلَّف ويتطلَّب لقاء الأمر المحبوب بخلاف (لاقى) فلا يدلُّ على كون الملاقى محبوبا، بل تقول لاقى العدوّ.» [1]

2-6 اختيار صيغة "استفعل ":

اشتهر أن تأتي صيغة "استفعل " لمعان منها[2]: الطلب حقيقة كاستغفر، أو مجازا كاستخرجت الذهب من المعدن، والصيرورة كما في المثل:« إنّ البُغاث بأرضنا تستنسر.»[*] واعتقاد صفة الشيء كاستحسنت الفعل؛ أي اعتقدت حسنه. واختصار حكاية الشيء كاسترجع إذا قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. والقوة كاستكبر. أي قوي كبْره. والمصادفة كاستكرمت زيدا أو استبخلته. أي صادفته كريما أو بخيلا. والمطاوعة كأحكمته فاستحكم. وبمعنى أفْعَلَ كأجاب واستجاب.

ومن أمثلة اختيار صيغة "استفعل" لأداء وظيفة التعبير عن قوّة الاجتهاد والمبالغة في الفعل اختيار الفعلين: (استغشوا) و (استكبروا) في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ﴾(نوح: 7) فقوم نوح كانوا عندما

---

(1) تفسير التحرير والتنوير 437/1.

(2) ينظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، ص32.

(*) البُغاث طائر ضعيف الطيران.

يدعوهم نبيّهم يسارعون إلى تغطية وجوههم لئلا يراها نوح عليه السلام وجَعْلِ أصابعهم في آذانهم مظهرين بذلك قوّة استكبارهم والمبالغة في الإعراض عن قبول دعوته؛ ومن المبالغة في الفعل أن عبّر عن نفورهم بأن قال جعلوا أصابعهم كاملة في آذانهم دون أن يقول أناملهم، وأتى بالمفعول المطلق للفعل استكبر مؤكِّدا.

3- اختيار الفعل بحسب زمنه:

3-1 اختيار الفعل الماضي:

من نماذج اختيار الفعل الماضي لوظيفة تواصلية:

- اختيار الفعل " أنعمت" في قوله تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾ (الفاتحة: 7) حيث اختير الفعل الماضي للإشارة إلى أنّ الصِّراط المستقيم هو صراط من سَلفوا وتحقَّق فيهم إنعام الله عليهم وثبت، من النبيئين والصدّيقين والشّهداء والصّالحين، كما قال تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ (النساء: 69)[1]

وليدل الإتيان بالفعل الماضي« على أنَّه كلما مرّ الزمن كثر عدد الذين أنعم الله عليهم، لأنّ الحاضر يلتحق بالماضي، وهكذا تتّسع دائرة المنعم عليهم بمرور الزمن بخلاف قولنا: (صراط الذين ينعم الله عليهم)، فقد يخص الوقت الذي طلب فيه الداعي الهداية، ولربما كان عدد المهديين آنذاك قليلا.»[2]

---

(1) ينظر: السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنّان**، تحقيق ومقابلة: عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص26.

(2) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص64.

- اختيار الفعل " كذبتم" في قوله تعالى:﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقًا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقًا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (البقرة: 87) قد يكون سرّ اختيار صيغة الماضي " كذَّبتم" أنّ النبوَّة قد ختمت بمحمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، ولا رسول بعد محمد يُكَذَّب مستقبلا فلا معنى لاستعمال المضارع. أما فعل القتل فإنه مستمرّ معهم إلى اليوم [1].

3-2 اختيار الفعل المضارع:

من نماذج اختيار الفعل المضارع لوظيفة تواصلية:

- اختيار الفعل " تثير" والفعل " تسقي" في قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِى ٱلۡحَرۡثَ ﴾(البقرة: 71). أُختير الفعل المضارع في تثير وتسقي لأنّه الأنسب لوظيفة الوصف بقوله لا ذلول؛ أي غير مذلَّلة في الحال الحاضر لأنْ يُحرث عليها أو يُسقى بجرّها، فهي لا تزال عجلة[2].

- اختيار الفعل " ترى" في قوله تعالى:﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ (الحج: 2). تمَّ اختيار الفعل المضارع لاستحضار حالة الهول التي يراها كلّ ناظر.

- اختيار الفعل "ينزّل" في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ ﴾(لقمان: 34) لإفادة معنى تجدّد إنزال الغيث، المرّة بعد المرّة

---

(1) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم، ص118.

(2) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير1/555.

عند احتياج الأرض، ومتّى شاء الله [1].

– اختيار الفعل "يستهزئ" في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ (البقرة :15) للإجابة على المنافقين الذين اتّصفوا بما ورد في الآية التي قبلها في قوله:﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (البقرة :14) ولأداء وظيفة الإقرار بأنّ عقوبة الله تتجدّد لهم ونكايته تلاحقهم. قال الزمخشري: « فإنْ قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله:(إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) قلت: لأنّ يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدّده وقتا بعد وقت، وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم.» [2].

3-3 تنوّع زمن الفعل المختار بحسب الوظيفة:

قد لا يُلتزم بزمن واحد في الأفعال في العبارة أو النص الواحد خدمةً لما تتطلّبه الوظيفة التواصلية فتتنوّع أزمنة الأفعال، ومن أمثلة ذلك:

– اختيار الفعل الماضي" زُيِّن " مع الفعل المضارع " يسخَرون " في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾(البقرة: 212) فقد ورد فعل التّزيين بصيغة الماضي وفعل السُّخرية بصيغة المضارع؛ لأداء وظيفة الدلالة على أنّ تزيين الحياة الدنيا أمر استقرّ فيهم وتحقق، وأنه أمر رسخ في أذهانهم وسكنت إليه أنفسهم، فعبَّر عنه بالماضي، وأنّ فعل السخرية من الذين آمنوا متكرّر متجدّد منهم؛ فعبَّر عنه

(1) ينظر: نفسه 197/21.

(2) الكشاف 185/1.

بالمضارع [1].

4- اختيار الفعل بحسب العدد:

كثيرا ما يكون العدد من أسس اختيار الفعل، ومن نماذج ذلك:

- اختيار المفرد في الفعل (ينظر) في قوله تعالى:﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (يونس:42، 43) بعدما كان الخطاب للجماعة في قوله (يستمعون) تحوّل إلى لفظ المفرد (ينظر) وذلك للدلالة على أنّ المستمعين أكثر من الرائين فقد نسمع بالخبر دون أن نحضر، ولا نرى مع الغياب [2].

ولربما يكون جمع الفعل "يستمعون" فيه إشارة إلى كثرة من يسمعون بالنبيّ - صلى الله عليه وسلم- ويكونون من أتباعه ولم يروه؛ فالمستمعون من أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- أكثر من الرائين. ولأنّ رؤية الناظرين للنبيّ- صلى الله عليه وسلم- واحدة، والتأثر بالاستماع إليه يختلف بحسب الإيمان.

- اختيار الجمع في الفعلين: (نعبد) و(نستعين) في قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ (الفاتحة: 5) عبَّرت الآية عن فعليْ "العبادة والاستعانة" بلفظ الجمع، لا الإفراد، وفي ذلك إشارة إلى أهمّية الجماعة في الإسلام[3]، واجتماعها على عبادة إله واحد هو المستعان وحده. وفي استعمال الجمع في الفعل دلالة على أنّ ما ورد في السورة من محامد وثناء على الله هو صادر من

(1) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 296/2.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص47 .

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص43، 44.

جماعات. وفي ذلك « إغاظة للمشركين إذ يعلمون أنّ المسلمين صاروا في عـزّة ومنعة، ولأنّه أبلغ في الثناء من أعبد وأستعين...»[1]

5- اختيار الفعل المبني للمجهول:

يستعمل المبني للمجهول غالبا لفائدة تغييب الفاعل إلى هامش الشعور وإفساح الاهتمام بالمفعول، وذلك لوظائف تواصلية تختلف بحسب المقام.

ومن نماذج اختيار الفعل المبني للمجهول:

* قال تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ۝٢٠﴾ (الغاشية: 18- 20) بُنيت الأفعال للمجهول في هذه الآيات بُغية تغييب الفاعل الذي يجحده هؤلاء الكافرون، ليُحالوا إلى النظر في دلائل وجوده وقدرته التي يعجزون أمامها، ولا يدّعيها أحد؛ مما يدل على عظمة صانعها؛ فاختيار البناء للمجهول كان لإفساح المجال للنظر فيما يدل على الفاعل الصانع ليَتوصل إليه المشركون بأنفسهم [2].

* قال تعالى:﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ۝١٣٤﴾ (الأنعام: 134) اُختير الفعل المبني للمجهول لبيان أنّ الخطاب موجّه للمؤمنين وللمشركين، ويأخذ منه كل فريق ما يليق بحاله [3].

* قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ ﴾ (المعارج: 19) في هذه الآية ذمّ لطبيعة الهلع في الإنسان، ولم يُذكر الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى تنزيها له،

---

(1) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 186/1.

(2) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم، ص120.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 88/8.

« والله سبحانه لا ينسب الفعل إلى نفسه في مقام السّوء والذّم.» [1]

هذا ويحذف الفاعل للعلم به إيجازا لما يحققه الإيجاز من تداولية، كقول المتنبي[2](الكامل):

وُقِيَ الأميرُ هَوَى العُيون فإنَّه   مَا لا يَزولُ ببأْسِه وسَخَائِه

6- اختيار الفعل بحسب الذّكر أو الحذف من بنيته:

يُختار الفعل بحسب الذكر أو الحذف من بنيته لوظيفة تواصلية ومن نماذج ذلك:

- اختيار (سقى) أو (أسقى) :

اُختير في قوله تعالى:﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾(الإنسان: 21) الفعل "سقى" بصيغة قصيرة في البناء بغير همز؛ للدلالة على ما لا كُلفة معه في السقيا؛ حيث أخبر بأنّ السقيا في الآخرة لا كُلفة فيها، بل تقع جميع ملاذّ الجنة فرصة وعفوا، بخلاف (أسقى) بالهمزة، فإنه لا بد فيه من الكلفة بالنسبة للمخاطبين؛ كما في قوله تعالى:﴿وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ (المرسلات: 27)،وقوله:﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ (الجن: 16)، وهذا الإسقاء في هاتين الآيتين هو في الدنيا ولا يخلو من الكُلفة[3]. فعبر بالقصير عن الميسور، وبالطويل عما يتطلب كلْفة.

- اختيار (نَجّى) أو (أنْجَى):

ومما تظهر فيه أهمية الوظيفة التواصلية في توجيه البنية الصرفية ما يتجلّى في قوله سبحانه في سياق تذكير بني إسرائيل بنعمه -عزّ وجلّ- عليهم:﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ

---

(1) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص154.

(2) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص292.

(3) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن 238/3.

وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ ﴾ (البقرة: 49) فقد ذُكر الفعل (نَجّى) من غير همز وفي الآية التالية لتلك الآية مباشرة وهي قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (البقرة: 50) ذُكر بالهمز (أَنْجَى) للتعبير على أنَّ (نَجّى) استعمل لما فيه تلبّث وتمهّل في التنجية من آل فرعون، فقد كان بقاء بني إسرائيل مع فرعون طويلا وشرور آله تعددت وشملت بني إسرائيل في ذواتهم تعذيبا، وفي أبنائهم تذبيحا، وفي نسائهم استحياء، وخلافه الفعل (أَنْجَى) الذي عبّر على تنجيتهم من الغرق، التي لم تتطلب وقتا طويلا[1].

- اختيار (يتضرّعون) أو (يضّرّعون) :

كان اختيار الفعل "يتضرّعون" في قوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾(الأنعام: 42) بدلا من "يضّرّعون" بالإبدال والإدغام كما في قوله تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الأعراف: 94) للتعبير بالفعل الطويل في البناء (يَتَضَرَّعون) عن الحدث الممتد الطويل على مدار التاريخ، المتمثل في الإرسال في الأمم، وبالفعل القصير (يَضَّرَّعُونَ) عن الحدث القصير المتمثل في الإرسال في القرية؛ فالأمم أكثر من القرية[2].

---

(1) ينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات، ص67؛ وينظر: فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص70.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص43.

ج- اختيار الصّفة:

1- اختيار اسم الفاعل:

قد يختار اسم الفاعل دون غيره من المشتقّات لأداء وظيفة تواصلية لا يؤدّيها غيره، ومن أمثلة ذلك اختيار(مُعرِضين) في قوله تعالى:﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (الأنعام: 4) فقد كان استعمال هذه الصيغة في هذا الموضع بالذات مسبوقة بفعل الكون "كانوا" لوظيفتين هما التجدد وتحقّق الإعراض؛ فاسم الفاعل اختير لأداء وظيفة التجدّد، وسَبقه فعل الكون للدلالة على أنّ هذا الإعراض متحقّق[1].

2- اختيار اسم المفعول:

من نماذج اختيار صيغة اسم المفعول ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (البقرة : 25) حيث اختير اسم المفعول (مطهَّرة) على اسم الفاعل (طاهرة)، للإشارة إلى أنّ مُطهِّراً لم يذكر وهو الله سبحانه وتعالى قد طهرهنّ، يعرف تضمُّنا في أصل اشتقاق صيغة (مطهَّرة)، وهو الفعل المبني للمجهول. قال الزمخشري:« فإن قلت: هلا قيل طاهرة؟ قلت: في (مطَهَّرَة) فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الإشعار بأنّ مطهِّراً طهرهن، وليس ذلك إلا الله عزّ وجلّ المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية في ما أعدّ لهم. »[2]

ومن أمثلة اختيار اسم المفعول اختيار كلمة (مجموع) في قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ

(1) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير134/7.

(2) الكشاف 233/1.

يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ (هود: 103)

حيث استُعمل اسم المفعول (مجموع) بدلا من الفعل (يجمع) لإثبات صفة الجمع لليوم[1]؛ فلو أتى بالفعل (يجمع) قد يكون التركيز على الجامع وهو الله سبحانه وتعالى أكثر من اليوم؛ وتركيز الآية يبدو موجّها إلى اليوم وما فيه من هول ولذا كُرِّر موصوفا مرّة بالمجموع ومرّة بالمشهود.

3- اختيار الصّفة المشبّهة:

كثيرا ما تُختار الصفة المشبّهة لدلالتها الغالبة على الثبوت ومن نماذج ذلك:

- اختيار (عَمين) في قوله تعالى في وصف قوم نوح:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (الأعراف: 64) للدلالة على وظيفة الثبوت في صفة عمى بصائرهم؛ وذلك بإصرارهم على الكفر؛ فـ(عمٍ) لعمى البصيرة و(أعمى) لعمى البصر، ولو أراد التجدد لقال (عامين) كما يقال ضائق، قال السمين الحلبي:« وقيل هنا: عمٍ إذا كان أعمى البصيرة غيرَ عارفٍ بأموره، وأعمى أي في البصَر... وهذا قول الليث. وقيل: عمٍ وأعمى بمعنىً، كخَضِر وأخضر. وقال بعضهم: "عَمٍ" فيه دلالةٌ على ثبوت الصفة واستقرارِها كفَرِح وضَيّق، ولو أُريد الحدوثُ لقيل: عامٍ كما يُقال: فارح وضائق. وقد قُرِئ "قوماً عامين" حكاها الزمخشري.»[2]

- ومنه اختيار (نَخِرة) في قوله تعالى:﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾﴾ (النازعات: 10 - 12)

---

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص13.

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 357/5، 358.

فالعظام النَّخِرة التي قد بليت، والناخرة التي لم تَبلَ بعد؛ واختير التعبير بنَخِرة وهي صفة مشبهة لتحقيق وظيفة ثبات الصفة في العظام لطول العهد، ولتحقيق المبالغة في النخر خاصة وأنّ فَعِل من صيغ المبالغة كذلك. وخالفت الآية الفاصلة فيما قبلها وما بعدها رعاية للوظيفة وتقديما لها على البنية فلو قال ناخرة لم تحقِّق ما حققته نخِرة. قال الطبري:« وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا نَخِرة بغير ألف بمعنى بالية غير أن رؤوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف فأعجب إليّ لذلك أن تلحق ناخرة بها ليتفق هو وسائر رؤوس الآيات لولا ذلك كان أعجب القراءتين إلى حذف ألف منها.»[1] واتَّفق أكثر المفسرين واللغويين على أنّ (فعِل) أبلغ من (فاعِل) [2].

4- اختيار صيغ المبالغة:

من أمثلة اختيار صيغة المبالغة لوظيفة تواصلية اختيار كلمة (طَهور) في قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾﴾ (الفرقان: 48) والطهور هو الطاهر في ذاته المطهِّر لغيره؛ فهو ماء نازل من السماء في غاية الطهارة رحمة من الله؛ فصيغة الطهور جمعت وظيفة صيغتين معا الطاهر والمطهِّر وعدل عنهما لزيادة تأكيد في الوصف.

5- اختيار الجمع بين الصفتين لوظيفة تواصلية:

قد تتطلب الوظيفة التواصلية ذكر الصفتين المتقاربتين معا توسيعا في المعنى وتدقيقا فيه واحتياطا لإثبات إحدى الصفتين وإنكار الأخرى، ومن نماذج ذلك الإتيان بالصفتين: الرحمن والرحيم معا في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

---

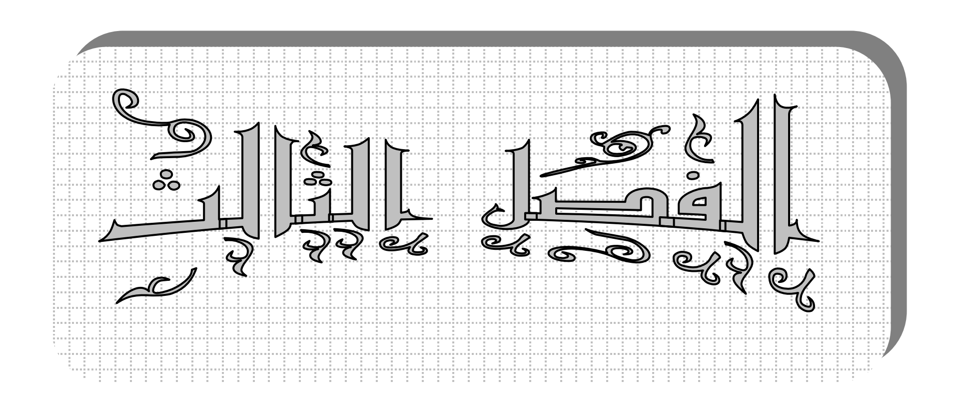
(1) الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الأعلام، عمان، الأردن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2002، 46/30.

(2) ينظر: السمين الحلبي: الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون 672/10.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ (الفاتحة:2،3) الرّحمن: فَعْلان من الرحمة، وصيغة (فَعْلان) تفيد الدلالة على الحدوث والتجدّد، وذلك نحو: عطشان وجوعان وغضبان، كما تفيد أيضا الامتلاء بالوصف، يقول ابن القيم:« ألا ترى أنهم يقولون غضبان، للممتلئ غضبا، وندمان وحيران وسكران ولهفان، لمن ملئ بذلك.»[1] والرحيم: فَعِيل من الرحمة. وصيغة (فَعِيل) تدل على الثبوت في الصفة، نحو طويل وجميل وقبيح، أو التحول في الوصف إلى ما يقرب من الثبوت، نحو خطيب وبليغ وكريم. وبذكر الصفتين معا يكون قد أثبت لنفسه أنّ صفته الثابتة والمتجددة، هي الرحمة، « ولو وصف نفسه بأنه (رحيم) فقط لوقع في النفس أنّ هذا وصفه الثابت، ولكن قد يأتي وقت لا يرحم فيه كالكريم والخطيب، ولو قال: (رحمن) فقط لظُنَّ أنّ هذا وصف غير ثابت، كالغضبان والعطشان. »[2] فبالجمع بينهما تحقق ما لا يتحقق بذكر أحدهما دون الآخر.

(1) التفسير القيم، ص33.

(2) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص34.



العدول إلى الصِّيَغ الصَّرفية

(مخالفة المقرَّر أثناء استعمال الصِّيغ الصَّرفية)

أولاً: مفهوم العدول وأسسه.

ثانياً: أثر الوظيفة التواصلية في العدول إلى صيغ بعينها.

ثالثاً: نماذج من العدول إلى صيغ صرفيّة معيّنة.

أولاً: مفهوم العدول وأسسه:

أ- مفهوم العدول وعلاقاته:

1ـ مفهوم العدول:

يأتـي العدول بمعنى الميل والانصراف والرجـوع إلـى المطلـوب أو إلـى المرفوض، جاء في لسان العرب:« وعَدَلَ عن الشيء يَعْدِلُ عَدْلاً وعُدولاً: حـاد، وعن الطريق: جار، وعَدَلَ إليه عُدُولاً: رجع. وما لَـه مَعْـدِلٌ ولا مَعْـدولٌ أَي مَصْرِفٌ. وعَدَلَ الطريقُ: مال. ويقال: أَخَذَ الرجلُ في مَعْدِلِ الحق ومَعْدِلِ الباطـل أَي في طريقه ومَذْهَبه.»[1]

واستعمل الرمّاني لفظ "معدول" في حديثه عن وجوه المبالغـة وأضـربها قـائلا: « ومن ذلك فعَّال كقوله عزّ وجل:﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾(طـه: 82) معدول عن غافر للمبالغة، وكذلك توّاب.»[2]

وذُكِر العدول كثيرا في مصنفات اللّغويين والأدباء العرب بمصطلحات متنوعة ومفهومٍ يكاد يكون طابعه العام واحدا، ومن هذه المصطلحات: المجاز، والالتفات، والعدول والانحراف، والتّصرّف، والنقـل، والخـروج، والتجـاوز، والاتّـساع، والشّجاعة، والانتقال، ومخالفة مقتضى الظاهر، والانعطاف، والتلوّن والتلوين [3].

كما تتعدّد المصطلحات المعبّرة عن العدول عند الأسلوبيّين ومنها: الانزيـاح، والتجاوز، والانحراف، والاختلال، والإطاحة، والمخالفة، والشناعة، والانتهـاك، وخرق السنن، والعصيان، والتحريف [4]. وهذه المصطلحات تجتمع في دلالتها

---

(1) ابن منظور: لسان العرب (عدل) 2841/4.

(2) الرمّاني: **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلـف الله أحمـد، ومحمـد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، 1976، ص104.

(3) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص131؛ وينظر: هلال علي محمـود الجحيـشي: **العدول الصرفي في القرآن الكريم ــ دراسة دلالية ــ** أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005، ص9.

(4) ينظر: عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص79، 80.

العامة على أنّ العدول خروج عن المعيار، أو مخالفة القاعدة، أو تجاوز النّمط المألوف.

2ـ علاقات العدول:

2-1 العدول والأسلوب:

من خصائص الأسلوب الرّفيع توافر ظاهرتي الاختيار والعدول وتكاملهما؛ لِما يحققان من خروج عن المألوف وتميّز يصل به مستعمل اللغة إلى إثارة المتلقي ولفت انتباهه، وبذا تتحقق فعالية المنتَج اللغوي أو الأدبي؛ « فالأسلوب من هذه الزاوية هو بناء لغوي متميّز من داخله؛ أي من طبيعة سماته اللغوية وخواصه النوعية التي يتميّز بها من نمط الخطاب العادي، ذلك أنّه لا يساير الشائع المألوف من قواعد اللغة وأعرافها، بل هو بالأحرى كسر لتلك القواعد وخروج متعمّد على تلك الأعراف تتفجر به من طاقات التعبير والإيحاء ما تعجز اللغة في مستواها النمطي السائد عن تحقيقه.» [1] وبالاختيار والعدول تكتشف عبقرية مستعمل اللغة في التعبير عن كلّ الأغراض، وذلك باستثمار طاقات اللغة التي تستوعب مفرداتها نقل كلّ ما يرغب الإنسان في نقله عن ذاته، أو عن حياته، ويظهر تكاملهما (الاختيار والعدول) في أنّ كل واحد منهما يتناول أحد جانبي الإنتاج اللغوي/الأدبي؛ فالاختيار كما يرى الأسلوبيون يركز على جانب المبدِع (المرسِل) والعدول يركّز على النص (الرّسالة) [2].

2-2 العدول والأصل:

يعني أَصل الصيغة المعنى الأول الذي تحمله؛ فصيغة اسم الفاعل مثلا في أصلها تدل على من قام بالفعل، وهي أصل لصيغ المبالغة وصيغ المبالغة معدولة عنها. ويتحقّق العدول في الصيغة الصرفية إذا احتملت معنى صيغة أخرى أو أتت على لفظ صيغ أُخر وهي بمعناها، ونجد هذا في المصادر والمشتقات، مثال ذلك

(1) (2) حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص40.

أن يأتي اسم الفاعل على لفظ اسم المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ (الإسراء: 45) أي ساترا [1].

2-3 العدول والقياس:

يعرف الأنباري القياس بقوله:« القياس: حَمْل فرعٍ على أصل بعلّة، وإجراء حكم الأصل على الفرع .»[2] فلا قياس من غير معرفة الأَصل الذي هو المعنى الأوّل الذي يُرجع إليه في كل استعمال لغوي. والقياس الصرفي يعني المعيار المُطَّرد الغالب الذي تنضبط به الصّيغ الصرفية، ويراعى عند الاشتقاق أو التحويل. وكل خروج عن هذا المعيار هو عدول، ويكون ذلك في الأفعال ومصادرها، وفي المشتقات، ونشير هنا إلى أنه قد تشيع الصيغة وتطرد في الاستعمال ولكنها تشذ في القياس، وهذا كثير وحينها يؤخذ بالسماع، ولا يُتَّخذ أصلا يقاس عليه. جاء في المزهر:« واعلم أنّ الشيء إذا اطّرد في الاستعمال، وشذّ عن القياس فلا بُدّ من اتّباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنّه لا يُتّخذ أصلاً يقاس عليه غيره.»[3] ؛ فالاطّراد وكثرة الاستعمال هما السبب في جعل الشيء قاعدةً ومعياراً يقاس عليه.

2-4 العدول والتّرخّص:

العدول خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة اكتسبا؛ أي هذا الخروج وهذه المخالفة قدرا من الاِطِّراد. والعدول إجراء أسلوبي استعمله القدماء والمحدثون

---

(1) ينظر: الثعالبي: **كتاب فقه اللغة وأسرار العربية**، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 2000، ص366.

(2) الأنباري: **لمع الأدلة**، تحقيق: سعيد الأفغاني في (رسالتان لابن الأنباري)، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1971، ص93.

(3) السيوطي: المزهر 188/1.

لوظائف تواصلية، وقِيس عليه، وسنذكر له نماذج متعددة في الصيغ الصرفية لاحقا.

أمّا الترخّص فهو« مغامرة فردية للفصيح من العرب القدماء لو تكررت من المعاصرين لعُدت من قبيل الخطأ.»[1] وما دام مغامرة للقدماء فحالاته قليلة ولا يقاس عليها، بل هي مرهونة بمحلّها ويشترط فيها أن يؤمن معها اللبس، وأن تكون من فصيح عصر الاستشهاد[2]. ومن طرق الترخّص في البنية [3]: تغيير هيكلها كتحول "ميكائيل" إلى ميكال في قوله تعالى:﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾(البقرة: 98) أو حذف بعض حروف الكلمة كحذف ياء المتكلم من "دعاني"، في الآية:﴿ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ (البقرة: 186). أو حذف حرف العلة في الفعل المعتل الآخر بالياء أو بالواو نحو "يدعو" في قوله تعالى:﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ٦﴾ (القمر: 6) أو زيادة حرف على بنية الكلمة كما في قوله تعالى:﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾(الصافات: 130) أي سلام على إلياس(*) أو بإبدال حرف مكان حرف كما في قوله:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦﴾ (آل عمران: 96) وكل هذا لم يأت

---

(1) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص347.

(2) ينظر: نفسه، ص224.

(3) ينظر: نفسه، ص225، 226.

(*) وقيل كان يدعى بياسين وآل مقحمة كما في آل فرعون. وقيل ياسين هو أبو إلياس. ينظر: تفسير التحرير والتنوير 170/23.

مصادفة بل هو مقصود ولوظائف تواصلية[1].

2-5 العدول والاختيار:

يختلف العدول عن الاختيار في كونه خروجا عن النظام أو الأصل اللغـوي أو نوعا من الخروج عن سياق النص واهتم به القدماء أكثر مما اهتموا بالاختيـار، وقد يكون سبب ذلك هو دافع الاحتفاظ بالأصل والحفاظ عليه، ونبذ كل خروج عن مقرراتهم وما اجتمعوا عليه وشاع بينهم. ومما يدل على ذلك تسمياتهم المختلفة له بكل ما يوحي إلى خلاف المألوف. وقد عُرف في التـراث اللغـوي والبلاغـي بالمصطلحات الآتية: المجاز، والنقـل، والانتقـال، والتحريـف، والانحـراف، والرجوع، والالتفات، والعدول، والصرف، والانـصراف، والتلـوّن، ومخالفـة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، والحمل على المعنى، والترك، ونقض العـادة، وغيرها[2].

وأهم ما يفرّق به بين العدول والاختيار[3]:

أ- **العدول:** ممّا يميزه عن الاختيار:

1- يبتعد التعبير في العدول عن الشائع والمطرد، وربما اقترب أحيانا من القليل أو الشاذّ.

2- يخص العدول اللغة الفنية العالية، والإبداعُ فيه بالخروج عن المـألوف يكـون لوظيفة تواصلية أو فنية مقصودة.

3- يركِّز في دراسة أسلوبية العدول على بنية النص أو الرسـالة، حيـث توصـل الأسلوبيون من خلال دراسته إلى نتائج استثمروها في علم النص.

ب- **الاختيار:** وممّا يميّز الاختيار عن العدول:

1- الاختيار محدود بالإمكانات المتفق عليها والشائعة المطردة في اللغة.

---

(1) ينظر: ص50، 51 من هذا البحث؛ وينظر: فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص56-61.

(2) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي القرآن الكريم، ص141.

(3) ينظر: نفسه، ص143، 144.

2- يكثر الاختيار في اللغة المستعملة النمطية على ما فيه من فنّية وانتقاء.

3- الاختيار مرتبط بالقائل أو المبدع، وفي دراسته يركّز على المبدع والسمات الفنّية في إنتاجه الخاص. ورغم ما بينهما من فروق يتكاملان في البنيات اللغوية الرفيعة.

ب- أسس العدول:

1- ضوابط العدول ومسوّغاته:

ليس العدول مسلكا عفويا أو تصرفا عشوائيا بل هو إجراء فنّي يتمّ وفق ضوابط ومسوّغات مقبولة، سمح بها علماء اللغة وأقروها لضرورة تفرضها وظيفة التواصل، واشترطوا لذلك تحقّق الضوابط الآتية:

1- أن يكون لوظيفة تواصلية مقصودة، « ومن شأن بلغاء العرب أنهم لا يعدلون عن الأصل إلا وهم يرمون إلى غرض عدلوا لأجله. »[1] فلا يتم عدول من صيغة إلى أخرى إلا لمعنى اقتضته ضرورة التواصل، « ولا شك أنه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة إذ كل عدول من صيغة إلى أخرى لا بدّ أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر إلاّ إذا كان ذلك لغة.» [2]

2- مراعاة الأصل اللغوي أو المعياري (القاعدة المطّردة) المتواضع عليه في مستويات اللغة الصوتية والمعجمية والدلالية والتركيبية والإيقاعية؛ ومن ضوابطه كذلك مراعاة سياق الخطاب وحال المخاطِب والمخاطَب، وظروف الخطاب وملابساته.

3- أن يؤمن معه اللَّبس في المعنى، وهي قاعدة مقرّرة يقول ابن مالك [3]:

وَإِنْ بِشَكْلٍ خِيْفَ لَبْسٌ يُجْتَنَبْ ....

(1) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 157/1.

(2) فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص6.

(3) ألفية ابن مالك، ص40.

ويقول كذلك عن قول العرب:« خرق الثوبُ المسمارَ» برفع المفعـول ونـصب الفاعل:

ورفعُ مفعولٍ به لا يَلتَبِسْ مَعْ نصبِ فاعلٍ روَوْا فلا تَقِسْ [1]

فقد جازت المخالفة لأنّ المعنى واضح، فالفعل خرق يتطلّـب منطقيـا أن يكـون المسمار هو فاعله، والثوب مفعولا به.

4- الاطّراد أو الشيوع أو كثرة السّماع أو الغالب. حين تكلّم ابن جني عن مسألة حجية الكلام العربي في باب (القول على إجماع أهل العربية، متى يكون حجـة)، أعقبه بقوله:« إلا أننا-مع هذا الذي رأيناه وسوَّغنا مرتكَبه- لا نسمح له بالإقـدام على مخالفة الجماعةِ التي قد طال بحثها وتقدّم نظرها، وتتالت أواخر على أوائل، وأعجازا على كلاكل. والقومِ الذين لا نشك في أنّ الله -سبحانه وتقدست أسماؤه- قد هداهم لهذا العلم الكريم، وأراهم وجه الحكمة في الترحيب له والتعظيم، وجعله ببركاتهم، وعلى أيدي طاعاتهم خادما للكتاب المنزل، وكلام نبيه المرسل، وعونـا على فهمها، ومعرفة ما أُمر به، أو نُهي عنه الثَّقَلان منهما.» [2]

5- الابتعاد عن المخالفة ما وُجد إلى ذلك سبيل ومحاولة الرجوع بالبنية المخالِفـة إلى ما استقرّ عليه اللغويون والنحاة من أشكال الأنمـاط اللغويـة المبـررة فـي قواعدهم، وتعليل الشكل المخالف « من خلال طرائق متعدّدة، كالتقدير، والحمـل على المعنى، والحمل على الموضع، والبحث عن قرائن لغوية ونحوية تمكنهم من تحقيق القياس على المطابق ولو بلغ بهم الأمر حد تغيير صيغ التركيب وأنماطـه، ليحصل لهم بذلك الانسجام مع المقيس عليـه. وإن تعـذر ذلـك حملـوه علـى الشذوذ.»[3]

---

(1) ابن مالك: **شرح الكافية الشافية**، تحقيق: أحمد عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، المملكة العربيـة الـسعودية، ط1، 1982، 612/2.

(2) الخصائص 190/1.

(3) كمال قادري: **ظاهرة التطابق النحوي في اللغة العربية** من خلال القرآن الكريم، (مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، 2001، ص25.

غير أنّ ابن هشام يذكر أنّ بعض الأنماط من المخالفة الإعرابية من ملـح كـلام العرب، قال: « من ملح كلامهم تقارض اللفظين في الأحكام.» [1]، وذكـر مـن أمثلة ذلك إعطاء الفاعل إعرابَ المفعول وعكسه عند أمن اللبس مثل:"خرق الثوبُ المسمارَ" و"كسر الزجاجُ الحجر"[2] ومنه رفـع المفعـول فـي قـول الـشّاعر[3] (الخفيف):

إنّ مَن صَاد عَقْعَقاً لَمَشُومُ كَيفَ مَنْ صَادَ عَقْعَقَان وبُومُ

ومع أنّ هذه الأنماط اللغوية معدودة في النادر أو في التعدّد اللهجي؛ أي أنهـا من لغات العرب، كان يجتنبها الشعراء وأهل الخطابة قدر المـستطاع لمخالفتهـا القاعدة العامة، حتى وإن كانت من باب الجائز في ما درجت ألسنتهم عليـه، ودل اجتنابهم لها على أنها مشكلة لسانية حـاولوا معالجتها باللجوء إلى معايير اللغـة المسيطرة عند الحـاجة إلى التواصل مع القبائل [4]. وربمـا كانـت مـن كـلام الفصحاء الذين تأثروا بغير الفصحاء ودرجت ألـسنتهم علـى كلامهـم لطـول مخالطتهم فتأثروا بهم فوقعت في كلامهم المخالفة، يقول ابن جنـي:« ولا أدفـع أيضا مع هذا أن يسمع الفصيح لغة غيره مما ليس فصيحا، وقد طالت عليه وكثر لها استماعه، فسَرَت في كلامه، ثم تسمعها أنت منه، وقد قويت عندك فـي كـل شيء من كلامه غيرها فصاحته، فيستهويك ذلك إلى أن تقبلها منه، علـى فـساد أصلها الذي وصل إليه منه، وهذا موضع متعب مؤذ يشوب النفس ويَشري اللبس إلا أن هذا كأنه متعذر ولا يكاد يقع مثله. وذلك أن الأعرابي الفصيح إذا عدل بـه عن لغته الفصيحة إلى أخرى سقيمة عافها ولم يبهأ بها.»[5] ويظهر من كلامه هذا أنّ الأعراب الخُلَّص كان لهم حسّ لغوي مرهف، وذوق أدبي رفيع، وأن علمـاء

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 878/2.

(2) ينظر: نفسه 880/2.

(3) البيت لم يعرف قائله وهو من شواهد المغني. ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 881/2.

(4) ينظر: حسن خميس الملخ: **التفكير العلمي في النحو العربي**، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص58، 59.

(5) الخصائص 26/2.

العربية كانوا حريصين على الحفاظ على أصالة العربية وتميّزها ومنهم ابن جني؛ ونستشف ذلك من تفسيراته هذه.

6- طلب الخفّة في المبنى؛ فالعرب ميالون إلى البنيات الخفيفة في تركيبها الصوتي.

7- الابتعاد عن التعقيد والتعجرف، إلا ما كان تلبية لنزوة عابرة أو تعبيرا عن ترف فكري أو إفصاحا عن مقصد تعجيزي. يورد ابن جني السبب النفسي الوجيه الذي يدعو الشاعر لنظم الأبيات المعقدة وأضرابها، ويبين أن الشاعر لم يلجأ إلى ذلك ضعفا منه باللغة ولا جهلا منه بتوخّي أسباب الفصاحة عند العرب بل يلجأ إلى ذلك إظهارا لقوّة طبعه، وشدّة أسره وسموّ نفسه وتعجرفه، فيقول:« فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أنّ ذلك على ما جشمه منه وإن دل من وجه على جوره وتعسفه، فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمّطه، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته. بل مثله في ذلك عندي مثل مجري الجموح بلا لجام، ووارد الحرب الضروس حاسرا من غير احتشام، فهو وإن كان ملوما في عنفه وتهالكه، فإنه مشهود له بشجاعته وفيض منته.» [1] ولكن ابن جني رغم ذلك لا ينصح باللجوء إلى هذا التعقيد بل يأمرنا بأن نعرفه ونجتنبه [2].

2- العدول والسّياق:

للسياق الأثر البارز في توجيه العدول وتحديد معناه أو جزء من معناه، والسياق أصل مشاهد في كلامنا وفي عملية العدول، بخلاف الضوابط الأخرى كقاعدة الاستخدام اللغوي أو الاستعمال الشائع، أو النموذج المثالي أو غير ذلك، فهذه القواعد ليست شيئا حاضرا أمامنا.

والسياق يتضمّن كذلك غيره من القواعد؛ فإذا اتخذنا المطرد من اللغة أو نظام

(1) السابق 392/2.

(2) ينظر: عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص165.

اللغة وقواعدها قاعدة للعدول فإننا لا نستطيع إدراك ذلك إلا ضمن سياق الكـلام، ومن ثم فهو جدير بأن يكون هو الأساس في قياس العدول [1]. ومثـال ذلـك أن ننظر إلى أنّ الأصل اللغوي في قولهم: (زيد نهاره صائم وليله قائم) هـو نهـاره مصوم فيه وليله مقوم فيه، وهذا يعني أنه قد عدل عن الأصل اللغـوي. وعرفنـا ذلك من ذكر النهار والليل، وسياقهما.

3- العدول والالتفات:

يعرّف الزركشي الالتفات بقوله:« وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسّامع، وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه.» [2] فالالتفات تغيير لوجهة الكلام وعدول عن أسلوب إلى آخر لوظائف تواصلية وهو انتقال معنوي أكثر منه لفظي« لما يتركه من أثر في النفس وليس مجرّد تغيير في الأسلوب.» [3] ورغم ما ذكره البلاغيون من أنّ سبب الالتفات وسرّه البلاغي هو العمل على تجديد نشاط السّامع وتطرية له من أن يسير على ضرب واحد من الكلام ووتيرة واحدة مـن الأسـلوب فيمـل سماعه. فابن جني لا يرى أن هذا هو السبب وحده المنـشود للالتفـات بـل إذا اضطررنا إلى عدم الوصول إلى تحديد الوظيفة التواصلية من الكلام نقـدر هـذا السبب، يقول ابن جني:« وليس ينبغي أن يقتصر في ذكر علة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب بما عادة توسط أهل النظر أن يفعلوه، وهـو قولهم: إنّ فيه ضرباً من الاتّساع في اللغة لانتقاله من لفظ إلى لفظ. هذا ينبغي أن يقال إذا عَري الموضع من غرض معتمد، وسر على مثله تنعقد اليد.» [4] وذكـر القاضي شمس الدين بن الجوزي أنّ مجرّد تجديد نشاط المستمع ولفت انتباهـه لا يكفي مبررا للالتفات، « وإنما المناسبة أنّ الإنسان كثير

(1) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص149.

(2) البرهان في علوم القرآن 197/3.

(3) عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص145.

(4) المحتسب145/1.

التقلب، وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، ويقلبه كيف يشاء، فإنه يكون غائبا فيحضر بكلمة واحدة، وآخر يكون حاضرا فيغيب، فالله تعالى لمّا قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ (الفاتحة: 2) تنبّه السامع وحضر قلبه، فقال:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ (الفاتحة: 5) »[1].

ويذكر الزركشي فوائد أخرى للالتفات كالتفنّن، وتوسيع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية [2]. وهذه فوائد عامة تكون في كل كلام وقع فيه التفات، وهناك فوائد خاصّة هي وظائف تواصلية تختص بنص بذاته وقع فيه الالتفات، وبحال المتكلم ومقامه؛ ومنها[3]: قصد تعظيم شأن المخاطب، نحو قوله تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ (الفاتحة: 2)، ومنها التنبيه على ما حقّ الكلام أن يكون واردا عليه، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ﴾ (يس: 22). ومنها أن يكون الغرض منه التتميم لمعنى قصده المتكلم، نحو قوله تعالى:﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾ (الدخان: 4-6)، ومنها قصد المبالغة، نحو قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ (يونس: 22)، ومنها قصد الدلالة على الاختصاص، نحو

(1) الزركشي: البرهان في علوم القرآن 204/3.
(2) نفسه 203/3، 204.
(3) ينظر: نفسه 204/3 ــ 206.

قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ (فاطر: 9)، ومنها قصد الاهتمام، نحو قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (فصلت:11، 12)، ومنها قصد التوبيخ، نحو:﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ ﴾ (مريم: 89).

4- العدول والتضمين:

نذكّر بأنّ التضمين هو إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيُعطى حكمه. وفائدة التضمين أن تؤدّي كلمة الوظيفة التواصلية لكلمتين. ويكون التضمين في الأسماء، وفي الأفعال؛ يقول ابن جني:« اعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فإنّ العرب قد تتّسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه. وذلك كقوله عزّ وجلّ:﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ (البقرة: 187) ...لمّا كان الرّفث هنا في معنى الإفضاء... جئت بـ(إلى) مع الرّفث. »[1]؛ فكلمة الرفث أدت وظيفة كلمتيْ: الرفث والإفضاء. وفي هذا عدول في استعمال الكلمة؛ حيث لم تختصَّ بمعناها الأصلي فحسب، بل استُعملت

(1) الخصائص 308/2، 435.

لغيره. ومن أمثلة التضمين في الأسماء كذلك تضمين كلمة (حقيق) معنى (حريص) في قوله تعالى:

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ (الأعراف: 105)، حيث ضُمّن (حقيق) معنى (حريص) ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه.

وأما التضمين في الأفعال فمن أمثلته تضمين (يشرب) معنى (يَروَى) في قوله تعالى:﴿ عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ (الإنسان: 6)، فضمّن (يشرب) معنى (يَروَى)؛ فأريد باللفظ الشرب والري معا[1].

ومنه قولنا: سمع الله لمن حمده، ففعل (سمع) هنا عُدّي باللام لأنّ المقصود هو فعل استجاب، فكأنما أخذنا اللام من فعل الاستجابة[2].

والتضمين يأتي لوظيفة تواصلية لا يؤديها التعبير بالفعل أو الاسم المضمّن مباشرة؛ ففي قوله تعالى:﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ (النساء: 2) الفعل (تأكلوا) يتعدى بنفسه، وتعديه بحرف الجرّ جعلنا نقول إنه ضمِّن معنى فعل (تضمّوا) أو(تحوّلوا) أو غير ذلك، « ولكن الآية لو استعملت أحد هذه الأفعال الأخيرة لخلت من الطاقة التعبيرية التي تجدها لها مع استعمال الفعل (تأكلوا) لما في استعماله من الدلالة على الشراهة والاستهلاك والهضم في وقت معا. »[3]

---

(1) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن 211/3.

(2) ينظر: فاضل صالح السّامرائي: **أسرار البيان في التعبير القرآني**، محاضرة، ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، عام 2002. على الأنترنت بمواقع عديدة، ص72.

(3) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص340.

5- العدول والتّغليب:

المقصود بالتغليب إعطاء الشيء حكم غيره. وهو ترجيح أحد اللفظين على الآخر، كما أنه إجراء للمختلفين مجرى المتّفقين. والتغليب هو عدول لِما فيه من نسبةٍ أو وصفٍ لا واقعية فيهما لأحد الشيئين ومثاله (الوالدين) في قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ ﴾ (الإسراء: 23) فالولادة من وظائف الأمّ، وأُلحِق الأب إجراء ليوصف بهذا الوصف، وهذا التغليب عدول وقع لوظيفة تواصلية؛ وهي أولوية الإحسان بالأم لما تلاقيه من صعوبة ومشقّة في الحمل والوضع والرضاع وخدمة الوليد. ونقول (الأبوين) بتغليب الأب عند الحديث عن واجبات الأب تُجاه ابنه كحمايته وإكسابه الفضائل. وإذا فخر الشاعر فإنه يفخر بأبويه لا بوالديه، ومن ذلك قول الفرزدق [1] (الطويل):

أولئك آبائِي فجِئني بمثلهمْ ... إذا جمَعَتْنا يا جرير المجامعُ

ومن ذلك جمع كلمتي البحر والنهر في كلمة "البحرين" في قوله تعالى﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾(الرحمن: 19) والمقصود البحر والنهر[2]. ومثاله تغليب القمر على الشمس.

وهناك نوع آخر من التغليب في قوله تعالى عن مريم عليها السلام:﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (التحريم: 12). تغليب صيغة جمع الذكور هنا كان لوظيفة تواصلية. يقول ابن عاشور عن وظيفة هذا التغليب:« ونكتته هنا الإشارة إلى أنها في عداد أهل الإكثار من العبادة وأن شأن ذلك أن يكون للرجال لأنّ

---

(1) الفرزدق: **ديوان الفرزدق**، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987، ص360.

(2) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص374؛ وينظر: تفسير التحرير والتنوير 248/27.

نســـاء بني إسرائيل كنّ معفيات من عبادات كثيرة.» [1]

6- الضّرورة الشعرية ومخالفة الأصل:

ارتكاب الضرورات الشعرية مخالفة للقياس في العربية، والضرورات بحـــسب ما يذكر السيرافي على سبعة أوجه « وهي الزيادة، والنقصان، والحذف، والتقديم، والتأخير، والإبداء، وتغيير وجه من الإعراب إلى وجه آخر على طريق التـــشبيه، وتأنيث المذكر وتذكير المؤنث.» [2] وكل هذه الأشكال عدول عن الأصل ويرتبط بعضها بالصيغ الصرفية مما يضطرنا إلى الحديث عنها.

اختلف أهل اللغة في النظر إلى ارتكاب الضرورات بين مجيـــز لهـــا مطلقـــا ومجيز لها لاضطرار وبشروط، ومقبِّح لها:

ممن أجازوا الضرورة مطلقا ابن عصفور حيث يبرّر إجازة العرب في الشعر ما لا يجوز في غيره من الكلام سواء اضطروا إلى ذلك أولم يـــضطروا بكونـــه كلاما موزونا تخرجه الزيادة فيه والنقص منه عن صحة الوزن، ولأنـــه موضـــع ألفت فيه الضّرائر [3].

ويرى الآلوسي كذلك أنّ الضرورة وسيلة للشاعر يستعملها متى شاء مـــضطرا أو مخيّرا ويناقش آراء سابقيه فيقول:« ذهب الجمهور إلى أن الضرورة ما وقع فـــي الشعر مما لا يقع في النثر سواء كان للشاعر عنه مندوحة[مخلص]أم لا. ومنهم من قال أنها ما ليس للشاعر عنه مندوحة، وهو المأخوذ من كلام سيبويه وغيره على ما هو مبسوط في شرح نظم الفصيح لابن الطيب الفاسي، وبه قال ابن مالك.»[4]

---

(1) تفسير التحرير والتنوير379/28؛ وينظر: البرهان في علوم القرآن 190/3.

(2) السيرافي: **شرح كتاب ســـيبويه**، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، 189/1.

(3) ينظر: ابن عصفور الإشبيلي: **ضرائر الشعر**، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، ط1، 1980، ص13.

(4) الآلوسي: **الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر**، شرح: محمد بهجة الأثري البغدادي، المطبعـــة الـــسلفية بمـــصر، القاهرة، 1341هـــ ، ص6.

وردّ الشاطبي على ابن مالك قولَه أنّ الضرورة تُرتكب لاضطرار فقط، وحاصل ما ذكره في شرح الألفية أنّ هذا القول -[الضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحة]- باطل من وجوه: **أحدها:** إجماع النّحاة على عدم اعتبار هذا المنزع.

ثانيها: أنّ الضرورة عند النحاة ليس معناها أنه لا يمكن في الموضع غير ما ذكر.

الثالث: أنه قد يكون للمعنى عبارتان أو أكثر واحدة يلزم فيها ضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال، بخلاف غيرها من العبارات، ولا شك أنهم في هذه الحال يرجعون إلى الضرورة، لأنّ اعتناءهم بالمعاني أشدّ من اعتنائهم بالألفاظ.

الرابع: أنّ العرب قد تأبى الكلام القياسيّ لعارض زحاف فتستطيب المزاحف دون غيره أو بالعكس فتركب الضرورة لذلك [1].

ومن يرى باللجوء إلى الضرورات للاضطرار وبشروط الخليل وسيبويه ومن بعدهما ابن جني حيث لم ينكروا الالتجاء إلى الضرائر من قِبل الشعراء، لكن دون إسفاف وانفلات قيد. وصرّح سيبويه في كثير من آرائه النحوية بأنّ الشاعر يجوز له الخروج عن القياس في الشعر ممّا لا يجوز للناثر حيث قال:« اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام.» [2] كما رد (سيبويه) بعض ما يستقبح كثيرا من الضرائر، وقال:« فهذا اضطرار، وهو في الكلام خطأ.»[3] ومما يبرر به ابن جني جواز ارتكاب الضرورة للشاعر قوله:« والشعر موضع اضطرار، وموقف اعتذار، وكثيرا ما يحرّف فيه الكلم عن أبنيته، وتُحال فيه المُثل عن أوضاع صيَغها لأجله.»[4]؛ فالضرورة عند ابن جني من ضروب المخالفة ولا تكون إلاّ في الشعر. ونجده في موضع آخر يربط بين ظواهر الضرورة، وشجاعة الشاعر ومغامرته في استخدام اللغة، وجنوحه إلى ارتكاب الضرورة لإظهار القدرة على المغامرة حيث يقول:« فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على

(1) ينظر: السابق، ص6-8.

(2) الكتاب 26/1.

(3) نفسه 62/3.

(4) الخصائص 188/3.

قبحها وانخراق الأصول بها، فاعلم أنّ ذلك على ما جشمه منه وإن دل من وجه على جوره وتعسفه فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمطه وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته. بل مَثَله في ذلك عندي مثل مُجري الجموح بلا لجام، ووارد الحرب الضروس حاسراً من غير احتشام. فهو وإن كان ملوماً في عنفه وتهالكه فإنه مشهود له بشجاعته وفيض منته... فكأنّه لأنسه بعلم غرضه وسفور مراده، لم يرتكب صعبا، ولا جشم إلا أَمَما وافق بذلك قابلا له، أو صادف غير آنس به، إلا أنّه هو قد استرسل واثقا، وبنى الأمر على أنه ليس ملتبِسا.»[1] فابن جني في كلامه هذا يقبح الضرورة، وفي الوقت نفسه يراها دليل شجاعة للشاعر، ولا تدل على ضعف لغته، ولا تنقص من فصاحته.

وممن يقبح الضرورة ويراها عيبا ومنقصة في الشعر سواء اضطر الشاعر إليها أو لم يضطر، أبو هلال العسكري(ت395 هـ) حيث يقول:« وينبغي أن يجتنب ارتكاب الضرورات وإنْ جاءت فيها رخصة من أهل العربية فإنها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائه، وإنما استعملها القدماء في أشعارهم لعدم علمهم كان بقباحتها، ولأن بعضهم كان صاحب بداية، والبداية مزلة، وما كان أيضا تنقد عليهم أشعارهم، ولو قد نقدت وبهرج من المعيب كما تنقد على شعراء هذه الأزمنة، ويبهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب لتجنبوها.»[2] فالضرورة عنده عيب ارتكبها القدامى لمزلة البداية ولقلة النقد، ولا نرى بهذا لما سبق، ولأنّ الضرورة كثيرا ما ارتكبها الواحد من فحول الشعراء مرات عديدة في أشعار مختلفة الأزمان، واستعملت في الحوليات المنقّحة وفي شعر النقائض للتّحدّي وفي المعارضات.

---

(1) السابق 392/2، 393.

(2) أبوهلال العسكري: **كتاب الصناعتين**، الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، مصر، ط1، 1320هـ، ص112.

ثانياً: أثر الوظيفة التواصلية في العدول إلى صيغ صرفية بعينها:

أ- من الوظائف التواصلية للعدول:

1- العدول عن القياس لتحقيق معنى ثانٍ بالصّيغة:

قد يُعدل بالصيغة عن القياس لأجل تحقيق غاية تعبيرية أو وظيفة تواصلية ومن أمثلة العدول عن القياس: كتابة الفعل (حور) بواو متحركة والقياس فيه أن يحصل فيه إعلال لتحرُّك الواو وانفتاح ما قبلها، فتكون مثل (حار) التي تعني رجع كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾(الانشقاق: 14) ولكي تختلف عنها دلالة وتدل على الحوَر وهو شدّة بياض العين مع شدّة السواد فيها لم تعلَّ. ومثله(حال) و(حوِل)، فالقياس في (حول) أن تعلّ أيضا ولم يعلّوها لإفادة معنى مغاير[1]. ويعلل ابن جني العدول عن بعض صيغ الكلمات إلى صيغ غيرها لاعتبارات تتعلّق بالمعنى من ذلك مثلا: صيغة كُرَّام التي خرجت عن بابها لأداء وظيفة الشدة في المبالغة في الكرم أكثر من كريم بقوله:« وتفسير هذا ما نحن بسبيله، وذلك أنه لمّا خرج عن معهود حاله أخرج أيضا عن معهود لفظه.»[2]

2- العدول عن الرسم الأصلي للصيغة لتحقيق وظيفة مغايرة:

هناك علاقة بين العدول بالعبارة عن مألوف حالها وما يتعلّق بذات القائل أو موضوع القول، ومن ذلك العلاقة بين حذف الياء من الفعل (يسري) في قوله عز وجلّ:﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾﴾ (الفجر: 4) وصفة الليل وهو الإسراء فيه وهو لا يَسْري وما دام كذلك حذف منه حرف. يقول الأخفش:« إنّ عادة العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه. »[3]

---

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص224.

(2) الخصائص 46/3؛ وينظر: عبد الحكيم راضي: **نظرية اللغة في النقد العربي**، مكتبة الخانجي بمصر، 1980، ص518.

(3) الزركشي: البرهان في علوم القرآن 70/3

3- العدول لأجل تحقيق الدقة في الوصف :

قد يعدل عن أصل بناء الكلمة لتحقيق وظيفة الدقة في الوصف ومنع أن يذهب الذهن بالعبارة إلى أي مذهب أو يحمّلها أي معنى خفي، ومن ذلك كلمة (أحد) في قوله تعالى:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ (الإخلاص: 1) فقد عُدل عن (واحد) إلى (أحد) ليحقق معنى الفردية المقصودة في الآية؛ فقد يكون الشيء واحداً وإذا نظرت إلى تركيبه وجدته مركّباً من أشياء فكلمة(أحد) تنفي ذلك التركيب بخلاف كلمة واحد [1].

4- العدول مراعاة للأصل اللغوي:

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ ﴾ (العاديات: 6) قيل الكفور بالنعمة وقيل العاصي وقيل البخيل [2]، والأصل اللغوي: الأرض الكنود التي لا تنبت والمرأة الكنود الكفور للمواصلة التي تبخل بمودتها [3]؛ فالأصل في هذه المفردة الأرض التي لا تنبت شيئاً، واستُعمل هنا ليوصف به الإنسان للإشارة إلى جبِلة البخل في الإنسان وجحد النعم. وبهذا العدول تحقَّق معنى جديد أساسه أصل المفردة اللغوي، « وكأنّ الكافر تحوّل إلى قطعةٍ صخرية من الأرض لا جدوى من زرعها لأنها لن تنبت شيئاً.» [4]

ب- العدول مطلب فنّي مفضّل:

كثيرا ما يفضل علماء اللغة المعدول إليه، ويعتدّون بالعدول في شرحهم لبعض ما اتّصف بمخالفة النمط المثالي أو بالخروج عن القياس في كلام العرب مراعاة للوظيفة التواصلية، وممّا نجده في هذا تفضيل ابن جني وابن منظور تخريج عبارة

---

(1) ينظر: عامر مهدي صالح العلواني: العدول في التعبير القرآني، مقال منشور بالأنترنت، شبكة التفسير.
(2) ينظر: الكشاف 419/6، 420.
(3) ينظر: لسان العرب 3936/5.
(4) عامر مهدي صالح العلواني: العدول في التعبير القرآني، مقال منشور بالأنترنت، شبكة التفسير.

(الضنين من البخل) في قول البَعيث[1] (الطويل):

أَلا أَصْبَحَتْ أَسماءُ جاذِمةَ الحَبْلِ وضَنَّتْ علينا، والضَّنِينُ من البُخْلِ.

على الوصف بالمصدر بدلا من تخريجه على القلب؛ فيقول:«... وهذا أوفق معنى من أن تحمله على القلب، وأنه يريد به: والبخل من الضنين؛ لأنّ فيه من الإعظام والمبالغة ما ليس في القلب.» [2] وقد ورد في اللسان:« إنّما أَراد تمكين البخل فيها حتى كأَنها مخلوقة منه، ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم: ما زيد إلاَّ أَكْلٌ وشُرْبٌ، ولا يكون أَكلاً وشرباً لاختلاف الجهتين، وهذا أَوفق من أَن يحمَل على القلب وأَن يراد به، والبخلُ من الضَّنِين لأَنّ فيه من الإِعْظام والمبالغة ما ليس في القلب.»[3] ففي عبارة ابن جني " أوفق معنى..." وعبارة ابن منظور "وهذا أَوفق من أَن يحمَل على القلب" يبدو تفضيلهما للمعدول إليه لما يحققه من وظائف تواصلية، ومن هذا القبيل تفضيل الزمخشري للأسلوب الأكثر انحرافا، كما يتمثل في قراءة ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ ﴾ (الأعراف: 154) على الأسلوب الأقل انحرافا في قراءة (ولما سكن عن موسى الغضب) [4] قال: « كأنّ الغضب كان يغريه على ما فعل.»[5] وكذلك حديثه في بلاغة قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة: 275) على أساس ما يحدثه الانحراف بجعل الفرع أصلا من المبالغة[6]؛ فلا تؤول هذه الآية بكونه حدث فيها قلب؛ أي قولهم: الربا مثل البيع. فبهذه البنية الأخيرة لا تحقق ما حققته الآية بالشكل الذي وردت به من قوة معنى.

---

(1) لسان العرب (ضن) 2614/4. ذكر محقق الخصائص أن البيت غير معزو لقائل في غير اللسان. ينظر: الخصائص 202/2.

(2) الخصائص 203/2.

(3) ابن منظور: لسان العرب (ضن) 2614/4.

(4) (5) الكشاف 513/2، 514.

(6) ينظر: نفسه 506/1.

وكثيرا ما يقيس اللغويون الأساليب التي ورد فيها عدول حصلت به زيادة في المعنى على الأساليب النمطية العادية وفي هذا تفضيل لأسلوب العدول [1]. يقول ابن جني:« ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله وذلك فُعال في معنى فعيل؛ نحو: طُوال فهو أبلغ معنى من طَويل... فلما كانت فعيل هي الباب المطرد وأريدت المبالغة، عدلت إلى فُعال... » [2] فإذا كانت (فُعَال) المعدول إليها أبلغ وأكثر فعّالية وتأثيرا في أداء الوظيفة التواصلية من (فَعِيل) التي هي الباب المطرد. فلا خصوصية إذاً في (الباب المطرد) وإنما تكون الخصوصية والدلالة الأبلغ حين يكون العدول عن المطرد والنمطي [3].

---

(1) ينظر: عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، ص360.
(2) الخصائص 267/3، 268.
(3) ينظر: عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، ص269.

ثالثاً: نماذج من العدول إلى صيغ صرفية معينة:

أ- العدول إلى الاسم:

1- العدول إلى اسم بعينه:

قد يخالَف الأصل أو القياس في العدول إلى الاسم لوظائف تواصلية مختلفة إضافة إلى دلالته العامة على الثبوت، ومن نماذج العدول إلى اسم بعينه:

- العدول عن (التواعد) إلى(الميعاد) في قوله تعالى:﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾(الأنفال:42)

كان القياس أن يؤتى بمصدر الفعل "تواعد" وهو "التواعد" وعدل عن ذلك للدّلالة على أنّ المراد زمان الوعد أو وقوع الحدث وهو التّواعد، لا حقيقة الوعد؛ أي لابدّ من تقدّم أحد الفريقين أو تأخّره [1].

- العدول إلى الوصف باسم الجنس أو بالجامد، نحو: مررت برجل أسد. أي شجاع أو جريء، وبرجل حمار أي بليد [2]. والغالب في الوصف أن يكون بالمشتقّ لا بالجامد. ويُعدل إلى الوصف باسم الجنس أو بالاسم الجامد لإظهار شدّة المطابقة بين الصّفة والموصوف ليصبح كأنّه هو. وفي المثالين دلالة على قوّة جرأة الموصوف بالأسد، وقوّة بلادة الموصوف بالحمار.

---

(1) ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص299.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص212.

2- العدول إلى الاسم بحسب العدد:

2-1 العدول إلى الاسم المفرد:

قد يرد الاسم مفردا ويراد به المثنى(*) ويرِد مفردا ويراد بـــه الجمـــع، وهـــو استعمال شائع في كلام العرب، قال ابن فــــارس:« ومن سنن العرب ذكر الواحد والمراد الجمع؛ كقولهم للجماعة: ضيف، وعدوّ؛ قال تعـــالى:﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِى ﴾ (الحجر: 68) وقال:﴿ ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ (الحج: 5) »[1]. وقال الشاعر[2]:

فعُمٌّ لعمِّكُم نافِع وطِفلٌ لطِفلكم يؤمل

والعُمُّ الجماعة من الرجال البالغين، وقد أخبر عنه باللفظ المفرد "نافع" عدولا عن القيّاس وهو الجمع، وأراد بالطفل الأطفال.

ولا يكون هذا العدول لغير قصد بل هو إجراء مقصود لخدمة وظائف تواصلية، ومن ذلك العدول إلى اللفظ المفرد(عدو) بدل الجمع(أعداء) في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٤ ﴾ (المنافقون: 4) فجيء بلفظ (العدوّ) معدولا إليه بدلاً من (الأعداء)

(*) ومن سنن العرب في كلامها أن يطلق اللفظ مفردا ويراد به المثنى: ومن ذلك مـــا حكاه الفراء أنّه سـمع بعـضهم يقولون: أكلت رأس شاتين. (أراد رأسيْ شاتين).

ومنه قول الشماخ بن ضرار (الطويل): حمامة بطن الواديين ترنّمي سقاك من الغرّ الغوادي مطيرُها

حيث أفرد البطن والقياس أن يقول: بطنيْ الواديين. والبيت نُسب لقائليْن: الشماخ بن ضرار وتوبة بن الحمير. ينظر: ابــن مالك: **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**، تحقيق: طه محسن، مكتبة ابــن تيميــة، ط2، 1413هـــ، ص115.

(1) السيوطي: المزهر 266/1.

(2) ابن الأنباري: **الأضداد**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987، ص25. يُقال أن البيت قاله أحيحة بن الجُلاح في نخل اشتراه فعذله قومه.

الموافق للقياس، ويظهر أنّ هذا العدول قُصد منه تحقيق الوظائف الآتية:

1- التقليل من شأنهم. ويوحي بذلك سياق الآية هنا فهو يجردهم من كل صفات القوة والتأثير والنفع، وأنهم إذا « رأيتموهم حسبتموهم أرباب لب وشجاعة وعلم ودراية، وإذا اختبرتموهم وجدتموهم على خلاف ذلك. فلا تحتفلوا بهم... أي هم أهل جبن في صورة شجعان.»[1]

2- الإغراء بهم ففي بداية الآيات تحدث عنهم بصيغة الجمع الدالة على الكثرة ثم انتقل إلى الإفراد الدال على القلة.

3- الدلالة على اتفاق كلمتهم واجتماعهم على العداوة، كقوله تعالى:﴿ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ (مريم: 82) وقوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ ﴾ (الكهف: 50) « وذلك لجعلهم كذات واحدة في الاجتماع والترافد.»[2] فالقياس أن يقول أضدادا وأعداء.

ومن أمثلة العدول إلى الاسم المفرد: إفرادُ كلمة "النور" بعد جمع الظلمات في قوله تعالى:﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُ ﴾(فاطر:19-22)

وبالنظر في سياق الآية نجد تناسقاً بين كل المتقابلات(الأعمى والبصير،الظل والحَرور،الأحياء والأموات) وخرج عن هذا التناسق اسم (النور) بالعدول عن الجمع إلى الإفراد ليدل على أنّ ظلمات الضلالة كثيرة وطرقها متشعّبة، أمّا نور الإيمان والهداية فواحد وسبيله واحد[3].

---

(1) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير240/28.

(2) الأسترابادي: شرح الرضي على الكافية 362/3.

(3) ينظر: الزمخشري: الكشاف 321/2.

2-2 العدول إلى جمع القلّة:

قد يعدل إلى جمع القلة بدل جمع الكثرة، ومن ذلك العدول إلى (أنعُم) بدل (نِعم) في الآية: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (النحل: 112) حيث ذكر من النعم العظيمة التي أنعم الله بها على أهل هذه القرية وكفروا بها نعمة الأمن والاطمئنان ونعمة الرزق الميسور، وهما نعمتان لا قِلّة فيهما، ومع ذلك عدلت الآية عن التعبير بجمع الكثرة (النعم) إلى جمع القلة (أنعم) لوظيفة تواصلية وهي إظهار عقاب كفر القليل من النعم فما بالك بالكثير.

2-3 العدول إلى جمع الكثرة:

من أمثلة العدول عن جمع القلّة إلى جمع الكثرة كلمة (سنابل) في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ (البقرة: 261) والأصل أن توصف السبع بجمع القلة (سنبلات) كما في الآية:﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ﴾ (يوسف: 43) وعدل عن ذلك إلى جمع الكثرة (سَنَابِل) لتؤدّي بهذه البنية وظيفة تواصلية، وهي مناسبة سياق الآيات قبلها ولتدل على التكثير والمباركة من الله لهذه الصّدقة [1] .

3- العدول إلى الاسم المذّكر:

يُعدل إلى التذكير والمذكر خروجا عن الأصل لوظيفة مقصودة، ومن ذلك

(1) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص180.

وصف السماء بـــ(منفطر) في قوله تعالى:﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾(المزمّل: 18) حملا للفظ السماء المؤنث على معنى السقف المـــذكر، يقال: هذا سماء البيت [1]. وقد يكون العدول بها لقصد الخفّة في الأداء؛ قال ابـــن عاشور:« ولعلّ العدول في الآية عن الاستعمال الشائع في الكلام الفــصيح فـــي إجراء السماء على التأنيث، إلى التذكير إيثارا لتخفيف الوصف. » [2] منفطر أخف من منفطرة؛ فكلمة منفطر اشتملت على حرفي زيادة هما الميم والنون ولو أضيفت الهاء لزاد الثالث ولأصبحت الكلمة ثقيلة[3] . مما يقلّل من فعّالية التواصل بها.

ومن العدول عن المؤنث إلى المذكر وصف الرحمة بالمذكر في قوله ســـبحانه وتعـــــــــــالى:﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(الأعــراف: 56) فقد وصفت الرحمة بلفظ (قريب) لتحقيق معنيـــين قرب رحمة الله وقربه هو أيضا[4].

ومنه العدول إلى وصف الأعناق بالخاضعين لوظيفة تواصلية في قوله سبحانه وتعـــــــالى: ﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾(الشعراء:4) والأصل أن يُقال: خاضعة. يقول فاضـــل الـــسامرائي: « فإنَّه ذكّر ولم يقل خاضعة، وذلك لأنَّه لا يريد خضوع الأعناق فقط بل خضوع أصحـــابها أيضا فقدّم (الأعناق) للإسنـــاد ولكنّه أخبر عن المضاف إليه فجمع

---

(1) ينظر: محمود عكاشة: **الحمل على اللفظ والمعنى في القرآن الكريم** في ضوء القياس على المشهور والنادر، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص161. وربما جاز تذكيرها لأنّها مؤنّث غير حقيقي.

(2) (3) تفسير التحرير والتنوير276/29.

(4) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص193. وربما حمل الرحمة على المطر لتحقيقه رحمة الله بعباده. ينظر: العكبري: **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق محمد علي البجـــاوي، دار الجيـــل، بيـــروت ، ط2، 1987، 575/1. و يجوز أن يوصف بـــ(فعيل) المذكر والمؤنّث معاً.ينظر: ابن جني: الخصائص 412/2.

المعنيين بذلك.»[1] ومثل هذا كثير في كلام العرب ومنه "ثلاث شخوص" في قول عمر بن أبي ربيعة [2] (الطويل):

فكانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كنتُ أَتّقي   ثَلاثُ شُخُوصٍ: كاعِبانِ ومُعْصِرُ

والشائع في العدد أن يخالف المعدود مع العدد ثلاثة، فيقول: ثلاث نساء، وبه يكون الوزن مستقيما؛ وعدل عن القاعدة وأتى باللّفظ مذكّرا مع الثلاثة. أو أتى بالثلاثة مذكرا مع المعدود المذكر(شخوص) عدولا عن القاعدة ليريد به المرأة (كاعبان ومعصرِ). وقد يكون عدل إلى خطاب هذه الأصناف من النسوة بالمذكّر لما امْتزْن به عن باقي النّساء من حسن وتفضيل، وربّما أشار إلى الشّخوص وهو الارتفاع والعلوّ للمشابهة الضمنية.

4- العدول إلى المصدر:

4-1 العدول إلى مصدر بعينه لوظيفة خاصة:

يُقصد التعبير بالمصدر دون غيره من المشتقات ولو تطلّب الأمر (الوظيفة التواصلية) الخروج عن القياس لدلالاته في مقامات خاصة على ما لم يدل عليه التعبير بغيره، قال سيبويه:« وقد يجئ المصدر على المفعول، وذلك قولك: لبَنٌ حَلْبٌ، إنما تريد محلوب. وكقولهم: الخَلْق: وإنما يريدون المخلوق. ويقولون للدرهم ضرب الأمير، وإنما يريدون مضروب الأمير.»[3] ونحوه وصفهم الذات بالمصدر كقولهم: مررت برجل صوم. ومررت برجل عدل. لتحقيق المبالغة؛ كأنّ الذات تحوّلت إلى حدث مجرد. قال الزمخشري في قوله تعالى:﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ ﴾ (يوسف: 18):« ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، كأنّه

---

(1) الجملة العربية والمعنى، ص193.

(2) عمر ابن أبي ربيعة: **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: فائز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1416هـ/1996م، ص127.

(3) الكتاب 43/4.

نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذّاب: هو الكذب بعينه، والزور بذاته. ونحوه:

....   فهنَّ به جودٌ وأنتم به بخلُ. »[1]

ومن نماذج العدول إلى التعبير بمصدر بعينه:

- العدول إلى (الاستعجال) بدل (التعجيل) في قوله تعالى:﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١﴾ (يونس: 11) . والقياس هو (التعجيل) وعدل عنه لأداء وظيفة المبالغة الكامنة في صيغة (استفعل) المنسجمة مع طبيعة البشر وجبِلّة العجلة فيهم، قال تعالى:﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ ﴾(الأنبياء: 37). قال ابن عاشور:«...فذكر في جانب الشّر(يعجّل) الدال على أصل جنس التّعجيل ولو بأقلّ ما يتحقّق فيه معناه، وعبّر عن تعجيل الله الخير لهم بلفظ (استعجالهم) الدّال على المبالغة في التعجيل بما تفيده زيادة السين والتاء لغير الطلب إذ لا يظهر الطلب هنا، وهو نحو قولهم: استأخر واستقدم واستجلب واستقام واستبان واستجاب واستمتع واستكبر واستخفى.» [2]

- العدول إلى(الكِذّاب) بدل (التكذيب) في قوله تعالى:﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨﴾ (النبأ: 28) تمَّ العدول في هذه الآية عن مصدر الفعل كذبوا "تكذيبا" إلى المصدر "كِذّابا" لما يدل عليه من شدة المبالغة في تكذيبهم أكثر من المصدر الأصلي[3].

---

(1) الكشاف 262/3. البيت غير منسوب، وهو من شواهد أساس البلاغة للمؤلف، ورد كاملا (الطويل):

ففيهن فضلٌ قد عَرَفْنا مَكانَه   فَهُن به جودٌ وأنتم بهِ بخلُ

(2) تفسير التحرير والتنوير 107/11.

(3) ينظر: الزمخشري: الكشاف301/6.

- العدول إلى(الضياء) بدل (المضيء) وإلى(النور) بدل (المنير) في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ (يونس: 5)؛ أي جعل الشمس مضيئة والقمر منيرا [1]. ذكر الله سبحانه وتعالى الشمس والقمر موصوفين بالمصدر "نورا وضياء" بدل اسم الفاعل "مضيئة و منيرا" للمبالغة في عظمة هاتين الآيتين ودلالتهما البيِّنة على قدرة خالقهما. قال سيبويه عن مجيء المصدر دالا على اسم الفاعل:«...ويقع على الفاعل، وذلك يوم غمٌّ، ورجل نَوْم، إنما تريد النائم والغامَّ.»[2] ، وفي كل هذا تحقيق لوظيفة التعبير عن شدّة الاتّصاف والمبالغة.

- العدول إلى (القرآن) بدل (القراءة) في قوله تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ (القيامة: 17 ، 18) يتبيّن أنَّ العدولَ عن (القراءة) وهي المصدر المقيس إلى (القُرآن) وهو المصدر السماعي عدولٌ مقصود يراد منه بيان دلالة التحرك والمبالغة في قراءة القرآن من أَجل التثبت في معرفة معانيه وأحكامه للعمل بها، وهو ما تدل عليه صيغة (فُعْلان) وهو الحركة والمبالغة.

- العدول إلى (العلوّ) بدل (التعالي) في قوله تعالى في تنزيه ذاته العلية: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ (الإسراء: 43) والغرض من العدول عن المصدر (تعالياً) إلى مصدر الفعل الثلاثي (علوّاً) إرادة تحقّق المعنيين: المبالغة في معنى الفعل(تعالى) وتحقيقه، فالله سبحانه وتعالى متّصف بالعلو بحقّ لا بمجرّد الادّعاء [3].

---

(1) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 1513/1.

(2) الكتاب 43/4.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير113/15.

– العدول إلى (التَّبتيل) بدل (التبتُّل) في قوله تعالى مخاطباً النبي– صلّى الله عليه وسلّم– في بداية البعثة:﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلاً ﴿٨﴾ ﴾ (المزّمّل: 8).

في الإتيان بالفعل (تَبتَّل) إثبات لمعنى التدرّج، وفي الإتيان بالمصدر (تبتيلاً) عدولاً به عن القياس وهو(تبتُّلا) إثباتٌ لمعنى التكثير والمطاوعة، فمن التدرج نصل إلى التكثير، وهو وضع تربوي للنّفس، وتدريب لها على الاستمرار في العبادة، « إذ الأصل أن يتدرج الإنسان من القلّة إلى الكثرة والمعنى احمِل نفسك على التبتّل والانقطاع إلى الله في العبادة شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الكثرة.»(1) فبالعدول عن القياس في المصدر تحقق الأمر بالتّبتُّل والإكثار منه تدرّجا، بحمل النفس على ما تكره من ثقل العبادة أول الأمر إلى أن تُطاوع في ذلك وتعتاد (2).

– العدول إلى (الخوف) بدل (خائفين) و(الطمع) بدل (طامعين) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(الأعراف: 56). في العدول إلى المصدر بدل اسم الفاعل تحقيق لوظيفة تواصلية تتمثل في توسيع المعنى وتكثيره؛ فبدلا من أن يحقِّق معنى واحدا تدل عليه الحالية لو قال (خائفين طامعين) تمّ تحقيق ثلاثة معان تدل عليها المصدرية وهي: الحالية والمفعول لأجله والمفعولية المطلقة (3). إضافة إلى ما يحققه العدول إلى المصدر من مبالغة.

2-4 العدول إلى اسم المصدر:

يعدل عن المصدر الأصلي إلى اسم المصدر لتحقيق وظائف تواصلية، ومن ذلك:

---

(1) فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص 35.

(2) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص167.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص178؛ وينظر: بلقاسم بلعرج: **ظاهرة توسّع المعنى في اللغة العربية**، نماذج من القرآن الكريم، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد9، مارس2006، ص 129.

– العدول عن المصدر (إنباتا) إلى اسم المصدر (نباتا) في قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾﴾ (نوح: 17) والقياس: أنبتكم إنْباتا. وجاء هذا العدول لتحقيق وظيفتين:

1– تضمين الفعل (أنبت) معنى الإنشاء والخلق الظاهر[1]؛ فاسم المصدر (نباتا) محسوس مشاهد لبيان قدرة الله وبديع صنعه [2]. وهذا ما لا يحقّقه المصدر(إنباتا) الذي هو خَلق خفي.

2– الدلالة على المطاوعة؛ فالمعنى أنبتكم فنبتُّم نباتا؛ أي طاوعتم أمره. فجمع بين معنيَيْ الإنبات والنبات [3].

– العدول عن المصدر (إضلالا) إلى اسم المصدر (ضلالا) في قوله تعالى في وصف المنافقين:﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾﴾(النساء: 60).

الاسم (ضلالاً) ليس جارياً على يُضلّهم بل عدول عن القياس، ليثبت به وظيفتين كسابقه:

1– معنى (الضلال) الذي يقوم به الشيطان وهو مصدر الفعل (ضلّ)، قال تعالى:﴿ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ (النساء: 116)، « وانتصب (ضلالاً) على المعنى، أي فيضلون ضلالاً.»[4]

2– معنى (الإضلال) الذي يتضمن دلالة فعله المطاوع (أضلّ)؛ « والمعنى: أنّ الشيطان يريد أن يُضلّهم ثم يريد بعد ذلك أن يضلّوا هم بأنفسهم، فالشيطان يبدأ

(1) ينظر: الزمخشري: الكشاف217/6.

(2) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص168.

(3) ينظر: فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص175.

(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 915/1.

المرحلة وهم يتموّنها، فهو يريد منهم المشاركة في أن يبتدعوا الضلال ويذهبوا فيه كل مذهب، يريد أن يطمئن إلى أنّهم يقومون بمهمته.»[1]

3-4 العدول إلى المصدر الميمي:

يعدل عن المصدر الأصلي للفعل إلى المصدر الميمي لوظائف تواصلية ومن ذلك:

- العدول عن المصدر (إهلاك) إلى اسم المصدر(مَهْلِك) في الآية: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾(الكهف: 59). الفعل (هلك) من باب (ضرب) ويكون المصدر الميمي منه على القياس (مَهْلِك)، وهو في الآية معدول عن المصدر المقيس (إهلاك) لوظيفة تواصلية؛ حدّدها الزمخشري بقوله:« وضربنا لإهلاكهم وقتاً مَعْلوماً لا يتأَخّرون عنه... والمَهلِك: الإهلاك ووقته. »[2] فالمراد من العدول إلى المصدر الميمي بدل المصدر الأصلي التعبير عن هلاك ذي ميعاد سيحلّ بأهل القرى إن لم يتوبوا.

5- العدول إلى اسم المرّة:

من أمثلة العدول إلى اسم المرة لأداء وظيفة تواصلية العدول عن المصدر (ضلال) إلى اسم المرة (ضلالة) في قوله عزّ وجلّ في الإخبار عن قوم نوح وتكذيبهم لنبيهم عليه السلام:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١ ﴾ (الأعراف: 60، 61) كان مقتضى السياق أن ينفي نوح -عليه السلام- تهمة الضلال عن نفسه بصيغة المصدر (ضلال) التي وردت بها تلك التّهمة على لسان

---

(1) فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص36.

(2) الكشاف 595/3.

قومه، ولكنّه عدل عن تلك الصيغة إلى صيغة اسم المرة (ضلالة) مبالغة في النّفي، وذلك لأنّ المصدر يدل على القليل والكثير، أما اسم المرة فلا يدل إلا على الفعلة الواحدة، ونفي القليل يعني نفي الكثير وأبلغ منه [1].

6- العدول إلى اسم الهيئة:

جاء العدول عن المصدر (الخوف) إلى اسم الهيئة (الخِيفة) في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الروم: 28) ليعبّر بذلك عن الحالة أو الهيئة الملازمة لهم التي تتملكهم لا الطارئة؛ فالمصدر (الخوف) لا يدلّ على حالة الخوف الدائمة مثل ما يدل على ذلك اسم الهيئة (الخِيفة).

7- مخاطبة الجمادات مخاطبة من يعقل:

قد يخاطب ما لا يعقل مخاطبة العاقل عدولا عن الشائع لوظيفة تواصلية، ومن ذلك مخاطبة السماء والأرض مخاطبة العاقل في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (فصلت: 11) حيث دل بصفة الإجابة بالقول (قالتا) والطّاعة على العاقل، وجمعَهما جمع مذكر سالما للدلالة على أنهما أتيا بمن فيهما من الخلائق طائعين، وغلب من يعقل من الذكور. « وقال النحويون: لما أخبر عنهما أنهما يقولان كما يقول الآدميون أشبهتا الذكور من بني آدم. »[2] ونحوه (ساجدين) في

---

(1) ينظر: السابق 454/2.

(2) الزركشي: البرهان في علوم القرآن 192/3.

قوله تعالى:﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾(يوسف: 4)[1].

ب- العدول إلى الفعل:

1- العدول إلى فعل بعينه لوظيفة خاصة:

يعدل إلى فعل دون غيره نحو: (أَصَّدَّق) بدل الأصل (أتصَدَّق) أو غيرها في قوله تعالى:﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (المنافقون: 10) لتحقيق الوظيفتين التواصليتين[2]:

1- الدلالة على المبالغة والتكثير من الصدقة؛ فالفعل (أَصَّدَّق) فيه تضعيفان، والفعل (أتصَدَّق) فيه تضعيف واحد، وكثيرا ما يدل التضعيف على المبالغة.

2- الدلالة على قصر المدة، وذلك لأنه طلب التأخير إلى الأجل القريب؛ فالفعل (أَصَّدَّق) أقل طولا في بنية حروفه من الفعل (أتصَدَّق) مما يناسب المقصد العام للآية وهو التعجيل بالإكثار من الإنفاق قبل أن يأتي الموت فجأة.

2- العدول إلى الفعل بحسب زمنه:

للعدول عن الزمن المقيس في الفعل إلى زمن آخر وظائف تواصلية خاصة؛ ففي العدول إلى التعبير بالماضي نقصد إلى تحقّق الفعل وتأكيد وقوعه، وفي العدول إلى التعبير بالمضارع نقصد إلى استحضار الصورة وتمثّلها كالمشاهَد عيانا، فيكون ذلك أقوى أثراً وأشدّ تعلّقا بالنفس.

2-1 العدول إلى زمن بعينه:

من أمثلة العدول إلى الفعل في زمن بعينه العدول إلى الفعل الماضي (أخَّرتني)

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن 154/2؛ وينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص102.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص192.

بعد لولا بدل الفعل المضارع (تؤخّرني) في قوله عزّ وجل:﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (المنافقون: 10) والأصل في الفعل بعد (لولا) أن يكون مضارعا، ولكن جاء بالفعل الماضي بعد (لولا) ليؤكّد انتهاء الوقت وحلول الموت « ذلك أنّ المحذور وقع في حين أنّ الفعل المضارع قد يفيد أنّ الأمر لم يقع بعد، وأنّ في الأمر سعة.»[1] كما يفيد العدول إلى الماضي بعد لولا شدة الإلحاح في الطلب وقوّته[2].

2-2 العدول عن التكلّم إلى الغياب:

من نماذج العدول عن التكلّم إلى الغياب:

- قوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الأعراف: 11)

فقد عدل عن التكلم في (خلقناكم) و(صوّرناكم) إلى الغياب في (قلنا)؛ أي قال الله تعالى للملائكة وإبليس، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: قلنا لكم، ولا يذكر الملائكة تتِمةً للخطاب الموجّه ودلالة السياق على الحضور، ولكن وقع العدول بالالتفات إلى الغياب لغرض تواصلي مفاده «تحويل مقام الكلام، إذ كان المقام مقام أمر للملائكة ومن في زمرتهم فصار مقام توبيخ لإبليس خاصّة. »[3]

---

(1) السابق، ص187؛ وينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير28/253.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص187.

(3) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير8/39.

- قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ ﴾(الكوثر: 1، 2)

في الانتقال من التكلّم إلى الغيبة في قوله(فَصَلِّ لِرَبِّكَ) ومقتضى السياق أن يقول:(فصلِّ لنا) قاصدا ذكر الرب سبحانه وتعالى ليقرن فعل الصلاة بالأحق بها ويؤكد عظمتها، وفي هذا تحريض على القيام بالصلاة والمحافظة عليها. « ذلك أنّه لا تكون الصلاة لكلّ من أعطى لذا لم يعلقها بالعطاء، وإنما جعلها لمستحقّها فذكر اسم الربّ وهو المستحقّ لها.»(1)

- قال تعالى:﴿ حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦﴾ (الدخان:1-6)

جرى الأسلوب على طريقة التكلّم ثم انتقل إلى طريق الغيبة فقال: (رحمة من ربّك). وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول: رحمة منّا، وعدل عن ذلك بذكر الرب لوظيفة مخاطبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- مقترنا باسمه سبحانه وتعالى، ثم إنه لو قال (رحمة منا) لم يكن هناك سبيل إلى ذكره -صلى الله عليه وسلم-. وفي هذا إشارة إلى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- عبد الله ورسوله، وهو المنزّل عليه الكتاب، « ثم إنه لما قال: رحمة، ناسبها ذكر الرب لأنه يشير إلى معنى التربية والرّفق والعناية.»(2)

- قال تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا

(1) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص139.

(2) محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، ص252.

بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾(هود: 53، 54)؛ كان مقتضى الظاهر أن يقول: وأُشهدكم، ولكن عدل عن ذلك لغرض أراد توصيله لهم وللمتلقي؛ فقد حقق بهذا العدول تحقيرا لشهادتهم، وتنبيهَ الناس على بطلان عبادتهم وشهادتهم، قال الزمخشري:« فإن قلت: هلا قيل: إني أشهد الله وأشهدكم؟ قلت: لأنّ إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشدّ معاقده، وأمّا إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأوّل لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة، كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه. اشهد عليّ أنّي لا أحبّك، تهكّما به واستهانة بحاله.»[1] فالمخالفة تفيد الفرق بين نوعين من الشهادة، شهادة الله المقدسة وشهادتهم غير المعتدّ بها.

- قال تعالى:﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ﴾ (الأعراف: 158) تم العدول في هذه الآية عن الخطاب بقوله -صلى الله عليه وسلم- للناس أنه صاحب رسالة من الله وظيفته التبليغ ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ ﴾ إلى الغيبة المعبّر عنها بالاسم الظاهر عند دعوتهم إلى الإيمان بالله أولا ثم به، وأنه أمّيّ لا يمكن أن ينتج مثل هذا الوحي﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ﴾، وكان مقتضى الظاهر قوله: فآمنوا بالله وبي.

(1) الكشاف 209/3.

ولهـــذا العدول وظيفتـــان حدّدهما الزركشي بقوله:« وله فائدتان: إحداهما: دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها، والثاني: تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتــصف به من الصفات المذكورة، من النبوة والأمية، التي هي أكبر دليل على صدقه، وأنه لا يستحق الاتباع لذاته، بل لهذه الخصائص.» (1)

2-3 العدول عن الغياب إلى التكلّم:

من أمثلة العدول عن الغياب إلى التكلم لوظيفة تواصلية ما ورد في قوله عــزّ وجلّ:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩ ﴾ (فاطر: 9). حيث أسند فعل إرســال الرياح لتثير السحاب إلى ضمير الغيبة، ثم عدل عن ذلك إلى ضمير التكلّم عنــد إسناد فعليْ السوق والإحياء، وهما من الدلائل الباهرة على قدرة الله. وذلك لتحقيق الوظيفتين التواصليتين:

1- إحداث الإيقاظ ولفت الانتباه عند هذا الجزء المهم من المعنى المراد تأكيده.

2- التأكيد على أنّ سوق السّحاب إلى الأرض الميّتة لإحيائها من قسمة الأرزاق الذي هو من اختصاص ذي الجلالة سبحانه، وهو الذي « يسوق الــسحاب بذاتــه العلية، ويقسّمه رحمة ورزقا بيديه، ولا يدع ذلك لأحد من خلقه.»(2) بخلاف إثارة السحاب فتقوم بها الرياح؛ فلتغيير المعنى بإسناد الأفعال لفاعليها المباشرين لــزم تغيير المبنى؛ والبنية تابعة للوظيفة.

2 -4 العدول عن الخطاب إلى الغيبة:

يعدل عن الخطاب إلى الغيبة كما في الآية:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ

---

(1) البرهان في علوم القرآن 199/3.

(2) محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، ص256؛ وينظر: الزمخشري: الكشاف 143/5؛ وينظــر: الزركــشي: البرهان في علوم القرآن 206/3.

وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (يونس: 22)، والفائدة التي تحقّقت بالعدول عن الخطاب (كُنتُمْ) إلى الغيبة (وَجَرَيْنَ بِهِم)، هي إظهار الاستغراب من إصرارهم على الكفر رغم الدلائل البيّنة على ضلالهم. وحكاية شناعة فعلهم لغيرهم، وما حل بهم جراء ذلك من عذاب للاعتبار. يقول الزّركشي:« فقد التفت عن (كُنتُمْ) إلى (وَجَرَيْنَ بِهِم)، وفائدة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم، لتعجّبه من فعلهم وكفرهم، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة.»[1]

2-5 العدول عن التّكلّم إلى الخطاب:

مما وقع فيه العدول عن التّكلّم إلى الخطاب العدول عن (أَرجِعُ) إلى (تُرجَعون) في قوله تعالى:﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾(يس: 22) وكان المناسب للسياق أن يقول: وإليه أرجِعُ. ولكنّه عدل عن ذلك لتقرير شدة تحذيرهم وتنبيههم إلى أنهم صائرون إلى الله ومواجهون من كفروا به « كأنّه يقول لهم: كيف لا تتقون من يؤول أمركم إليه وتسألون بين يديه؟ »[2]

3- العدول إلى الفعل بحسب العدد:

3-1 العدول إلى المفرد:

من أمثلة العدول إلى المفرد العدول عن (فطركم) إلى (فطرني) في قوله تعالى:

(1) البرهان في علوم القرآن 199/3.

(2) محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، ص251.

﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾(يس: 22) ليبيّن لمن نصحهم بالعبادة أنه هو مثلهم عبْد مطالب بأداء واجب العبادة لخالقه وخالقهم، فهو ينصح نفسه أولا تهيئة لقبولهم نصيحته[1].

2-3 العدول إلى المثنى:

يكثر في كلام العرب إطلاق المثنى على غير المثنى ومن ذلك قول امرئ القيس[2]:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ   بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

يُحتمل في إطلاق المثنّى على المفرد في هذا البيت أن يكون القصد منه التخفيف لأمن اللّبس.

3-3 العدول إلى الجمع:

يُعدل عن المثنّى إلى الجمع لتحقيق مطلب الخفة وتجنب الثقل المنقِص من فعالية التواصل في الخطاب ومنه العدول عن (تسوَّرَا) إلى (تسوّروا) في قوله تعالى:﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ (ص: 21) ومثله قوله تعالى:﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ أي قلباكما [3].

4- العدول إلى الفعل المحذوف من حروفه:

قد يحذف من حروف الفعل مخالفة للأصل لتأدية وظيفة التقليل من الحدث أو التقصير من زمنه مقارنة مع أصله؛ أي أنه يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث أو زمنه، أو يحذف منه لمناسبة مقام الإيجاز والاختصار[4]. ومن نماذج ذلك:

---

(1) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن 205/3.

(2) الشنقيطي: المعلقات العشر وأخبار قائليها، ص50.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير231/23.

(4) ينظر: فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص11.

* قال تعالى:﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾(القدر: 4).

وقال:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾(فصلت: 30).

فقال في آية القدر (تنزّل) بحذف إحدى التاءين وقال في (فصلت): (تتنزل) من دون حذف وذلك والله أعلم أنّ التنزل في آية (فصلت) أكثر مما في الآية الأخرى ذلك أنّ المقصود بها: إن الملائكة تنزل على المؤمنين عند الموت لتبشّرهم بالجنة(1). وهذا يحدث على مدار السنة؛ ففي كل لحظة يموت مؤمن مستقيم فتتنزل لتبشره بالجنة، فأعطى الفعل كل صيغته ولم يحذف منه شيئا. وأما آية القدر فإنّ التنزُّل فيها أقل؛ فتَنَزُّل الملائكة إنما هو في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر فهو أقل من التنزُّل الذي يحدث باستمرار على كل مؤمن يحضره الموت. فاقتطع من الحدث، فقال: (تنزل) بحذف إحدى التاءين (2) .

* قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (الأنفال: 20)

وقال:﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (هود: 52)

حذف أحد التاءين في آية الأنفال(ولا تَولَّوا) ولم يحذف في آية هود (ولا تَتولَّوا) وذلك لأن الأولى خطاب للمؤمنين:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) والثانية خطاب

(1) ينظر: محمد سليمان عبد الله الأشقر: زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني، ص633.

(2) ينظر: فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص13.

للكافرين وهم قوم هود. وتولّي المؤمنين أقل من تولِّي الكافرين[1] .

* قـــال تعـــالى:﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (هـود: 24) حذف من الفعل للدلالة على أن معرفة الفرق بينهما لا يحتاج إلى طول تذكُّر[2].

ج- العدول إلى الصّفة:

يرى علماء اللغة أنّ العرب عندما يستخدمون في كلامهم صيغة مكان صـــيغة أخرى إنما يقصدون بذلك غرضا أو وظيفة معينة. قال جرير[3] (الطويل):

لقد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ فى السُّرَى ونمْتِ وما لَيْلُ الْمَطِيِّ بنائمِ.

والليل يُنام فيه ولا يَنام. وتقول العرب: هذا ليل نائم وســـر كـــاتم ومـــاء دافـــق، فيجعلونه اسم فاعل وهو اسم مفعول في الأصل، وذلك لأنهم يريدون بـــه وجـــه المدح أو الذّم [4].

1- العدول إلى اسم الفاعل:

تعدل العرب إلى اسم الفاعل كثيرا لوظائف تواصلية، ومن أمثلة ذلك:

- العدول إلى صيغة (راضية) بدل (مرضية) في قوله تعـــالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾(القارعـة: 7) لغرض مدح العِيشة؛ أي فيها الرضاء. ويرضى بها الذي يعيش فيها؛ أي مرضية. والعرب تفعل ذلك إذا كان من السبب في شيء. كما تفعله للمبالغة في شدة الاتصاف. قال ابن عـــاشور:« والعيشة ليست راضية

---

(1) ينظر: السابق، ص17.

(2) ينظر: نفسه، ص20.

(3) جرير: **ديوان جرير** ، تقديم: كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، 1406هـ/1986، ص454.

(4) ينظر: ابن جني: الخصائص 152/1، 153؛ وينظر: عيسى شحاتة عيسى علي: **العربية والـنص القرآنـي**، دراسـة للقضايا اللغوية في كتب إعراب القرآن ومعانيه في أوائل القرن الثالث الهجري، دار قباء، القاهرة، 2001، ص209.

ولكنها لحسنها رضي صاحبها، فوصفها بـ(راضية) من إسناد الوصف إلى غير ما هو لـه، وهو من المبالغة لأنه يدل على شدّة الرضى بسببها حتى سرى إليها.» [1]

– العدول إلى صيغة (سارقين) بدل (نسرق) في قوله تعالى:﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (يوسف: 73) حيث عدل إلى صيغة اسم الفاعل بدل صيغة الفعل التي تدل على حدوث الفعل وتجدده نحو: وما كنا لنسرق. للدلالة على عدم انتسابهم إلى هذه الصفة ومنافاتها لحالهم، وبُعدهم عنها [2].

– العدول إلى صيغة (خائنة) بدل (خيانة) في قوله تعالى:﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ (غافر: 19) هذا مما شاع عند العرب من وضع اسم الفاعل موضع المصدر؛ مثل: العافية للمعافاة، والعاقبة، والكاذبة في قوله تعالى:﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ ﴾(الواقعة: 2)[3] فالخائنة اسم فاعل عُدل إليه للدلالة على الحدث واتصاف صاحبه به [4] .

– العدول إلى صيغة اسم الفاعل (مبصِر) بدل اسم المفعول (مبصَر فيه) في قوله عز وجل:﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (يونس: 67)

---

(1) تفسير التحرير والتنوير 133/29.

(2) ينظر: الزمخشري: الكشاف 308/3.

(3) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 116/24؛ وينظر: عيسى شحاتة عيسى علي: العربية والنص القرآني، ص204.

(4) ينظر: الفصل الأول من هذا البحث، ص44.

وضع النهار موضع الفاعل والمعنى أنه مفعول لأنه ظرف يُعمل فيه، ووصف بالإبصار كأنه عاقل لأداء وظيفة مبالغة حصول الإبصار فيه، ولتميّزه عن الليل بالنور المبين. يقول الشيخ ابن عاشور:« ومن لطائف المناسبة أن النور الذي هو كيفية زمن النهار شيء وجودي فكان زمانه حقيقيا بأن يوصف بأوصاف العقلاء، بخلاف الليل فإن ظلمته عدمية فاقتصر في العبرة به على ذكر الفائدة الحاصلة فيه وهي أن يسكنوا فيه.» [(1)]

– العدول إلى صيغة (لاغية) بدل (لغو) في قوله تعالى:﴿ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝ ﴾(الغاشية: 11) فاللاّغية هنا بمعنى اللّغو مثل الكاذبة للكذب؛ أي لا يسمع فيها لغو. واللاّغي صاحبها [(2)].

وقد تحقق بهذا العدول الدلالة على عدم سماع اللغو (الحدث) وانعدام اللاّغين (الاتصاف به). ومثله قولنا: فارس لصاحب الفرس. ودارِع لصاحب الدرع. وشاعر لصاحب الشعر.

قال الشاعر[(3)] (الرجز):

أغَررْتَني وزعمْتَ أنّك لابِن بالصيف تامِرُ

أي صاحب لبن وصاحب تمر[(4)]. وهو عدول للمبالغة وشدّة الاتصاف.

– العدول إلى صيغة (الكاظمين) و(العافين) بدل (يكظمون) و(يعفون) في قوله تعالى:

---

(1) تفسير التحرير والتنوير 227/11.

(2) ينظر: نفسه 299/30.

(3) الحطيئة: **ديوان الحطيئة**، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ/2005م، ص76.

(4) ينظر: عيسى شحاتة عيسى علي: العربية والنص القرآني، ص207.

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾(آل عمران:133،134)

عبّر عن المتّصفين بالإنفاق بصيغة المضارع، ثم عدل عن ذلك إلى التعبير بصيغة اسم الفاعل في وصف من كظم الغيظ وعفا عن الناس لأجل تأدية الوظيفتين التواصليتين:

1- التعبير بالفعل المضارع في الحديث عن الإنفاق يدل على أن المتقين حقا هم الذين يستمرّون في الإنفاق وهو فعل متجدد عندهم، رغم تبدُّل الأحوال.

2- التعبير باسم الفاعل عن كظم الغيظ والعفو عن الناس كونهما لا يصيران صفة في صاحبهما إلاّ مع الثبات عليهما ومصابرة النفس على التمسّك بهما[1].

2- العدول إلى اسم المفعول:

من نماذج العدول إلى اسم المفعول لوظائف تواصلية:

- قال تعالى عن نبيه داود -عليه السلام-:﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٩ ﴾ (ص: 18، 19) حيث عدل عن مقابلة (يسبّحن) بما يناسب السياق وهو قوله (يحشرن) فقال:(محشورة)؛ وبذا يكون قد عدل إلى اسم المفعول. ليبين بالفعل المضارع في (يسبّحن) أنّ التسبيح ينبغي فيه التجدّد والاستمرار دليل ذلك قوله بالعشي والإشراق. والحشر هو اجتماع يدل على عظمة الحاشِر، ويأتي دفعة واحدة وفي زمن واحد. قال الزّمخشري:« وقوله (محشورة) في مقابلة يسبّحن إلاّ أنّه لمّا لم يكن في الحشر ما

(1) ينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص86.

كان في التّسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء، جيء به اسما لا فعلا. وذلك أنّه لو قيل: وسخرنا الطير يحشرن على أنّ الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء، والحاشر هو الله -عزّ وجلّ- لكان خلفا؛ لأنّ حشرها جملة واحدة أدل على القدرة. وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها.» [1] ويدل التعبير بالفعل عن التسبيح والتعبير بالاسم عن الحشر للمغايرة بين فعل العبد وفعل الربّ سبحانه[2].

- قال سبحانه وتعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ (الفاتحة: 7) لمّا ذكر النعمة صرّح بالمنعم وأشار إليه بالخطاب ولما جاء إلى ذكر الغضب لم يفعل[3] ، وعبَّر عن هذه الوظيفة التواصلية بالعدول عن الإتيان بالفعل المقابل لــ(أنعمت) أي (غضبت) وعبّر باسم المفعول (المغضوب) الذي يصاغ من الفعل الذي لا يسمّى فاعله تنزيها لذكره سبحانه وتعالى مع هؤلاء الذين غضب عنهم، أو حتى الإشارة إليه بالخطاب كما في الفعل (أنعمت).

3- العدول إلى الصّفة المشبّهة:

يُعدل إلى الصفة المشبهة لأغراض تواصلية، ومن ذلك:

- قال تعالى:﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣ ﴾ (ق: 23) عدل عن مقتضى السياق وهو مُعَد ومهيّأ ليدل على ما حلّ بقرينه وظنّ ملازمته (دلالة الصّفة المشبّهة) وهو منه حذِر وسيناله ويَحِيق به. قال ابن عاشور:« وقول القرين

---

(1) الكشاف 250/5.

(2) ينظر: عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص175.

(3) ينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص43.

(هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ) مستعمل في التلهّف والتحسّر والإشقاق، لأنّه لمّا رأى ما به العذاب علم أنه قد هيّئ له، أو لمّا رأى ما قدم إليه قرينه علم أنه لاحِق على أثره.» [1]

– ومنه: الشيطان الرّجيم. والأَصلُ الشيطان المرجوم، مثلها كفٌّ خضيب والأصل مخضوبة، ولحيةٌ دهين والأصل مدهونة، ورجُل جريح وصريع. عدل عن استعمال الأصل إلى الصفة المشبّهة؛ أي عدل عن (مفعول) إلى (فعيل)؛ لتحقيق ما تدلّ عليه الصّفة المشبّهة من ثبوت، وشدّة اتّصاف أو كماله. فالوصْف بفعيل أبلغ من مفعول لأنّه يدلّ على الثبوت أو قريباً من الثبوت فكحيل أبلغ من مكحول، وحميد أبلغ من محمود، قال الكفوي:« الحميد فعيل من الحمد بمعنى محمود وأبلغ منه، وهو مَنْ حصل له من صفات الحمد أكملها.»[2]

4- العدول إلى صيغ المبالغة:

من نماذج العدول إلى صيغ المبالغة:

– العدول إلى (شهيد) بدل (شاهد) في الآية:

﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ (القصص: 75). وذلك للدلالة على المبالغة في حصول الإشهاد وتحقق الشهادة، ومثله عليم في موضع عالم.

– العدول إلى (تبيع) بدل (تابع) في الآية:

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (الإسراء: 69) واستعمل بهذه الصيغة للدلالة على المبالغة في التابع « أي المتتبع غيره المطالب لاقتضاء شيء منه. أي لا تجدوا من يسعى إليه ولا من يطالب لكم بثأر.» [3]

---

(1) تفسير التحرير والتنوير 311/26.

(2) الكليات، ص365.

(3) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 163/15.

- العدول إلى (أليم) بدل (مؤلم) في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ (يونس: 97) أي المؤلم. وعدل عنه للتعبير عن شدة قوة الألم في هذا العذاب. والعرب تضع كثيرا (فَعِيل) في موضع (مُفْعِل) ومثال ذلك: بصير وحكيم؛ أي مبصِر ومحكِم.

- العدول إلى (عُجاب) بدل(عجيب) في قوله تعالى:﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص: 5)أي عجيب، وجاءت على وزن فُعَال للدّلالة على تمكّن الوصف، نحو طُوال للمفرط في الطول، وكُرام لكثير الكرم [1] .

- العدول إلى (كُبّار) في قوله تعالى:﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرًا كُبَّارًا ﴾ (نوح: 22)

قال عيسى بن عمر: كلمة (كُبَّاراً) هي لغةٌ يمانيةٌ صيغتها قليلة للمبالغة [2].

قال أبو بكر: وهو جمعُ "كبير"، كأنه جعل "مَكْراً" مكانَ "ذنوب" فلذلك وصفَه بالجمع [3].

5- العدول إلى اسم التفضيل:

مما وقع فيه العدول إلى اسم التفضيل العدول إلى صيغة (أهون) بدل (هيِّن) في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (الروم:27)

---

(1) ينظر: نفسه 210/23؛ وينظر: السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 357/9.

(2) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 207/29.

(3) ينظر: السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 473/10، 474.

وأهون بمعنى هيّن عليه وجاءت على صيغة التفضيل لغرض إظهار قوة الفعـــل، كما في قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ ﴾ (يوســف: 33) (1). صـــيغة التفضيل (أَحَبُّ) دلت على شدة نكرانه لما وقع له وتفضيله السجن على ذلك.

والعرب تحمل أفعل على فاعل، نحو: وضع الأحوص الأنصاري (أميل) موضـــع (مائل) في قوله (2) (الكامل):

أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وإنَّنِي قَسَماً إليكَ مع الصُّدودِ لأمْيَلُ.

(1) ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير 83/21.

(2) الأحوص الأنصاري: **شعر الأحوص الأنصاري**، جمعه وحققه: عادل سليمان جمال، وقدم له شوقي ضيف، مكتبة الغانجي بالقاهرة، ط2، 1990/1411، ص209.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة التي لقيت فيها مشقة ومتعة؛ كانت المشقة بسببٍ من قلّة زادي العلمي وضعف إرادتي، وكانت المتعة بما حققه الله لي من توفيق في الاطلاع على ما لا يستهان به من كنوز اللغة العربية، وأفكار أساطينها من العلماء العاملين المحبّين لها، العارفين بأسرارها ودقائقها وصلت إلى هذا المنجز المتواضع الذي يكشف شيئا من هذه الأسرار مبتدئا بتناول بعض ما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة حول مفهوم البنية والوظيفة، وتبعية الأولى للثانية، وهذا ما قال به علماؤنا منذ زمن بعيد، وأثبتوه بشواهد من الفصيح المحتجّ به نُثرت في كتبهم، وقد نقلت شيئا منها في ثنايا هذا البحث مدللا على ما رأوا من أنّ للوظيفة التواصلية الأثرَ البالغ في تحديد البنية ــ مقتصرا على البنية(الصّيغة) الصرفيةــ ثم تطرقت لمظهرين يعدَّان ميدانا تطبيقيا لإبراز هذه التبعية وهذا الأثر وهما: الاختيار والعدول؛ متعرّضا لمفهومهما وأسسهما، وأثر وظيفة التواصل في انتقاء المتكلم العربي لصيغة صرفية بعينها لأداء غرض بعينه في مقام بعينه؛ أو عدوله إلى صيغة بعينها لأداء غرض بعينه في مقام بعينه كذلك، منتهيا بعرض نماذج من الصيغ الصرفية العربية تثبت حقيقة تحكّم الوظيفة التواصلية في توجيه هذا الاختيار أو هذا العدول.

وكان لجهدي هذا ثمار جنية؛ منها الترسيخ لمعلومات سابقة، ومنها البرهنة على فرضيات وشكوك والبتّ فيها، ومنها الاِطّلاع على أفكار وطُرَف جديدة متعلقة بالنحو العربي أو باللسانيات الحديثة وبخاصة التيار الوظيفي، ومنها اكتشاف أسرار وتصحيح مفاهيم قديمة وحديثة؛ وهذه نتائج عامة لهذا البحث يضاف إليها ما يأتي:

ــ تحتوي المكتبة العربية على مادة علمية معتبرة أفكارٍ ونظرياتٍ منثورة غير مجتمعة ولا منظمة، وكثير منها لم يُكتشف كنهه لذا يُطلب منا جهد البعث والإحياء.

ـ اهتمامُ علماء العربية القدامى بالوظيفة التواصلية، وبقصدية المتكلِّم العربي أثناء إنتاج الكلام وتوجيهِهِ كان ملموسا في استنتاجاتهم وفي قواعدهم وشواهدها.

ـ لا يمكن دراسة اللغة من غير الرجوع إلى ما وصل إليه علماؤنا القدامى لقربهم من المتكلم الأول بها، ولفهمهم أكثر لمقصده، ولبعدهم عما قد تلقي بظلالها عليه سنة التطور اللغوي.

ـ مبادئ الاتجاه الوظيفي وبخاصة مبادئ النحو الوظيفي تساور بشكل أو بآخر، ومن قريب أو من بعيد مبادئ النحو العربي ومنطلقاته.

أما النتائج الخاصة فنوجزها فيما يأتي:

ـ للتيار الوظيفي منطلقاته ومبادئه الخاصة به التي تميّزه عن التيار الشكلي ولهذه المبادئ تطبيقات واسعة في التراث العربي مع ما له من خصوصيات.

ـ مما تتميّز به الصّيغ الصرفية العربية الثراء والعموم؛ فهي تغطي كلَّ المجالات؛ الكونَ والفلكَ والغيبيات.

ـ من خصائص الصّيغ الصرفية العربية سعة المعاني ومرونة الاستعمال، وتعدّد الاشتقاق، وتنوّع المشتقات، مع الدّقة والقصدية.

ـ كان تصنيف الصيغ الصرفية العربية وتقسيمها انطلاقا من وظيفتها التواصلية إلى جانب شكلها البنيوي.

ـ وضوح الفنية في استعمال الصيغ الصرفية العربية مع القصدية من غير تلاعب بالألفاظ أو عفوية إلاّ ما شذّ.

ـ السمة العامة للصّيغ الصرفية العربية وضعها وبناؤها على هدي من استعمالها في واقعها الخاص والظروف المحيطة به إضافة إلى سياقها اللغوي.

ـ الاختيار والعدول وسيلتان فنيتان كثيرا ما يقصدهما المتكلم العربي للتواصل بغية الإقناع بأفكار أو الدّفاع عنها أو لتبليغ جديد، أو للتعبير عن شعور، كل ذلك بما تتيحه اللغة من خيارات رحبة المجال وفقا لضوابطها وسننها.

هذا ولم يكن لنا في عملنا من فكر يستحق الذكر ولا ما يتصف بالريادة وسبيله النشر، وإذا كان لنا فيه من فضل فلا يعدو أن يكون جمع أشتات، وتصنيف معطيات، وترتيب أفكار ونقل قناعات، وببحثنا هذا لا نود أن نبدي عجزا لأساطين لغة العرب، ولا انبهارا بما وصل إليه رواد الغرب، ولا تهجينا لتراث خالد له خصوصياته الابستيمولوجية والمنهجية وانتماؤه الحضاري، بل نريد به بعثا وإحياء، وبه نقرّ ونقدر.

وفي الأخير أرجو أن تكون معرفة خطئي مرشدا لصوابي، وأن تكون عثراتي وسيلة لنهوضي، وأن ألقى المباركة والتشجيع لأواصل المشاريع، وأحقق ما ينفع أمتي، ويخدم لغتي، ويرضي أساتذتي.

نسأل الله الكريم المنّان ألا يحرمني من أجر حسن القصد بهذا العمل، وأن يوفقني للأحسن في مثله مما بقي، وأن يبلغني في الأخرى بالحسنى وزيادة .

مصادر البحث ومراجعه:

أولا : القرآن الكريم ، برواية حفص، مصحف إلكتروني، بالرسم العثماني الموافق مصحف المدينة النبوية من حيث الرسم وعلامات الوقوف، إنتاج موقع روح الإسلام.

ثانيا : المصادر و المراجع :

أ/ **الكتب العربية:**

1- الآلوسي(السيد محمود شكري): **الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر**، شرح: محمد بهجة الأثري البغدادي، المطبعة السلفية بمصر، القاهرة، 1341هـ.

2- إبراهيم مصطفى: **إحياء النحو**، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003.

3- أبو تمام(حبيب بن أوس الطائي): **كتاب الوحشيات(الحماسة الصغرى)**، دار المعارف، مصر، 1987.

4- أحمد محمد عبد الراضي: **استعمال الصيغة العربية بين الوضع والنقل**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

5- الأحوص الأنصاري: **شعر الأحوص الأنصاري**، جمعه وحققه: عادل سليمان جمال، وقدم له شوقي ضيف، مكتبة الغانجي بالقاهرة، ط2، 1990/1411.

6- الأستراباذي(رضي الدين محمد بن الحسن، ت686هـ): **شرح الرضي على الكافية**، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط2، 1996.

7- ابن أبي الإصبع المصري: **بديع القرآن**، تحقيق: حنفي محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، 1957.

8- الأشقر(محمد سليمان عبد الله): **زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني**، دار الفيحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، ط5، 1994.

9- الأعشى(ميمون بن قيس): **ديوان الأعشى الكبير**، طبعة دون معلومات.

10- أمية بن أبي الصَّلت: **ديوان أمية بن أبي الصَّلت**، جمعه وحققه وشرحه: سجيح جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998.

11- الأنباري(كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن أبي الوفاء بن عبيد الله، ت577هـ): **الأضداد**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987.

12- ـــــــــ: **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

13- ـــــــــ: **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وآخريْن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.

14- ـــــــــ: **لمع الأدلــة**، تحقيق: سعيد الأفغاني في (رسالتان لابن الأنباري)، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1971.

15- برجشترايسر: **التطور النحوي للّغة العربيّة**، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط2، 1994.

16- بعيطيش(يحيى): **النحو العربي بين التعصير والتيسير**، (مقال)، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال ندوة تيسير النحو، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 2001.

17- تمام حسان: **الأصول**، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، علم الكتب، القاهرة، 2000.

18- ـــــــــ: **البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993.

19- ـــــــــ: **اللغة العربية معناها ومبناها**، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998.

20- ـــــــــ: **مناهج البحث في اللغة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.

21- توامة(عبد الجبار): **المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي**، (مقال)، ضمن: أعمال ندوة تيسير النحو، تنظيم المجلس الأعلى للغة العربية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 2001.

22- الثعالبي(أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت429هـ): **كتاب فقه اللغة وأسرار العربية**، ضبطه وعلق حواشيه وقدّم له ووضع فهارسه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 2000.

23- الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر، ت255هـ): **البيان والتبيين**، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1999.

24- ـــــــــ: **كتاب الحيوان**، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965.

25- الجرجاني (عبد القاهر، ت 471 هـ): **أسرار البلاغة في علم البيان**، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت).

26- ـــــــــ : **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، شكله وشرح غامضه وخرج شواهده ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2000.

27- الجرجاني(علي بن محمد السيد الشريف، ت816هـ): **معجم التعريفات**، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2004.

28- جرير(جرير بن عطية الخطفي): **ديوان جرير**، تقديم: كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، 1406هـ/1986.

29- ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت 392 هـ): **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، مصر، 2000.

30- ـــــــــ: **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرِين، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1994.

31- جيفري سامبسون: **المدارس اللغوية، التطور والصراع**، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

32- الحاج صالح (عبد الرحمن): **السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.
33- ـــــــــ: **المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر**، ضمن: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية، الرباط، أفريل، 1987.
34 - حساني (أحمد): **مباحث في اللسانيات**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
35- حسن خميس الملخ: **التفكير العلمي في النحو العربي**، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2002.
36- حسن طبل: **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**، دار الكتب القاهرة، 1990.
37- الحطيئة (جرول): **ديوان الحطيئة**، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ/2005م.
38- الحملاوي(أحمد بن محمد بن أحمد): **شذا العرف في فن الصرف**، دار الفكر، بيروت، 2003.
39- الحناش(محمد): **البنيوية في اللسانيات**،دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1980/1401.
40- دبة (طيب): **مبادئ اللسانيات البنوية**، دار القصبة، الجزائر، 2001.
41- دك الباب (جعفر): **الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني**، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، ط1، 1980.
42- ـــــــــ: **النظرية اللغوية العربية الحديثة**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1996.
43- دلاش (الجيلالي): **مدخل إلى اللسانيات التداولية**، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

44- دي بوجراند(روبرت): **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة:تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998/1418.
45- دي سوسير(فردينان): **علم اللغة العام**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، 1985.
46- راضي(عبد الحكيم): **نظرية اللغة في النقد العربي**، مكتبة الخانجي بمصر، 1980.
47- الرماني(أبو الحسن علي بن عيسى، ت386هـ): **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، 1976.
48- روبنز(روبرت هنري): **موجز تاريخ علم اللغة**(في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1997.
49- الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله، ت794هـ): **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2005.
50- الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، ت 538هـ): **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998.
51- زهير بن أبي سلمى: **ديوان زهير بن أبي سلمى**، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005.
52- الساقي(فاضل مصطفى): **أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة**، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1977.
53- السامرائي(فاضل صالح): **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، دار عمّار، عمان، الأردن، (دت).

54- ــــــــــــــــ: **التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، الأردن، ط4، 2006.

55- ــــــــــــــــ: **الجملة العربية والمعنى**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

56- ــــــــــــــــ: **الجملة العربية**، تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2002.

57- ــــــــــــــــ: **من أسرار البيان القرآني**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2009.

58- ــــــــــــــــ: **معاني الأبنية في العربية**، دار عمّار، عمان، الأردن، ط2، 2007.

59- ــــــــــــــــ: **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، دار عمّار، عمان، الأردن، (د ت).

60- السعدي (عبد الرحمن بن ناصر): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنّان**، تحقيق ومقابلة: عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

61- السكاكي (أبو يعقوب يوسف): **مفتاح العلوم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

62- السمين الحلبي(أحمد بن يوسف، ت 756هـ): **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د ت).

63- سيبويه(أبو بشر عمرو بن عثمان، ت 180 هـ): **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.

64- السيرافي(أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، ت 368هـ): **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008 .

65- السيوطي(أبو الفضل عبد الرحمن ابن الكمال أبو بكر جلال الدين، ت 911هـ): **الأشباه والنظائر في النحو**، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986.

66- ـــــــــــ: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2004.

67- ـــــــــــ: **همع الهوامع بشرح جمع الجوامع في العربية**، تصحيح: بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ت).

68- الشاوش(محمد) وآخرون: **سو سير والألسنية**، ضمن: **أهم المدارس اللسانية**، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990.

69- الشنقيطي (أحمد بن الأمين): **المعلّقات العشر وأخبار قائليها**، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط3، 1993.

70- صابر الحباشة: **التداولية والحجاج**، صفحات، دمشق، سوريا، 2008.

71- صاحب أبو جناح: **دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1419/ 1998.

72- صلاح فضل: **علم الأسلوب** "مبادئه وإجراءاته"، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

73- الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الأعلام، عمان، الأردن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

74- ابن عاشور(محمد الطاهر): **تفسير التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د ت).

75- عبد الصبور شاهين: **المنهج الصوتي للبنية العربية**، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980.

76- عبد القادر حسين: **أثر النحاة في البحث البلاغي**، دار غريب، القاهرة، مصر، 1998.

77- عبد الله صولة: **الحجاج في القرآن** من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

78- عبده الراجحي: **النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية**، ضمن: تمام حسان رائدا لغويا، (كتاب تذكاري)، إعداد وإشراف: عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2002/1423.

79- العسكري (أبو هلال): **كتاب الصناعتين**، الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، مصر، ط1، 1320هـ.

80- ابن عصفور الإشبيلي(أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي، ت669هـ): **ضرائر الشعر**، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، ط1، 1980.

81- ابن عطية(القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت546هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

82- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، ت 769هـ): **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق : هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 4، 1999.

83- العكبري (محب الدين عبد الله بن الحسين، ت 616 هـ): **شرح ديوان المتنبي**، ضبط: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1997.

84- عمر ابن أبي ربيعة(أبو الخطاب عمر بن عبد الله): **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: فائز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1416هـ/1996م

85- عياد (شكري): **اللغة والإبداع**، مبادئ علم الأسلوب العربي، أنترناشيونال بيرس، 1988.

86- عيسى شحاتة عيسى علي: **العربية والنص القرآني**، دراسة للقضايا اللغوية في كتب إعراب القرآن ومعانيه في أوائل القرن الثالث الهجري، دار قباء، القاهرة، 2001.

87- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا، ت 395هـ): **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979.

88- فاطمة الطبال بركة: **النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

89- الفرزدق(همام بن غالب): **ديوان الفرزدق**، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987.

90- الفيروز آبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب، ت 817هـ): **القاموس المحيط**، تقديم وتعليق: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

91- ابن قتيبة(أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت276هـ): **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، (د ت).

92- القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت 671 هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 2004.

93- ابن القيم(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ت751هـ): **التفسير القيم**، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت).

94- الكفوي(أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، ت1094هـ): **الكليات"معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"** تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط2، 1998.

95- ابن مالك(جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك، ت672هـ): **ألفية ابن مالك في النحو والصرف**، إعداد دار ابن خزيمة، السعودية، ط1، 1414هـ.

96- ــــــــــ: **شرح الكافية الشافية**، تحقيق: أحمد عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، المملكة العربية السعودية، ط1، 1982.

97- ــــــــــ: **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**، تحقيق: طه محسن، مكتبة ابن تيمية، ط2، 1413.

98- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد، ت285هـ): **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط3، 1994.

99- المتنبي (أبوالطيب): **ديوان أبي الطيب المتنبي**، علق حواشيه وفسر كلماته اللغوية: سليم إبراهيم صادر، المطبعة العلمية ليوسف إبراهيم صادر، بيروت، 1900.

100- المتوكّل(أحمد): **آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي**، كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط1، 1993.

101- ــــــــــ: **دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ت).

102- ــــــــــ: **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية**، البنية التحتية، أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، المغرب، 1995.

103- ــــــــــ: **اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري**، منشورات عكاظ، 1989.

104- ــــــــــ: **الوظائف التداولية في اللغة العربية**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.

105- ــــــــــ: **الوظيفة والبنية**، منشورات عكاظ، الرباط، 1993 .

106- مجدوب (عز الدين): **المنوال النحوي العربي،قراءة لسانية جديدة**، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998.

107- مجنون ليلى(قيس بن المُلوح): **ديوان قيس بن المُلوح مجنون ليلى** رواية أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق: يسرى عبد الغني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ /1999م.

108- محمد محمد أبو موسى: **خصائص التراكيب**، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 2006.

109- محمود عكاشة: **التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة**، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 2005.

110- ــــــــــــــ: **الحمل على اللفظ والمعنى في القرآن الكريم** في ضوء القياس على المشهور والنادر، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2009.

111- المخزومي(مهدي): **في النحو العربي، نقد وتوجيه**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986/1406.

112- المسدي (عبد السلام): **الأسلوبية والأسلوب**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط5، 2006.

113- ــــــــــــــ: **اللسانيات وأسسها المعرفية**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986.

114- ابن المعتز(عبد الله بن محمد المعتز بالله): **ديوان أشعار الأمير أبي العباس**، دراسة وتحقيق: محمد بديع شريف، دار المعارف، القاهرة، 1987.

115- مقبول علي بشير النعمة: **الاتساع في المعنى**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.

116- ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، ت711 هـ): **لسان العرب** ، تحقيق: علي الكبير وآخريْن، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

117- مهيبل (عمر): **البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

118- المهيري(عبد القادر): **اللسانيات الوظيفية**، ضمن: **أهم المدارس اللسانية**، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990.

119- ميشال زكريا: **الألسنية**، قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط2، 1985.

120- نحلة(محمود أحمد): **لغة القرآن في جزء عمّ**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

121- ـــــــــــــ: **نظام الجملة في شعر المعلّقات**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991.

122- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، 761هـ): **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، ضبطه وحققه محمد محمد تامر، وآخران، الزهراء للإعلام العربي، 2004.

123- ـــــــــــــ: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2004.

124- هنداوي (عبد الحميد): **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم**، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2002.

125- ابن وهب الكاتب: **البرهان في وجوه البيان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1980.

126- ياقوت (محمود سليمان): **فقه اللغة وعلم اللغة**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.

127- ابن يعيش(موفّق الدين بن علي بن يعيش النحوي، ت643هـ): **شرح المفصل للزمخشري**، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د ت).

ب/ الكتب الأجنبية :

128- Dik (Simon): **Functional grammar**, North Holland, Amsterdam, 1978.

129 - jakobson (Roman)**: Essais de linguistique general,** Paris**,** minuit**,** 1973.

130-Martinet(andret): **Eléments de linguistiquegénérale**, Paris, armand Colin, 1970.

131- Martinet(andret): **La linguistique synchronique,** P.U.F, Paris, 1970.

ج/ الأطروحات و الرسائل الجامعية :

132- سعدي الزبير: **العلاقات التركيبية في القرآن الكريم،** دراسة وظيفية، (مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، 1989.

133- الطاهر شارف: **المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور** "سورة البقرة نموذجا"، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006/2005.

134- كمال قادري: **ظاهرة التطابق النحوي في اللغة العربية من خلال القرآن الكريم،** (مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، 2001.

135- هلال علي محمود الجحيشي: **العدول الصرفي في القرآن الكريم** - دراسة دلالية - أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005.

د/ المجـــلات:

136- أحمد (يحيى): **الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة،** مجلة عالم الفكر"الألسنية"، تصدرها وزارة الإعلام، الكويت، المجلد20، العدد3، (أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر)، 1989.

137- بلعرج (بلقاسم): **ظاهرة توسّع المعنى في اللغة العربية**، نماذج من القرآن الكريم، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد9، مارس2006.

138- الحاج صالح (عبد الرحمن): **الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي**، المجلة العربية للتربية- تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس، العدد2، 1985..

139- ــــــــــــــ: **مدخل إلى علم اللسان الحـديث(3)**، مجلـة اللـسانيات، الجزائر، المجلد الثاني، العدد1، 1972

140- صحراوي (مسعود): "**المنحى الوظيفي**" **في التراث اللغوي العربي**، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلـد5، العدد1، أبريل/ يونيه 2003.

141- المهيري (عبد القادر): **مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة**، مجلة حوليات الجامعة التونسية، المطبعة الرسـمية للجامعـة التونسية، العدد11، 1974 .

142- ياسر حسن رجب: **سمة المرونة في التراكيب النحوية، مظاهرها وقيمتها**، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد21 صفر، يونيه 1418/ 1997.

هــ/**المحاضرات :**

143- الحاج صالح (عبد الرحمن): **مقارنة بين التحليل البنوي الأوربي، والتحليل البنوي الأمريكي**، مقياس: المدارس اللسانية، محاضرة على طلبة الماجستير، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، 2004/2003.

و/**<u>المقالات والمحاضرات بالأنترنت:</u>**

144- السّامرائي (فاضل صالح): **أسرار البيان في التعبير القرآني**، محاضرة ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام 2002. بمواقع عديدة.

145- عامر مهدي صالح العلواني: **العدول في التعبير القرآني**، مقال منشور بالأنترنت، شبكة التفسير.

المحتويـــــات